

الكتاب العربي السعودي ٦٩

أبو تراب الظاهري

لجام الأقلام

الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م
جدة - المملكة العربية السعودية



الكتاب العربي السعودي ٦٩

أبو تراب الظاهري



الجزء الأول

الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م
جدة - المملكة العربية السعودية

البلاد
طبعت بمطابع دار البلاد – جدة
جدة – ص . ب : ٧٦١٤
ت : ٦٧١٩٧١٥ – ٦٧١٩٢٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم



الناشر

تهامة

جدة - المملكة العربية السعودية
ص. ب ٥٤٥٥ - هاتف ٦٤٤٤٤٤٤

لجام الأقلام



الإهداء

قال أبو تراب:

ليست نفسي ترغب أن أهدي كتابًا مثل هذا
إلى من أراه قاسطًا غير خارب، وإنما أُفلج به حُجّة
من زعم أنه عَلا، وغلا، وشِقْشِقته مفروزٌ عند من يعرفه، وسهمه
محفوظ لدى من أدْلى بدلوه.

وكتب
أبو تراب الظاهري
في ٢٠/١١/١٤٠٢هـ
عفا الله عنه



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وصلى الله على نبيه المجتبى وعلى آله وصحبه وأزواجه وسلم تسليماً كثيراً .

قال أبو تراب : أومأ الىّ بعض من أثق بخلته إلى تضمين هذه المقالات التى أكتبها فى المجلات والصحف اليومية شيئاً مما يختلج فى الخاطر من الصواب اللغوى ، فصغا إليه فؤادى لأن فى هذا فائدة السعى ، وما انغرس فى خلدى مما اشتغلت به وأشرب به قلبى ، وهفا إليه هواى ، لأن قارىء الصحف يمرق من الخطأ مروق السهم من الرمية ، ثم عليه عين كالئة تسوّغ له الغلط من أجل إحسان النشر ، ولا يدرى أن نواحى الجرائد غير محروسة ولا بيضتها محوطة ، وهو مع ذلك ملول سؤوم ، كثير الإهمال والإمهال ، لا يعنى بالبحث ولا السؤال ، كأنما سكن هو وعقله الجنة التى وعد بها المتقون يوم الزلفى ، فأنا أقول لصاحبى هذا : إنىّ لهؤلاء لسديد المذهب ، نصيح الغيب ، وسواء عندى أقاموا أودهم على تزكينى أم تغبشوا وتحبشوا ، فقد جاءهم البيان المعتمد والتصحيح المعتصر وسميت كتابى هذا (لجام الأقلام) وبالله التوفيق ...

قال أبو تراب : ويحسن بنا فى معرض الملاحن والأخطاء والتصحيفات وتقويم اللسان أن ننشد أصيحابنا قول إسحاق بن خلف البهرانى :

النحو يصلح من لسان الألكن ... والمرء تعظمه إذا لم يلحن

فاذا طلبت من العلوم أجلها ... فأجلها منها مقيم الألسن

وقول علي بن بسام :

رأيت لسان المرء رائد علمه	وعنوانه فانظر بماذا تعنون
ولا تعد اصلاح اللسان فانه	يخبر عما عنده ويبيّن
على أن للاعراب حداً وربما	سمعت من الأعراب ما ليس يحسن
ولا خير فى اللفظ الكريه استماعه	ولا فى قبيح اللحن والقصد أزين

وقديماً عنى العلماء باصلاح اللحن ، ووضعوا فى ذلك كتباً من أهمها كتاب لحن العوام للكسائى ، ولحن العامة للفراء ، وما يلحن فيه العامة لأبى عبيدة ، وما يلحن فيه العامة للأصمعى ، وما خالفت فيه العامة لغات العرب للقاسم بن سلاّم ، وما يلحن فيه العامة لأبى نصر الباهلى ، واصلاح المنطق لابن السكيت ، وما يلحن فيه العامة للمازنى ولحن العامة لأبى حاتم السجستانى ، ومن كان يلحن من النحاة لأبى زيد وأدب الكاتب لابن قتيبة ، ولحن العامة لأبى حنيفة الدينورى ، وما يلحن فيه العامة لأبى الهيذام ، والتنبيهات على أغاليط الرواة لأبى القاسم على بن حمزة البصرى ولحن العامة للزبيدى ، والتنبيه على حدوث التصحيف لحمزة بن الحسن الاصبهانى ، وما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبى أحمد العسكرى ، ولحن الخاصة لأبى هلال العسكرى وتثقيف اللسان لأبن مكى الصقلى ، ودرة الغواص فى أوهام الخواص للحريرى ، وما تلحن فيه العامة للكفرطابى ، والتكملة فيما يلحن فيه العامة للجواليقى ، والمدخل إلى تقويم اللسان لأبن هشام اللخمى ، وتقويم اللسان لأبن الجوزى وهذه الكتب من العلم القديم وليس سبيلها ما يلحن فيه الناس اليوم فان لحنهم جهل وتصحيحه أجهل منه ولحن القدامى كان علماً وتصويبه كان أعلم منه لأن عامتهم كانوا أفضل من خاصتنا ، ومانطقوه خطأ هو عندنا صواب دارج .

قال العسكرى : كان الناس فيما مضى يغلطون فى اليسير دون الكثير ، ويصحفون فى الدقيق دون الجليل لكثرة العلماء وعناية المتعلمين ، فذهبت

العلماء ، وقلت العناية ، فصار ما يصحفون أكثر مما يصححون ، وما يسقطون أكثر مما يضبطون .

قال ابو تراب : هذا وهو يذكر حال عصره فى القرن الرابع فكيف لو رأى أبناء زماننا هذا الذين لا يحسنون حتى قراءة كلام عادى فضلا عن أسماء وتراكيب اللغة ، ولم يقصر معهم علماء العصر فظهرت كتب فى تقويم اعوجاجهم الذى لا يشبه ما كانت تعنى به كتب المتقدمين ، وانما هو من طينة الخبال فكان من تلك الكتب . عثرات الأقلام ، ولغة الجرائد لليازجى وأغلاط اللغويين لانستاس الكرملى إلا أنه تعقب القدماء وتذكرة الكاتب لأسعد داغر والغلط والفصيح لأبى الخضر منسى ، واللغة الصحيحة لكاتب لبنانى ومعجم العدنانى ، وقل ولا تقل لمصطفى جواد ، والكتابة الصحيحة لزهدى جار الله ، وبعض هذه الكتب تافه لا قيمة له وأن كبر حجمه ، وقد تعقبت بعض ذلك فى كتابى الموسوم بكبوات اليراع كتبت منه نحو ثلاثة أجزاء على رغم كثرة مشاغلى وانصرافى لكتابة سير الصحابة الذى أكملت منه سبعة أجزاء وأنا شارع فى الثامن هذا إلى مشاغل الحياة الأخرى التى تكبل طوق الإنسان ، وإذا تكاثرت الظباء فما يدرى خراش ما يصيد . نسأل الله السداد والتوفيق .

* * *

النبط والأنباط

قال أبو تراب : ذكر لى أن بعضهم استحسن تسمية شعر أهل البادية الذى يدخله اللحن وهو موزون مقفى بالشعر البدوى ، وزعم أن تسميته بالشعر النبطى لا أصل لها . وسألنى ماذا تعنى كلمة (النبط) ؟ وكان فى المجلس الشاعر المفلق المبدع البارع المؤرج الأستاذ محمد حسن فقى فقال : الظاهر أنهم عرب البادية والأنباط منهم ، قلت : نعم هم أخلاط من العرب عملهم الفلاحة ومساكنهم مضارب البدو ، لا ينتمون إلى قبيلة معينة فكل شعر جاء على غير نهج الفصحى نسب إلى هذه اللفظة لأنها تعنى الظهور بعد الخفاء فى أصل الاشتقاق ، ثم اطلقت على ما لا يدرك غوره وقدره وعلمه ، وكذلك الشعر الذى لا يتقيد بالقواعد مختلط لا يكتنه كنهه ، فالظاهر عندى أن الكلمة أطلقت على هذا المسمى من هذه الجهة ثم أردت أن أكتب ما دار بيننا للقراء فراجعت فاذا « المعجم الوسيط » الذى أخرجه مجمع اللغة العربية يقول ما قلنا ، ويدور حول ما درنا ، قال : الأنباط قوم من الساميين يرجعون إلى أصلين : أحدهما آرامى والآخر عربى . كانت لهم دولة فى القرن السابع قبل الميلاد وسقطت فى أوائل القرن الثانى بعد الميلاد وامتدت أملاكهم من الجزء الجنوبى الشرقى من فلسطين إلى رأس خليج العقبة وكانت عاصمتهم سلع أى الصخرة وهى التى سماها اليونان (بطرة) وسموا البلاد كلها (أريبابطرا) أى بلاد العرب الصخرية .

قال : والأنباط أيضاً : المشتغلون بالزراعة . ثم قال : واستعمل الأنباط أخيراً فى أخلاط الناس من غير العرب ، قال : وكلمة نبطية أى عامية ، قلت : فالرأى الذى ذهبنا إليه هو هذا ، فالنبط يطلق على الاخلاط والعامة من الناس

وأهل البادية هم عوام الناس المختلطون ، فالشعر النبطى يعنى الشعر العامى المختلط بين التقيد بالوزن الشعرى والقافية وبين التفلت من الأعراب وتصريف الصيغ ، وقال الشيخ أحمد رضا فى معجم متن اللغة ومنه قيل : تنبط الرجل أى تشبهّ بالنبط فى سكنى البلاد واتخاذ العقار والملك فيها ، وتنبط أى انتمى وانتسب إلى النبط . وكذلك استنبط الرجل أى صار نبطياً وتشبه بالنبط ، والنبط جيل من الناس كانوا ينزلون القطائع بين العراقين أو سواد العراق وهم الأنباط ، واحدهم نبطى ونباطى (مثلثة) وأنباطى ونباط (كيمنى ويمانى ويمان) وكان لهم فى قديم الزمن دولة ومدنية .

قال : ثم استعمل هذا اللفظ فى أخلاط الناس وعوامهم قلت : وهذا هو الذى عنيناه وإليه رمينا وبه قلنا ، فالشعر النبطى شعر عامى مختلط جاءت تسميته بذلك من هذا الوجه من الاطلاق . وفى محيط المحيط للبستانى : النبط جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين ، قيل : سموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء ، وانما سمى أولاد شيث أنباطاً لأنهم نزلوا هناك ، قال : هذا أصله ثم استعمل هذا اللفظ فى أخلاط الناس وعوامهم ومنه قيل : كلمة نبطية أى عامية ، ويقال لهم أيضاً : نبيط . وفى كلام أيوب بن القرية قال : أهل عمان عرب استنبطوا وأهل البحرين نبط استعربوا . قلت : ومادة هذه الكلمة قرآنية فصيحة ، وليس هذا موضع ذكر معانيها بالاستيعاب وإنما أشرنا إلى اشتقاقها وأصلها آنفاً .

وفى أساس البلاغه للزمخشرى : قال خالد بن الوليد لعبد المسيح بن بقيلة أعرب أنتم أم نبيط ؟ فقال : عرب استنبطنا ونبيط استعربنا ، ومنه قول أبى العلاء المعرّى :

أين امرؤ القيس والعذارى إذ مال من تحته الغبيط
استنبط العرب فى الموامى بعدك واستعرب النبيط

* * *

صورة الهمزة المتوسطة فى الكتابة

قال أبو تراب :

سألنى أديب فاضل ذو جد وحزم ، دؤوب على اقتناص الشوارد ، واستنزال العصم من المعاقل والقنن هو حسين البغدادى فقال : كيف تكتب همزة كلمة (شؤون) ؟ قلت : فيها مذهبان أحدهما كتبها على كرسّى الواو ورسم واوأخرى بعدها هى واو الجمع ، والثانى حذف واو الجمع وكتبها على كرسيها فقط وكرسيها الواو على الاطلاق وقد نص على ذلك الدسوقى فى شرح المغنى لابن هشام قال : رعاك الله أن بعض الصحب عندنا بادارة الأوقاف بمكة يصرون على كتبها على النبرة وهى السنة التى تكتب عليها وهى مكسورة وقبلها يتحرك مضموم فيغلب المكسور على الضم (كسئل) فيكتبون هكذا (شئـون) فما الوجـه ؟ وهـم يزعمون أن هناك قاعدة املائية تجيز هذا ، قلت : كلاّ بل ران عليهم وما جيل هذا الزمان إلاّ خباط عرفجة وعلى خبرتهم غشاء ، يستصوبون كل غلط ومعارفهم هواء ولا يجيز كتابة الهمزة كما وصفت، إلا خبل لأنها متحـركة وقبلهـا متحـرك فالإجماع على أنها تكتب حينئذ على الحرف الذى يلائم تسهيلها فالضم يلائم الواو فلا تكتب على غيرها ابداً ، ألا ترى كيف تكتب : (رؤوس) على حرف حركتها ، وتكتب (فئة) على كرسى الياء لأن ماقبلها مكسور و (مؤجل) على كرسى الواو لأن ماقبلها مضموم وإن كانت هى مفتوحة . قال لى الصهر العزيز : ومن ذكر هذا ؟ قلت ابن الحاجب فى الشافية والرضى الاسترابادى والجاربردى فى شرحها ، وغير هؤلاء من علماء الصرف قال : أكتب لنـا هذا فى « موزونـك ومخزونك » لعل الله ينفع به المحررين فى دواوين الكتابة ؟ قلت : انى لذلك

فاعل وها أنذا آتي بوعدي ، وأدلى بحجتي وكأني بصاحبي يقول لي :

فاشفنــا بالجــواب عمّا سألنا فهــو نص لا خلف يوجــد فيه

ونص ابن الحاجب أن الهمزة المتحركة التي قبلها متحرك تكتب على نحو ما يسهل فلذلك كتب نحو مؤجل بالواو ونحو فئة بالياء وكتب نحو سأل ، ولؤم ويئس ، ومن مقرئك . ورؤوس بحرف حركته ، هذا فلفظ (شؤون) المبحوث عنه متحرك الهمزة ، وهي مضمومة وقبلها متحرك وهو مضموم أيضاً فكتابتها على الواو محتمة ، نعم جوزوا حذف واو الجمع الثانية تخفيفاً فكتبوا (شؤن) وذكره الدسوقي في شرح المغنى - وجوزوا أيضاً كتابة (رؤوس) بحذف كرسى الواو فكتبوا « رؤس » نص عليه الرضى في شرح الشافية قال : وقد يتركون صورة الهمزة التي بعدها الواو إذا كان حق الهمزه أن تكتب واواً لولا ذلك الواو نحو « رؤس » هذا وساغ هذا هنا لأن الراء من حروف الانفصال لم تلتئم مع الهمز بخلاف الشين فانها من حروف الاتصال التأمت مع الهمز فالمفرد شأن والهمز متصل والجمع شؤون لم تنفصل الهمزة فيه عن جارتها الشين فلم يتسن حذف واوها التي تكتب عليها كما تسنى ذلك في رؤس فكتبوها على واوها وكتبوا معها واو الجمع هكذا (شؤون) وجوزوا حذف واو الجمع إذ لم يتأت حذف واوها هي للتخفيف لأنه غير ممكن لأجل الاتصال فحذف واوها واحلالها على النبرة وابقاء واو الجمع خطأ كما درج عليه العامة وصورته هكذا (شئون) لأن الهمز أصل الكلمة والواو علامة الجمع طارئة ، هذا حكمها وهي واقعة وسط الكلمة وليراجع من شاء للتفصيل كتب المتقدمين ففيها الغنية عن القيل والقال والجدل المحال ، وأما حكمها وهي طرف الكلمة فهذا مالسنا بصدده الآن ، ومالم يقع عنه السؤال ، وأنشد السائل الكريم قول من قال :

خذهــا اليــك وصــــية لم يوصــهــا قبلي أحد
غــراءّ حاويــة خــلا صــات المعانــى والزبد

نقّحتها تنقيح من محض النصيحة واجتهد
فاعمل بما مثلّته عمل اللبيب أخي الرشد

قال أبو تراب :

وسألني بعض من يفضّ لطائم النشر من كلامنا وما هو بالعابث ولا المستهزىء بعمائم الرجال ، وقد قرأ فيما سبق ما كتبناه في رسم الهمزة المتحركة المتوسطة المتحرك ما قبلها فاستدعاه ذلك فهب سائلا قاعدة في رسمها لاتند عنها سائر أحوالها ، فنحن في هذه الاجابة العاجلة نودعها هذه اللفائف ونسوقها إليه شرباً من تسنيم ، لحبّه العربية وولعه بضوابطها رسماً ونطقاً ونعظمه إذ لم يسمح ببوح اسمه منّ الله عليه بامتداد الأجل وفتح عليه استصعاب ما استغلق فاستمعوا لفتوى أمام التصريف والنحو ابن الحاجب قال في شافيته :

الهمزة أول ووسط وآخر ، أولا : ألف مطلقاً ، نحو (أحد) ، (وأخذ) و (ابل) ، والوسط : أما ساكن فيكتب بحرف حركة ماقبله مثل يأكل ، ويؤمن ويئس ، وأما متحرك قبله ساكن ، فيكتب على حرف حركته مثل : يسأل ، و (يلؤم) . و (يُسئم) ومنهم من يحذفها إن كان تخفيفها بالنقل أو الادغام ومنهم من يحذف المفتوحة فقط ، والأكثر على حذف المفتوحة بعد الألف نحو (ساءل) ومنهم من يحذفها في الجميع ، وإما متحرك وقبله متحرك ، فيكتب على نحو مايسهل ، فلذلك كتب نحو : (مؤجل) بالواو ، ونحو (فئة) بالياء وكتب نحو : (سأل) و (لؤم) و (بئس) و (من مقرئك) ، و (رؤوس) بحرف حركته وجاء في (سئل) و (يقرئك) القولان ، والآخر إن كان ما قبله ساكنا حذف نحو خبء وخبأ وان كان متحركا كتب بحرف حركة ما قبله كيف كان ، نحو (قرأ) و (يقرىء) و (وردؤ) و (لم يقرأ) و (لم يقرىء) و (لم يردؤ) والطرف الذى لا يوقف عليه لاتصال غيره كالوسط نحو : (جزؤك) و (جزأك) و (جزئك) ونحو : (ردؤك) و (ورداك) و (ردئك) ونحو (يقرؤه) و (يقرئك) إلا في نحو (مقرؤة) و (بريئة) بخلاف الأول المتصل

به غيره نحو (بأحد) و (كأحد) و (لأحد) بخلاف (لئلا) لكثرته أو لكراهة صورته وبخلاف (لئن) لكثرته وكل همزة بعدها حرف مد كصورتها تحذف نحو (خطئاً) فى النصب و (مستهزءون) للبس وبخلاف نحو (مستهزئين) فى المثنى لعدم المد ، وبخلاف نحو : (حنائى) فى الأكثر للمغايرة والتشديد وبخلاف (لم تقرئى) للمغايرة واللبس .

وفى مختارات أحمد تيمور أرجوزة للأديب المكى محمد شكرى أفندى المتوفى سنة ١٣٣٣ هـ فى رسم الهمزة قال فيها :

بالألف اكتب همزة توسطت ... إن فتحت أو سكنت فتحاتلت

أو فتحت بعد سكون إن يصح ... وفى الأخير رسمها ياء أبح

بالواو إن ضمت وجاءت بعد ضم ... أو تلو فتح أو سكون ترتسم

وإن تكن عقيب ضم فتحت ... أو سكنت بالواو أيضاً رسمت

مكسورة بالياء حيث الصدر ... ضم أو الفتح سكون الكسر

وإن تكن مضمومة أو سكنت ... عقيب كسر رسمها ياء ثبت

قاعدة لكل همزة أتت ... ساكنة بعد التى تحركت

ترسم بعد همزة محركة ... صورة حرف جنس تلك الحركة

وترسم الهمزة ليس إلاّ ... إن ألفا فى الرسم جاءت قبلا

أو إن تكن مضمومة أو فتحت ... وقد أتت من بعد واو سكنت

أو إن تكن مطلقة فى الحركة ... من بعد ياء لم تكن محركة

وبعضهم يرسمها بنبرة ... صغيرة ان شئت فاقف أثره

أو حرف مدّ قد اتى من بعدها ... مجانساً حركتها لا ضدها

واشترطوه غير يا التكلم ... أو الخطاب أو ضمير فا علم

بالألف ارسم همزة تطرفت ... ان خلتها من بعد فتح قد أتت

ترسم واو بعد ضم تكتب ... ياء عقيب الكسر يا مهذب

وإن تكن من بعد ساكن أتت ... فهمزة ترسم هذا قد ثبت

وبالضمير غير (يا) التكلم لدى اتصالها بحرف فارسم
لكن يكون الحرف ذا مجانساً حركتها دم بالكمال آنسا

وقال الأمام رضى الدين الاستربادى المتوفى سنة ٦٨٨ هـ فى شرح الشافية : يكتب الأخير المتحرك ماقبله بحرف حركة ماقبله سواء كان متحركاً كما فى (يقرأ) و (يردؤ) و (يقرىء) أو ساكناً كما فى (لم يقرأ) و (لم يردؤ) و (لم يقرىء) وذلك لأن الحركة تسقط فى الوقف ومبنى الخط على الوقف فتدبر الهمزة بحركة ماقبلها . وأما إذا كانت الأخيرة فى حكم الوسط وهو إذا اتصل بها غير مستقل فهى فى حكم المتوسطة نحو (يقرؤه) و (يقرئه) ونحو ذلك ، وكان قياس نحو (السماء) و (البناء) أى تكتب همزته بالألف لأن الأكثر قلب مثلها ألفاً فى الوقف كما فى باب تخفيف الهمزة لكنه استكره صورة ألفين ولذا لم تكتب فى نحو قولك : (علمت نبئاً) صورة للهمزة . والهمزة حرف ليس له صورة مخصوصة بل له صورة مشتركة وتستعار له صورة غيره وذلك أن صورة الألف أعنى هذه (أ) لما كانت مشتركة فى الأصل بين الألف والهمزة ـ ولفظة الألف كانت مختصة بالهمزة لأن أول الألف همزة ـ استعير للهمزة فى الخط وان لم تخفف صورة مايقلب إليه إذا خففت وهى صورة الواو والياء ثم يعلمّ على تلك الصورة المستعارة بصورة العين البتراء هكذا (ء) ليتعين كونها همزة وانما جعلت العين علامة الهمزة لتقارب مخرجيها فان لم تكن الهمزة فى موضع التخفيف وذلك إذا كانت مبتدأ بها كتبت بصورتها الأصلية المشتركة أعنى هذه (ا) نحو (ابل) و (احد) و (اخذ) وكذلك تكتب بهذه الصورة إذا خففت بقلبها ألفاً نحو (راس) .

ثم نقول : إذا كانت الهمزة وسطاً ساكنة متحركاً ماقبلها كتبت بمقتضى حركة ما قبلها نحو (يؤمن) و (يأكل) و (بئس) لأنها تخفف هكذا (ا) إذا خففت وتكتب الوسط المتحركة ماقبلها نحو (مؤجل) بالواو ، و (فئة) بالياء ، والخمسة بحرف حركته نحو (سأل) و (لؤم) و (يئس) و (من مقرئك)

و (رؤوس) وأما الاثنان الباقيان نحو : (سئل) و (يقرئك) فعلى مذهب سيبويه بحرف حركته وعلى مذهب الأخفش بحرف حركة ماقبله . كل ذلك بناء على التخفيف كما فى باب تخفيف الهمزة . وكذا يكتب الوسط الذى قبله ألف باعتبار حركته لأن تخفيفه باعتبارها فيكتب نحو (ساأل) بالألف و (التساؤل) بالواو و (سائل) بالياء والأكثرون على ترك صورة الهمزة المفتوحة بعد الألف استثقالا للألفين فيكتبون (ساءل) بألف واحدة وكذا (المقروء) و (النبىء) وكذا يتركون صورة الهمزة التى بعدها الواو إذا كان حق الهمزة ان تكتب واوا لولا ذلك الواو نحو (رؤس) وكذا فى نحو (سئامة) و (مستهزءين) إلا إذا أدى إلى اللبس نحو (قرأا) و (يقرأان) و (مستهزئين) .

قال : هذا كله حكم كتابتها إذا كانت مما تخفف بالقلب بلا ادغام ، وبعضهم يبنى الكتابة فى الوسط أيضاً على التخفيف فيحذفها خطاً فى كل مايخفف فيه لفظاً بالحذف أو الادغام ، وبعضهم يحذف المفتوحة فقط لكثرة مجيئها نحو (مسلة) فى (مسألة) .

قال أبو تراب :

وذكر الرضى أن الهمزة اذا كانت تخفف بالحذف فأن كانت أخيرا فانها تحذف فى الخط أيضا نحو (خبء) و (جزء) و (دفء) ، وذلك لأن الآخر محل التخفيف بالحذف خطا ، كما هو محل التخفيف لفظا ، وان كانت فى الوسط (كيسأل) و (يُسئم) و (يلؤم) ، أو فى حكم الوسط باتصال غير مستقل بها نحو (جزأك) و (جزؤك) و (جزئك) ، فالأكثر أنها لا تحذف خطا ، وان كان التخفيف بحذفها ، وذلك لأن حذفك فى الخط لما هو ثابت لفظا خلاف القياس اغتفر ذلك فى الآخر الذى هو محل التخفيف ، فيبقى الوسط ثابتا على أصله ، فلما لم يحذف ولم تبن كتابتها على التخفيف أعيرت صورة حرف حركتها لأن حركتها أقرب الأشياء اليها ، فكتبت (مسألة) و (يلؤم) و (يُسئم)

و (سوأة) و (جزأك) و (جزؤك) و (جزئك) بتدبير حركة الهمزات ، وان كانت تخفف بالقلب مع الادغام حذفت فى الخط سواء كانت فى الطرف (كالمقرو) و (النبى) أو فى الوسط كالقروآء على وزن البروكاء أو فى حكم الوسط كالبرية و (المقروّة) وذلك لأنك فى اللفظ تقلبها الى الحرف الذى قبلها وتجعلها مع ذلك الحرف بالادغام كحرف واحد ، فكذا جعلت فى الخط .

قال : وبعضهم يبنى الكتابة فى الوسط ايضا على التخفيف فيحذفها خطا فى كل ما يخفف فيه لفظا بالحذف أو الادغام ، وبعضهم يحذف المفتوحة فقط لكثرة مجيئها نحو (مسلة) و (يسل) ، وانما لم تكتب الهمزة فى أول الكلمة الا بالألف وان كانت قد تخفف بالحذف كما فى (الأرض) و (قد افلح) لأن مبنى الخط على الوقف والابتداء ، واذا كانت الكلمة فى أولها الهمزة مبتدأ بها لم تخفف همزتها ، فتكتب بالصورة التى كانت لها فى الأصل وان كانت مشتركة .

فإن قيل : اذا اتصل بآخر الكلمة غير مستقل نحو (جزؤه) و (بجزئه) تجعل الهمزة التى حقها الحذف كالمتوسطة ، فهلاّ تجعل المصدّرة التى حقها هذه الصورة (ا) اذا اتصل بها غير مستقل نحو (الأرض) و (بأحد) و (لأحد) كالمتوسطة .

قال الرضى : لأنى اذا جعلت الهمز الذى حقه الحذف ذا صورة فقد رددته من الحذف الذى هو أبعد الأشياء من أصله أعنى كونه على هذه الصورة (ا) الى ما هو قريب من أصله ، وهو تصوره بصورة ما وان لم تكن صورته الأصلية ، واذا غيرت ما حقه هذه الصورة ، أى المصورة بالحذف أو باعارتها صورة الواو والياء فقد أخرجت الشىء عن أصله الى غيره ، فلهذا لم تجعل المصدّرة فى الخط كالمتوسطة الاّ فى لئلاّ .

(**مسائل**) قال أبو تراب : فى كلام ابن الحاجب والرضى نكت نوضحها فى هذه المسائل ، فالأولى : اذا كانت الهمزة خففت بالادغام (كسوّءال) على وزن (طومار) فانها تحذف صورتها .

والثانية : اذا كانت الهمزة خففت بالنقل فتحذف صورة المفتوحة فقط ، نحو (يسئل) و (مسئلة) ولا يحذف نحو (يلؤم) و (يُسئم) .

والثالثة : ان الأكثرين يحذفون المفتوحة فقط بعد الألف نحو (مساءل) ولا يحذفونها بعد ساكن آخر ، ولا يحذفون غير المفتوحة بعد ساكن .

والرابعة : ان منهم من يحذفها فى الجميع أى يحذف الهمزة المتوسطة الساكن ما قبلها سواء خففت بالقلب أو بالحذف أو بالادغام .

(**ذيل**) صار لام (لئلا) متصلا بالهمزة لكثرة استعماله وان كان متصلا (بلا) فصارت الثلاثة ككلمة واحدة نحو (فئة) ولو كتب (لألا) لكرهت صورته .

والخامسة : ان كل همزة بعدها حرف مدّ فى الوسط كانت (كرءوف) و(نئيم) و (سئال) أو فى الطرف نحو (خطئا) فى النصب (مستهزءون) لا تحذف ، لأن صورتها ليست مستقلة (كنئيم) و (مستهزئين) وأما فى الطرف فقد يكتب الياءان لاختلاف صورتهما نحو (ردائى) .

* * *

كيف تكتب الهمزة المتوسطة ؟

قال ابو تراب :

كتب الىّ الصديق الصدوق ، الأديب الحصيف ، الاستاذ الفاضل عبد الفتاح ابو مدين ، يستفتينى فى كيفية كتابة كلمة : (مسؤول) وما قاعدتها على الوجه الاملائى ؟ وما هو المصطلح عليه عند العلماء ؟ ويذكر انه يكتبها كما رسمتُ : الهمزة على الواو ، وواو بعدها ، فكلّما كتبها كذا غيرّها مصّحح مجلة « اقرأ » فرسم الهمزة على الياء ـ النَّبْرة ـ وكتب الواو بعدها هكذا : (مسئول) فكأنهما على غير وفاق فى المسألة ، ويستطلع الصديق الاستاذ إجابتى ، فأقول له شاكراً حسن ظنّه وثقته بأخيه : انّ الحق معك ، وصاحبك نَدَّ عنه الصواب جملةً .

ذلك انّ محشّى المُغنى لابن هشام ، الشيخ محمد الأمير ذكر فى حاشيته (ج ا ص ٩) ط البابى ما نصه :

(مسؤل) بواو واحدة فى الخط ، والقياس أن يكتب باثنتين ، الأولى ، ما تسهل بها الهمزة ، والثانية واو مفعول ، وفى قواعد الخط : متى أدّى القياس فى المهموز وغيره الى اجتماع لَيِّنَينْ نحو : رؤس ـ جمع رأس ـ وداود ، حذف واحد ، إلاّ ان يفتح الأول فيكتبان كقَرَءاَ ، مسنداً لضمير المثنّى . قال : فمن التحريف رسم ياء فى (مسئول) قبل الواو .

قال ابو تراب :

هذا نص من الشيخ الأمير على تخطئة من كتب همزة كلمة (مسؤل) على الياء ـ النبرة ـ وأن كتابتها الصحيحة هى على الواو . وأن القياس كتابة واو

بعدها لأنها على وزن مفعول ، فالواو الأولى هى حرف حركتها ، والواو الثانية مقابل وزن الكلمة ، إلاّ أنهم جوّزوا حذف الواو الثانية تخفيفاً .

قال ابو تراب : ولسنا بصدد ذكر أحكام كتابة الهمزة الواقعة أول الكلمة أو آخرها ، وأحوالها ، وانما نحن فى مبحث الهمزة المتوسطة المتحركة الساكن ما قبلها فقط ، وهذه حالة كلمة (مسؤول) فهمزتها واقعة متحركةً ، وما قبلها ساكن وهو السين ، فحكمها أن تكتب على حرف حركتها ، فاذا كانت حركتها ضمة ، كُتبت على الواو ، مثل (يَضْؤُل) و (يَلْؤُم) همزتها متحركة مضمومة ، وما قبلها ساكن لذلك كُتبت على الواو ، وهى حرف حركتها ، واذا كانت حركتها فتحة كُتبت على الألف مثل (يَسْأَل) و (يَسْأَم) واذا كانت حركتها كسرةً كتبت على الياء نحو (يُسْئِم) و (يُكْئِبُ) . فكذلك كلمة (مسؤول) فيها همزة متوسطة متحركة وقبلها ساكن ، وحركة الهمزة ضمةٌ ، فحكمها كتابتها على الواو ، ثم لك الخيار أن تكتب الواو الأخرى بعد الأولى ، والأخرى هى المتأتّية من الوزن ، والأولى هى حرف حركتها ، ولك ان تحذف الأخرى التى هى من أصل الوزن تخفيفاً من اجتماع الحرفين اللَيِّنَيْنْ ، ولكن ليس لك ان تحذف واو الهمزة اذا أثبتَ الهمزة لأنها من أصل الكلمة وهى عينُها فأصل الوزن غير أصل الكلمة ، إلاّ اذا حذفت الهمزة بالكلية تخفيفاً ، فتقول فى (مسؤول) (مَسُول) كما تقول : (مَسَلَة) فى مسألة فحذفت ثمة الهمزة بصورتها وهى الواو ، وحذفت هنا الهمزة بصورتها وهى الألف .

قال ابو تراب :

وحكم الهمزة المتحركة الساكن ما قبلها ـ هذا الذى ذكرناه هنا ـ هو حكم الهمزة الساكنة المتحرك ما قبلها ، فتكتب الهمزة على حرف حركتها كأختها الأولى مثل (يَأْكل) ، و (يُؤْمن) و (بِئْس) همزاتها سواكن وما قبلهن متحرك ، فأُعطين حروفَ حركاتهنّ ، وكذلك حكم الهمزة الواقعة طَرَف الكلمة

اذا اتصل بها حرف ، فحكمها حكم الهمزة المتوسطة نحو : (جُزْؤُك)
و (جُزْأَك) و (جُزْئك) .

قال ابو تراب :
وقد نص على كل ما ذكرناه ابن الحاجب فى الشافية ، والرضى فى شرحها والجاربردى وغيرهما ، ونص الشافية : والوسط إمّا ساكن فيكتب بحرف حركة ما قبله ، وإمّا متحرك قبله ساكن فيكتب بحرف حركته ، والطرف الذى لا يوقف عليه لاتصال غيره كالوسط ، وأما المتحرك وقبله متحرك فيكتب على نحو ما يُسَهَّل .

قال ابو تراب : وفى مختارات أحمد تيمور باشا أرجوزة للأديب المكى محمد شكرى أفندى المتوفى سنة ١٣٣٣هـ فى رسم الهمزة قال فيها :

بالواو إنْ ضُمَّتْ وجاءتْ بعد ضمّ	أو تِلْو فتحٍ أو سُكونٍ ترتسمْ
قاعدةٌ لكلِ همزةٍ أَتَتْ	ساكنةً بعد التى تحرّكتْ
تُرْسَمُ بعد همزةٍ مُحَرَّكَهْ	صورةُ حرف جِنسِ تلك الحَرَكَهْ

* * *

وجوه التشبيهات

قال أبو تراب :

التشبيه هو التمثيل لغة ، وهو الدلالة على مشاركة أمر لأمـر فى المعانـى اصطلاحا ، وأركان هذا الباب من علم البيان : المشبه والمشبه به ووجه التشبيه واداته ، والحسى منه كتشبيه الخد بالورد أو رائحة بعض الأزاهر بالمسك كما قال :

ما الدهـر الاّ الـربيع المستنـير اذا أتـى الـربيع أتـاك النّـور والنّور

فالأرض ياقوتـة والجـو لؤلؤة والنبـت فـيروزج والماء بلور

والعقلى منه كتشبيه العلم بالحياة ولأجل ذلك قال :

أخـو العلـم حى خالـد بعـد موته وأوصالـه تحـت التـراب رميم

وذو الجهل ميت وهو ماش على الـ ـثرى يظن من الاحياء وهو عديم

وكتشبيه ما يتخلف من الفوائد بعد انعدام الشىء بالوجود كما قال :

رب حىّ كميت ليس فيه أمـل يرتجـى لنفـع وضر

وعظام تحـت التـراب وفـوق الأر ض منهـا آثـار حمـد وشكر

ومن الحسى مثل قول الشاعر :

وكأن محمّـر الشقيق اذا تصـوب أو تصعد

أعـلام ياقـوت نشر ن على رمـاح من زبرجد

ومن العقلى قول امرىء القيس :

أيقتلنـى والمشرفى مضاجعى ومسنونـة زرق كأنياب اغوال

وقد جمع الشاعر بين وجه التشبيه الحقيقى والتخيلى فى مصراعى بيته فقال :

وكأن النجـوم بـين دجاها سنـن لاح بينهـن ابتداع

وأغراض التشبيه كثيرة يتضح منها فى قول ابن الرومى بيان الامكان :

وكم أب قد علا بابـن ذرا شرف كما علا برسـول الله عدنان

ومثله فى قول المتنبى فى تصحيح الدعوى :

فان تفـق الأنـام وأنـت منهم فان المسـك بعض دم الغزال

وفى مقدار حال المشبه فى القوة والضعف قول الشاعر :

فأصبحت من ليلى الغداة كقابض على الماء خانتـه فروج الأصابع

وتتفاوت مراتب القول فى هذا المجال باعتبار المحسوس والتوهم كقوله :

فى طول ليـل تناهى العرض والطول كأنمـا ليلـه بالليـل موصول

وهذا على بلاغته لا يبعث فى النفس من الانس كما يبعث قوله :

ويوم كظـل الرمـح قصر طوله دم الـزق عنـا واصطفـاف المزاهر

لأنه محسوس وان كان طول الرمح متناهيا ، وهذا كقول الآخر :

ظللنـا عنـد دار ابـى انيس بيوم مثـل سالفـة الذباب

وقوله :

ويوم كأبهـام القطـاة مزين الى ضياه غالـب لى باطله

وقد يتوصل الى الغرض بعكس التشبيه كأن تجعل المشبه به مشبها وهو باب من البلاغة كقوله :

وبـدا الصبـاح كأن غرته وجـه الخليفـة حـين يمتدح

وقد يكون غريبا يحتاج الى دقة نظر فى ادراكه كقول ابن المعتز :

(والشمس كالمرآة فى كف الاشل)

ويقرب منه قول الآخر :

كأن شعاع الشمس فى كل غدوة ... على ورق الأشجار إذ هو طالع

دنانيرُ فى كفّ الأشل يضمّها ... لقبضٍ وتهوى من فروج الأصابع

وكقول الوزير المهلبى :

الشمس من شرقها قد بدت ... مشرقة ليس لها حاجب

كأنها بودقة احميت ... يجول فيها ذهب ذاهب

ومن لطيف ما جاء فى هذا النوع من التشبيه قول الأخطل فى صفة مصلوب :

كأنه عاشق قد مد صفحته ... يوم الوداع الى توديع مرتحل

أو قائم من نعاس فيه لوثته ... مواصل لتمطيه من الكسل

قال أبو تراب :

ومن فساد التشبيه ان يجيء منكوسا كقول الفرزدق :

والشيب ينهض فى الشباب كأنه ... ليل يصيح بجانبيه نهار

فذكر بدور الشيب ثم ذهب الى وصف الشباب تاركا الشيب ولم يصحح المقابلة فلم يقل كما ينهض نهار بجانبى ليل .

وأقسام التشبيه : مفرد بمفرد ، ومفرد بمركب ، ومركب بمركب ، كما فى قول بشار بن برد :

كأن مثار النقع فوق رؤسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ومركب بمفرد فى قول الشاعر :

يا صاحبىّ تقصيّا نظريكما ... تريا وجوه الأرض كيف تصور

تريا نهارا مشمسا قد شابه ... زهر الربا فكأنه هو مقمر

وباعتبار تعدد طرفى التشبيه ملفوف ومفروق وتسوية وجمع فالملفوف كقول امرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا   لدى وكرها العناب والحشف البالى

وكقول الآخر فى ثلاثة بثلاثة :

ليل وبدر وغصن   شعر ووجه وقد

خمر ودرّ وورد   ريق وثغر وخد

وكقول الشاعر فى أربعة بأربعة :

ثغر وخد ونهد واحمرار يد   كالطّلْع والورد والرمان والبلح

وكقول أبى نواس :

يبكى فيذرى الدرّ من نرجس   ويلطم الورد بعناب

وكقول أبى الفرج الوأوا الدمشقى :

كأن الدرارى والهلال ودارة   حوته وقد زان الثريا التئامها

حباب طفا من حول زورق فضة   بكف فتاة طاف بالراح جامها

وله فى خمسة بخمسة :

قالت متى الظعن يا هذا فقلت لها   امّا غدا زعموا أولا فبعد غد

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت   وردا وعضت على العناب بالبرد

وهذا هو الذى طعن فيه الدكتور مكى فى مجلة (الهلال) الذى رددنا عليه ، ونحن نكتب هذا البحث المقتضب لبيان جهله بعلم البيان والبلاغة فلو علم هذا الضائع لأدهشه من برز فيها من الشعراء ولما رماها بالسخف وألاعيب الصبيان ،

وفى ستة بستة قول ابن جابر :

ان شئت ظبياً أو هلالا أو دجا   أو زهر غصن فى الكثيب الأملد

فللحظها ولوجهها فلشعرها   فلخدها والقد والردف اّقصد

وقول النجم فى سبعة بسبعة أنشده له بدر الدين الحموى النحوى :

يقطع بالسكين بطيخة ضحى   على طبق فى مجلس لأصحابه
كشمس ببرق قد بدا واهلة   لدى هالة فى الأفق بين كواكبه

وفى ثمانية بثمانية :

خدود واصداغ وقد ومقلة   وثغر وأرياق ولحن ومعرب
وورد وسوسان وبان ونرجس   وكاس وجريال وجنك ومطرب

وقول الآخر فى عشرة بعشرة :

فرع جبين يحيّا معطف كفل   صدغ فم وجنان ناظر ثغر
ليل هلال صباح بانة كثب   آس أقاح شقيق نرجس دُرُ

ومن هنا تظهر براعة الحافظ أبى محمد ابن حزم الذى استطاع جمع خمسة بخمسة فى بيت واحد وهذا لم يسبقه اليه أحد ولا لحقه لأن اللون الشعرى يعجز عنه ولا يحتمله ، وقد أتوا بأكثر منه ولكن فى بيتين لا واحد ، وهذا قطع به نقاد الشعر ولكن الدكتور يجهل ذلك ، ومن جهل شيئا عاداه وقول ابن حزم هو :

كأنى وهى والكأس والخمر والدجى   ثرى وحيا والدر والتبر والثبج

فهذه خمسة بخمسة فى بيت واحد والمشبهات والمشبهات بهن كلهن فيه ، وليس كذلك بيت الوأوا فانه لم يذكر فيه المشبهات .

وأما المفروق فكقول الشاعر :

النشر مسك والوجوه دنا   نير وأطراف الأكف عنم

والتسوية كقوله :

صدغ الحبيب وحالى   كلاهما كالليالى

والجمع كقول ابن المعتز :

كأنما يبسم عن لؤلؤ   منضد أو برد أو أقاح

ومن قبيل ما وجد تشبيه شىء باثنين قول امرىء القيس فى المعلقة المشهورة :

وتعطو برخص غير شثن كأنه ... أساريع رمل أو مساويك اسحل

وللأعجام تقسيمات أخر فى هذا الباب ليس هذا موضع استيفائها .

* * *

طالما وقلّما

قال أبو تراب :

فى كتاب المواهب الفتحية : ومذهب علىّ فى : (طالما وقلما وكثرما) أنها أفعال لا فاعل لها مظهراً ولا مضمراً ، وكأن (ما) عوض عن الفاعل كربما فى قوله : (أما أنت ذا نفر) وبدخول (ما) على ـ طال ـ ونحوها اختصت بالفعل كربما فلا يليها اسم البتة ، فأما قوله : (وقلّما وصال) فعلى التقديم والتأخير ، أى : وقلما يدوم وصال ، ويجوز أن تكون (ما) مصدرية ، والمصدر فاعل ، والأول أعرف . ومذهب ابن جنّى : وصلها بالفعل ، وكان يجب فيه (كثرما) لولا أن الراء لا يوصل بها شىء ـ وقال ابن درستويه : تكتب (ما) منفصلة ، ولا يوصل من الأفعال الاّ (نعما وبئسما) .

قلت : أشار إلى قول المرار :

صددت فأطولت الصدود وقلما　　وصال على طول الصدود يدوم

وقبله :

صرمت ولم تصرم وأنت صروم　　وكيف تصابى من يقال حليم

وبعده :

وليس الغوانى للجفاة ولا الذى　　له عن تقاضى دينهن هموم

ولكن لمن يستنجز الوعد تابع　　مناهن حلاف لهن أثيم

قال الزمخشرى فى معنى البيت : يخاطب نفسه ، ويلومها على طول الصدود أى لا يدوم حال الغوانى إلاّ لمن يلازمهن ويخضع لهن ، وقوله : (صرمت ولم تصرم) أى صرم اساءة ، ولكن صرِم دلال ، وارتفع (وصال) بإضمار فعل

يفسره الظاهر الذى يدوم واستشهد ابن الشجرى بالبيت على مجىء (أطولت) مصححاً على الأصل كأطيب واستحوذ ، وقال الأعلم الشنتمرى : أراد : وقلما يدوم وصال فقدم وأخر مضطراً لاقامة الوزن ، والوصال على هذا التقدير فاعل مقدم والفاعل لا يتقدم فى الكلام إلاّ أن يبتدأ به ، وهو من وضع الشىء غير موضعه ، ونظيره قول الزبّاء : (ما للجمال مشيها وئيداً) أى وئيداً مشيها ، فقدمت وأخرت ضرورة ، وفيه تقدير آخر وهو أن يرتفع بفعل مضمر يدل عليه الظاهر فكأنه قيل : وقل ما يدوم وصال يدوم ، وهذا أسهل فى الضرورة والأول أصح معنى وأن كان أبعد فى اللفظ ، لأن (قلما) موضوعة للفعل خاصة بمنزلة (ربما) فلا يليها الأسم وقد يتجه أن يقدر (ما) فى (قلما) زائدة مؤكدة فيرتفع الوصال بقلّ ، وهو ضعيف لأن (ما) انما تزاد فى (قل) و (ربّ) ليليهما الأفعال ويصيرا من الحروف المخترع بها ، وقال ابن السيرافى فى معنى البيت : يقولون صرمت هذه المرأة من قبل أن تصرمك يخاطب نفسه ، ثم قال : وكيف يتصابى من قد كبر وحلم ، وقد قيل : أن (ما) فى (قلما) هى والفعل الذى بعد (ما) بمنزلة المصدر . وقال سيبويه فى هذا البيت : ضرورة ، فقيل : وجه الضرورة أن حقها أن يليها الفعل صريحاً ، والشاعر أولاها فعلا مقدراً ، وان (وصال) مرتفع (بيدوم) محذوفاً مفسراً بالمذكور ، وقيل وجهها أنه قدم الفاعل ، وردّه ابن السيد بأن البصريين لا يجيزون تقديم الفاعل فى شعر ولا نثر ، وقيل : وجهها أنه أناب الجملة الأسمية عن الفعلية كقوله : (فهلا نفس ليلى شفيعها) وزعم المبرد أن (ما) زائدة و (وصال) فاعل لامبتدأ ، وزعم بعضهم : أن (ما) مع هذه الأفعال مصدرية لا كافة . قال ابن هشام فى المغنى : هى كافة عن عمل الرفع زائدة ، ولا تتصل إلا بثلاثة أفعال (قل وكثر وطال) وعلة ذلك شبههن بربّ ، ولا يدخلن حينئذ إلاّ على جملة فعلية صرّح بفعليتها كقوله :

قلما يبرح اللبيب إلى ما يورث المجد داعياً أو مجيباً

قال الدماميني : ولا محل لرد ابن السيد مع أن سيبويه صرح بأن الضرورة لتقديم الاسم ، وقد يقال معنى تقديم الاسم ذكره قبل الفعل والأعراب شيء آخر وبعضهم أضاف إلى هذه الأفعال (قَصُرَما) وهي أفعال لا فاعلَ لها كالتوكيد اللفظي في (قام قام زيد) و (كان) الزائدة ، وبعضهم جعل أفعالا أخر من هذا الباب مثل (نِعّما) .

* * *

النسبة إلى الجمع

قال أبو تراب : ورد عليّ سؤال عن النسبة إلى الجمع هل يرد المنسوب إلى المفرد أم لا ؟ وهل قولهم : هذا شيء دولى صحيح أم الصواب : دولى ؟ .

وقلنا : هذا مبحث أثير قديماً واختلفوا فيه ، وفى مقالة أنيس المقدسى المنشورة فى « العربى » الكويتية التى كتب فيها نقد : « اللغة الصحيحة » (عدد رمضان ٨٨هـ) اشارة إلى هذا حيث قال فى آخرها : « وتجريحهم على النسبة إلى الدول (دولى) مع أنهم ينسبون إلى أمم وعقائد وعمال إلخ فيقولون : أممى وعقائدى وعمّالى . ورجح النسبة إلى الجمع لأنها أدل على المعنى وقال : « وما التقيد بالرجوع إلى المفرد الاّ تزمت مناقض لناموس بقاء الأنسب » وعلق عليه مصطفى جواد فى كتاب (قل ولا تقل) ص ١٨ بقوله : أما النسبة إلى « الدول » جمعا فلا وجه للاعتراض عليها ، لأن النحاة الكوفيين أجازوها بغير قيد ولا شرط ، وأما البصريون فقد أجازوها إذا كان الجمع موازناً لمفرد من المفردات فالدول على وزن (عمر وصرد وزفر وخزز - وهو ذكر الأرانب) وما يطول اثباته . فيصوب الدكتور مصطفى جواد قولهم : « القانون الدّولى » لا الدولى قال فى « ص ١٦ » من كتابه : « لأنه منسوب إلى عدة دول ويراد بنسبته الدلالة على اشتراك الدول فيه وذلك كقول العرب : (رجل شعوبى) للقائل بمقالة الشعوبية و (رجل أصولى) للعالم بالأصول و (أخبارى) للعالم بالأخبار كالمسعودى فهم لم يقولوا : (رجل شعبى) بمعنى شعوبى ، ولا (أصلى) بمعنى أصولى ولا (خبرى) بمعنى اخبارى ، فالنسبة إلى الجمع واجبة إذا أريدت الدلالة على الاشتراك الجمعى » قال أفلا ترى أن الأمير

عبد الله بن عبد الله الظاهرى صاحب ابن المعتز سمى رسالة له « السياسة الملوكية » ولم يقل : الملكية وقال قبله شيخ الكتاب الفصحاء أبو عثمان الجاحظ فى كتاب الحيوان « ان سهره بالليل ونومه بالنهار خصلة ملوكية » وقال شيخ الأخباريين أبو الفرج الأصفهانى فى وصف العباس بن الأحنف « كان ظاهر النعمة ملوكى المذهب » قال : وأنت تقول : دراسة حقوقية لا حقية وسمى عثمان بن جنى العلامة كتابه « التصريف الملوكى » وهو مطبوع . قال : فالدولى بضم الدال أو كسرها وفتح الواو يوازى « انترناشنل » فى الإنجليزية و « انترناسيونال » فى الفرنسية . وأما الدولى بسكون الواو فانه يستعمل للتمييز عن الشعبى و « العرفى » و « قانون العشائر » و « الأهلى » وما إلى ذلك ثم أن العرب أجازت النسبة إلى الجمع إذا كان للحرفة والصنعة كالإبرى والأمشاطى والمحاملى إذا كان يوازنه فى ظاهر اللفظ مفرد من المفاريد ، فالدول يوازن الصرد ـ وهو طائر ـ والعرب جعلت النسبة للتمييز واتخذت القواعد ذرائع وأسباباً لا غايات ولا نهايات ، هذا كلام مصطفى جواد .

قال أبو تراب : قد نص ابن الحاجب فى كتابه « الشافية » على أن الجمع يرد إلى الواحد فى النسبة فيقال فى كتب وصحف ومساجد وفرائض ، كتابى وصحفى ومسجدى وفرضى فاذا كان لفظ (مساجد) مثلا علماً لشىء قيل مساجدى وهذا مثل : أنصارى وكلابى ، فان النسبة وقعت فيهما إلى لفظ الجمع لأنهما علمان .

وقد ذكر الرضى فى شرحه (ج ٢ ص ٧٨) : انك إذا نسبت إلى ما يدل على الجمع فان كان اللفظ جنساً مثل (تمر) أواسم جمع مثل (نفر) و (رهط) و (ابل) نسبت إلى لفظه نحو : تمرى ، وابلى ، سواء كان اسم الجمع مما جاء من لفظه ما يطلق على واحده كراكب فى ركب أو لم يجىء ـ كغنم وابل وكذلك إذا كان الاسم جمعاً فى اللفظ والمعنى لكنه لم يستعمل واحده لا قياسياً ولا غير قياسى مثل : (عبابيد) تقول عبابيدى .

قال سيبويه : وهذا أقوى من إحداث شيء لم تتكلم به العـرب وكذلك قولهم : أعرابى لأن أعراباً جمع لا واحد له من لفظه وأما العرب فليس واحد الأعراب الآن ، لأن الأعراب ساكنة البدو والعرب يقع على أهل البدو والحضر .

والظاهر أن الأعراب كان جمعاً للعرب فى الأصل ثم اختص وإن كان الاسم جمعاً له واحد لكنه غير قياسى فهو ينسب إلى لفظه مثل : محاسنى ، وبعضهم ينسبه إلى واحده الذى هو غير قياسى نحو : حسنى . وفى شرح الشافية للرضى : إنه يجوز أن تنسب إلى لفظ الجمع إذا كان بلفظ الواحد وزناً فان كان الجمع له واحد قياسى نسبت إلى ذلك الواحد فتقول : كتابى نسبة إلى الكتب ومثال النسبة إلى لفظ الجمع بوزن الواحد لفظاً : ربابى ، فرباب خمس قبائل من العـرب متحالفة هى : ضبة وثور وعكل وتيم وعدى واحدها ربة والجمع رباب كقبـة وقباب والربة الفرقة من الناس فكأنه صار كالعلم نحو مدائنـى وأنصـارى . وبعضهم يرى أن الياء فى انصارى للوحدة لا للنسبة كما فى رومى وروم وزنجى وزنج ، فلذا أجاز الحاقها بالجمع فلو قلت : ثوب أنصارى كان منسوباً بحذف ياء الوحدة كما ينسب إلى كرسى بحذف الياء فيكون لفظ المنسوب والمنسوب إليه واحداً . ولقائل أن يقول : أن ياء الوحدة أيضاً فى الأصل للنسبة لأن معنى زنجى شخص منسوب إلى هذه الجماعة بكونه واحداً منهم فهو غير خارج عن حقيقة النسبة إلا أنه طرأ عليه معنى الوحدة ، فعلى هذا يكون العذر فى لحاق الياء بهذه الأسماء ما تقدم . وقالوا فى النسبـة إلى أبنـاء فارس وهـم الذيـن استصحبهم سيف بن ذى يزن إلى اليمن ـ بنوى على القياس مع أنهم جماعة مخصوصة كبنى سعد بن زيد بن مناة وقالوا فى النسبـة إلى العبـلات : عبلى بسكون الباء وهم من بنى عبد شمس أمية الأصغر وعبد أمية ونوفل لأن كل واحد منهم سمى باسم أمه ثم جمع وأمهم عبلة بنت عبيد من بنى تميم وانما قالوا فى المهالبة : المهلبى لأنك رددت إلى الواحد وحذفت الياء التى كانت فيه للنسبة ثم نسبت إليه ويجوز أن كل واحد منهم سمى مهلباً باسم الأب ثم جمع كما سمى

كل واحد فى العبلات « باسم الأم ثم جمع فيكون مهلبى منسوبا إلى الواحد الذى هو مهلب لا إلى مهلبى . وان كان اللفظ جمعاً واحده اسم جمع نسبت أيضاً إلى ذلك الواحد كما تقول فى النسبة إلى نساء : نسوى لأن واحده نسوة وهو اسم جمع وكذا تقول فى أنفار : نفرى وفى أنباط : نبطىّ .

قال أبو تراب : وفى شرح الشافية أيضاً : أن اللفظ إذا كان جمعاً واحده جمع له واحد نسبت إلى واحد واحده كما تقول فى نسبة (أكالب) كلبى وانما يرد الجمع إلى الواحد لأن أصل المنسوب إليه والأغلب فيه أن يكون واحداً وهو الوالد أو المولد أو الصنعة فحمل على الأغلب . وقيل : انما رد إلى الواحد ليعلم أن لفظ الجمع ليس علماً لشىء إذ لفظ الجمع المسمى به ينسب إليه نحو : مدائنى ـ نسبة إلى مدائن وكلابى ـ نسبة إلى كلاب ـ ولو سميت بالجمع فان كان جمع تكسير نسبت إلى ذلك اللفظ نحو : مدائنى وانمارى وكلابى وضبابى وانمار وضباب وكلاب أسماء رجال .

وإن كان جمع السلامة فقد ذكرنا أن جمع المؤنث بالألف والتاء يحذف منه الألف والتاء ، تقول فى رجل اسمه (ضربات) ضربى ـ بفتح العين ـ لأنك لم ترده إلى واحده بل حذفت منه الألف والتاء فقط وهذا بخلاف « عبلى » فى المنسوب إلى العبلات فانه بسكون الباء لأنه نسب إلى الواحد كما ذكرنا .

وكذلك يحذف من المجموع بالواو والنون علماً الحرفان إن لم يجعل النون معتقب الأعراب ، ولا يرد إلى الواحد ، فلهذا قيل فى المسمى بأرضين : (أرضى) بفتح الراء وإن جعل النون معتقب الأعراب لم يحذف منه شىء .

قال أبو تراب : فاستعمال الدولى ليس مطرداً فهو دولى إذا أردت تمييزه من بين « الشعبى » الدارج وبين (النظامى) الرائج وهو « دولى » إذا أردت اشتراك الدول فى أمر ما والاعتبار فى ذلك بالأنصارى أقرب من ضرب الدكتور مصطفى جواد أمثالا لأسماء أعلام وجوامد لا ينهض بها الاستدلال :

مما جاء على لفظ المنسوب

هذا وفى العربية ما جاء على لفظ المنسوب وليست الياء فيه للنسبة وأورد من هذا النوع الفارابى صاحب ديوان الأدب جملة كلمات ونقل السيوطى فى المزهر والقنوجى فى كتاب البلغة فى أصول اللغة وكتاب الفارابى طبع الآن ولم يكمل ومن هذه الكلمات (البردى) بالفتح وهو نبات يعمل منه الحصر وكان قدماء المصريين يكتبون على ورقه و (البردى) بالضم ضرب من أجود التمر ومنها (الخطمى) وهو نبات معروف تعالج به الأمراض الصدرية وكان القدامى يستعملونه فى ماء الغسل للتنقية ومنها (القلعى) وهو الرصاص شديد البياض ويقال : إنه منسوب إلى القلع ومنها (البختى) وهو أحد البخت وهى الأبل الخراسانية ومنها (الخرثى) وهوأردأ المتاع وسقطه و (خرثى) الكلام ما لا خير فيه ومنها (الخردى) مفرد الخرادى وهى خياصة الحظيرة التى تشد على حائط القصب عرضاً . قال المطرزى فى كتاب « المغرب » هى ما يلقى على خشب السقف من أطناب القصب ومنها (دردى) وهو ما يتبقى راسباً أسفل الزيت من الكدر . و (الجُلذى) من الأبل الشديد و (السخرى) من الهزء والسخرية و (السخرى) من العمل والقهر بلا أجرة و (الغتمى) الثقيل الروح لم يذكره السيوطى وهو فى لسان العرب ومنها : (القمرى) من الفواخت . قال الفيومى : منسوب إلى (قمر) إما جمع أقمر مثل أحمر وحمر وإما جمع قمرى مثل روم ورومى قلت : ومن هذه الكلمات ما لا يجعلون الياء فيه للوحدة وانما يرجعون ذلك إلى النسبة المعنوية ولم يذكر السيوطى بعض هذه الكلمات ونحن نستدركها لإستيفاء ما تبقى من هذا الموضوع .

قال أبو تراب : ومن الأحرف العربية ما جاء على وزن المنسوب الذى كنا نبحث فيه (الكدرى) وهو ضرب من القطا غبر الألوان رقش الظهر صفر الحلوق ولم يذكر الأمام السيوطى فى المزهر (الجونى) من القطا سود البطون والأجنحة وهو أكبر من الكدرى وانما ذكر السيوطى (الدبسى) وهو طائر أدكن يقرقر . وقد ذكرنا (الكرسى) بأنه بالياء منسوباً وغير منسوب وهو معروف و (الجنثى) وهو الحديد الجيد والسيف والزرد وجمعه جنثية قال الشاعر :

ولكنهـــا سوق يكون بياعها بجنثيـــة قد أخلصتهـــا الصياقل

ومنها (الظهرى) وهو البعير المعد للحاجة و (القصرى) ما يبقى فى السنبل من الحب بعد أن يداس ، و (الراعبى) الحمام الذى يرعب فى صوته ترعيباً وذلك لقوته و (الزاعبى) الرمح ويقال : أنه منسوب إلى رجل من الخزرج كان يعمل الأسنة إذا هزت كانت كالسنبل الزاعب يزعب بعضه بعضاً أى يدفع و (الصهابى) بعير ليس بشديد البياض ، و (الملاحى) عنب أبيض طويل ونوع من التين ومن الأراك مافيه بياض وحمرة وشهبة و (الخدارى) من السحاب الأسود ولم يذكر السيوطى : (الأحدرى) وهو الحمار الوحشى ، و (الخضارى) طير خضر يقال له القارية ، و (الزخارى) زهر النبات إذا التفّ وفى (المزهر المطبوع بالسعادة بمصر : « زهر البيت » وهو غلط و (الحذاقى) الفصيح اللسان البينّ اللهجة قال طرفة :

إنـى كفانـى من أمـر هممـت به جار كجـار الحذاقـى الـذى اتصفا

و (القطامى) الصقر و (الغدانى) الشاب الممتلىء و (العَصْبلىُّ) الشديد من الرجال و (الجعظرىّ) الفظ الغليظ و (العبقرى) الرجل الذى ليس فوقه أحد فى الشدة ونحوها و (الصمعرى) الرجل الشديد و (البخترى) الجسم الحسن و (الدغفلى) المخصب ، قال العجاج : (وإذ زمان الناس دغفلى) و (اللوذعى) الحديد الفؤاد وبحر (لجى) وكوكب (درى) وما بالدار (دبى) قال الكسائى : هو من دبيت أى ليس فيها من يدب ، و (النمى)

الفلوس أو الدراهم التى فيها رصاص ، وقيل : نحاس ، والكلمة رومية معربة ، ولها معنى العيب والخيانة والعداوة وصنجة الميزان والطبيعة وجوهر الإنسان ، ويقال : ما بها نمى أى ما بها أحد ، ومن هذه الكلمات المنسوبة إلى غير ياء النسبة (الربى) وهو مفرد الربيين ، وهم الألوف ، ومنها أيضاً : (الأحوزى) وهو الراعى المشمِّر ، ومثله : (الأحوذى) ومثله (الأحورى) بمعنى الأبيض الناعم ، ويقال : (الأريحى) ويعنون به الذى يرتاح إليه فى الندى والمعروف .

وفى صحاح الجوهرى : يقال مشترك (ومشتركى) مثل : دو (دوى) وسك و (سكى) وقعسر ، و (قعسرى) بمعنى واحد .

قال ابو تراب : الدو والدوى بمعنى واحد وهو المفازة ، والسك والسكى المسمار ، والقعسر والقعسرى الجمل الضخم الشديد والرجل الباقى على الهرم ، والخشبة تدار بها الرحا الصغيرة التى يطحن بها على اليد ، أما دوى الريح فهو بتخفيف الدال بمعنى حفيفها وكذلك دوى النحل والطائر قال السيد الشريف : هو الصوت الذى لا يفهم منه شيء من الذباب والنحل .

* * *

فوائد لغوية

قال أبو تراب :

جاء فى التذكرة الحاطبية للشيخ عبد الرحمن الفرفورى من علماء القرن العاشر (ص ٢٠٤) ، ونقل بعض فوائدها من كتاب تثقيف اللسان وتلقيح الجنان للقاضى أبى حفص عمر بن مكى الصقلى النحوى ، وكسره على خمسين باباً تأليفاً وترتيباً ، من باب ما وضعوه فى غير موضعه :

ويقولون : أكلنا طعاماً فوجدنا له بنّة ، أى طيب مذاق ، وذلك غلط إنما البنّة الرائحة ، قال الشاعر :

وعيد تخدج الآرام منه وتكره بنّة الغنم الذئاب

يريد أن هذا الوعيد تُخْدِجُ الآرام منه ، أى تسقط أولادها قبل حين الولادة ، والآرام لا تُخْدِجُ ولا تُخْدَج زعموا ، أى لا تسقط قبل تمام عدّتها ، ولا تلد ولداً ناقص الخلق ، وكذلك لا تمرض إلاّ مرض الموت ، ولذلك قالوا : أصّح من ظبى وقوله : (وتكره بنة الغنم الذئاب) يريد أن الذئاب تكره رائحة الغنم على فرط حبها لها فتخالف عادتها لشدة هذا الوعيد .

قال : وما كان من العظّ بغير جارحة فهو بالظاء نحو عظ الزمان وعظ الحرب .

قال الشاعر :

وعظ زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلاّ مسحتاً أو مجلف

وما كان بجارحة فهو بالضاد نحو : عض الكلب الإنسان .

قال فى حاشية التذكرة المذكورة والظاهر أن هنا سقطا وان دخله الاقواء يستمر الوزن مكسوراً .

قال ابو تراب : والصحيح ما أثبته احمد تيمور ، ومن كتابه نقلنا

ثم ليس ما قال مجمعاً عليه بل الأكثر ان عظ الزمان والحرب الصواب فيه الضاد ، وعلى ذلك قول المخبّل :

غلبت بنى أبى العامى سماحاً وفى الحرب المذكرة العضوض

والقصيدة ضادية .

قال : والفأر من الحيوان مهموزة ، وفارة المسك غير مهموزة لأنه من (فار يفور) .

والصواب فى ربيع الأول : ودخل ربيع الأول وربيع الآخر على النعت ، وكذلك يقولون : فى جمادى الأول والصواب : جمادى الأولى بفتح الدال على وزن حبارى إلاّ أنها تكتب بالياء وألفها للتأنيث ، وليس فى الشهور مؤنث سوى جمادى الأولى وجمادى الآخرة ، فلا يجوز الأول ولا الآخر .

ويقولون لضرب من العقاقير : صبر بسكون الباء ، والصواب بكسرها ، قال الشاعر :

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

قال ابو تراب : الصبر عصارة شجر مر ولا يسكن إلاّ للضرورة فى الشعر والأصل فيه على وزن كتف .

وفى كتاب الكنايات للثعالبى : روى بعض أصحاب اللغة ان قوماً من الأعراب خرجوا يمتارون ، فلما صدروا خالف رجل فى الليل إلى عِكْم صاحبه وأخذه وجعله فى عكمه ، فلما أراد الرحيل وقاما يتعاكمان رأى عكمه يشول ، وعكم صاحبه يرجح ويثقل ، فأنشأ يقول :

عِكْمٌ تعشى بعض أعكام القوم لم أر عكماً سارقاً قبل اليوم

وذكر الجرجانى فى كتاب الكنايات (ص ٧٤) : أحذّ يد القميص كناية عن السرقة والخيانة مأخوذ من الحذذ وهو الخفة ، فان ذهبت به مذهب الخفة كان معناه أن كمه قصير فيده بادية للأخذ والخيانة فيكون كناية عن السرقة ، ويحتمل أن يكون كناية عن الدناءة والخسة وترك الهمة لأن أدوان الناس أكمامهم قصيرة ، وأكثرهم يلبسون الصدر .

وحكى أبوعبيدة عن عبد الله بن عبد الأعلى قال : كنا نتغذى عند عمرو بن هبيرة فأحضر طباخه جامة خبيص فكرهه للبيت السائر إلاّ أن جلده أدركه فقال ضعه يا غلام وأنشد :

تفتق بالعراق أبو المثنى وعلّم قومه أكل الخبيص

وذكر الثعالبى : أن قولهم أحذّ يد القميص كناية عن قصر كمه والسارق يقص كمه ويخفيه ليكون أقدر على عمله .

* * *

منذ ومذ

قال ابو تراب :

وذكر ياقوت فى معجم الأدباء قال : حدث محمد بن رستم الطبرى قال : أنبأنا أبو عثمان المازنى قال : كنت عند الأخفش أنا وأبو الفضل الرياشى فقال الأخفش ان (منذ) إذا رفع بها فهى اسم مبتدأ ، وما بعدها خبرها ، كقولك : ما رأيته منذ يومان ، فاذا خفض بها كقولك : ما رأيته منذ اليوم فهو حرف معنى ليس باسم فقال الرياشي : فلم لا يكون فى الموضعين اسما ؟ فقد نرى الأسماء تخفض وتنصب كقولك : هذا ضارب زيد غدا ، وضارب زيد أمس ، فلم لا تكون بهذه المنزلة ؟ فلم يأت الأخفش بمقنع ، قال المازنى : فقلت له : لا يشبه (منذ) ما ذكرت لانا لم نر الأسماء هكذا تلزم موضعا ، إلا إذا ضارعت حروف المعانى نحو : اين وكيف فكذلك (منذ) هى مضارعة لحروف المعانى فلزمت موضعا واحدا ، قال الطبرى : فقال ابن ابى زرعة للمازنى : أفرأيت حروف المعانى تعمل عملين مختلفين متضادين ؟ قال : نعم كقولك : قام القوم حاشا زيد ، وحاشا زيدا ، وعلى زيد ثوب ، وعلا زيد الفرس ، فتكون مرة حرفا ومرة فعلا بلفظ واحد .

قال ابو تراب : لأجل هذا لا يذكر كثير منهم ، عدا وخلا وحاشا من حروف الجر ، و (منذ ومذ) لهما ثلاث حالات ذكرها ابن هشام وغيره .

الأولى ــ ان يليهما اسم مجرور وهو الأغلب الأعم ، وهما حينئذ اسمان مضافان والصحيح انهما حرفا جر بمعنى (من) ان كان الزمان ماضيا وبمعنى (فى) ان كان الزمان حاضرا ، وبمعنى (من والى) جميعا ان كان معدودا ، وأكثر

العرب على وجوب جرهما للحاضر ، وعلى ترجيح جر (منذ) للماضي على رفعه وترجيح رفع (مذ) للماضي على جره .

والثانية ـ ان يليهما اسم مرفوع كما قال الأخفش : منذ يومان فمذهب المبرد وابن السراج والفارسي انهما مبتدآن وما بعدهما خبرهما كما ذكر الأخفش ، ومعناهما الأمدان كان الزمان حاضرا ، أو معدودا ، وأول المدة ان كان ماضيا ، ونقل عن الأخفش والزجاج والزجاجي انهما ظرفان مخبر بهما عما بعدهما ومعناهما بين وبين مضافين فمعنى ما لقيته منذ يومان : بيني وبين لقائه يومان ، وقال أكثر الكوفيين انهما ظرفان مضافان لجملة حذف فعلها وبقي فاعلها ، والأصل منذ كان يومان ، واختاره السهيلي وابن مالك ، وقال بعض الكوفيين : خبر لمحذوف اى ما رأيته من زمان الذى هو يومان ، وبنوا هذا على ان (منذ) مركبة من كلمتين (من) و (ذو) الطائية .

الثالثة ـ ان يليهما الجمل الفعلية أو الأسمية ، والمشهور انهما حينئذ ظرفان مضافان الى جملة أو إلى زمان مضاف الى الجملة ، أو انهما مبتدآن خبرهمازمان مضاف الى الجملة ، وقد استعمل زهير بن ابى سلمى (مذ) وجر بعدها وهو قليل ، وذلك من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان ، أولها :

لمن الديار بقنة الحجر   اقوين مذ حجج ومذ دهر

قال وكيع فى الغرر عن ابى الحسن المدائنى قال : دخلت بنت زهير على عائشة وعندها بنت هرم فقالت : اما اعطى ابى اباكم ما أغناكمْ ؟ فأنشدت ابنة زهير :

وانك ان اعطيتني ثمر الغنى   حمدت الذى اعطيك من ثمر الشكر
وان يفن ما تعطيه فى اليوم أو غدا   فان الذى اعطيك يبقى على الدهر

* * *

الأفعال التى جاء الأمر منها على حرف

قال ابو تراب :

ذكر احمد تيمور باشا فى المختارات الأفعال التى يأتى الأمر منها على حرف واحد وهى عشرون فعلا ، وكلها مكسورة إلا (ر) من رأى يرى فانه بالفتح ، وذكر احمد تيمور معانيها ، وأفعال الماضى والمضارع منها ، ونقل ذلك عن الخضرى ذكر فى حاشيته على ابن عقيل عند قول الناظم : (واعربوا مضارعا ان عريا) (ص ٣٣) ابياتا لابن مالك ذكر فيها عشرة أفعال يأتى الأمر على حرف واحد والزيادة على ما ذكر ابن مالك تأتت بالتتبع وقد تعرض لهذه المسألة ابن الشجرى فى الأمالى (ج ١ ص ٣٨٨) فى قوله (ان هند الكريمة الحسناء) ان فعل أمر على حرف واحد اكد بالنون . وذكر أفعال الأمر من حرف واحد البلوى فى كتاب ألف باء (ج ١ ص ١٥٨) ، وتعرض لها فى كتاب الليث العابس (ص ٨) وفى نشر المثانى (ص ١٧٥) ان الأبيات المنظومة فى أفعال الأمر من حرف واحد التى أولها (انى أقول لمن ترجى وقايته) هى للبطليوسى . وذكر البيهقى أفعال الأمر على حرف واحد فى أزاهير الرياض المربعة (ص ١٧١) وذكر الصاحبى ما جاء من أفعال الأمر على حرف واحد فى فقه اللغة (ص ٨٧) وعرض لها شراح المغنى لابن هشام فى قوله :

(ان هند الكريمة الحسناء) وهى :

(أ) من وأى وأياً اي وعد والأمر (إ) والتثنية (ايا) .

٢ ـ (ت) من اتى يأتى والأمر (ائت) وبعض العرب يقول (ت) يازيد بحذف الهمزة الثانية تخفيفا وهمزة الوصل استغناء .

٣ ـ (ث) من وثى يثى ، ووثيت يده ، والوثى الأوجاع .
٤ ـ (ج) من وجى يجى أى قطع وأما الوجى فهو الحفا وبابه كرضىٰ يرضى .
٥ ـ (ح) من الوحى بمعنى الكتابة والاشارة والكلام .
٦ ـ (خ) من الوخى وهو القصد من باب وعى .
٧ ـ (د) من ودى يدي أى دفع الدية والتثنية (ديا) والجمع (دوا) .
٨ و ٩ ـ (ر) من رأى يرى الهلال و (ر) من ورى القيح جوفه أى أفسده وزنه كوعى .
١٠ ـ (س) من وسى زيد رأس عمرو أى حلقه بالموسى .
١١ ـ (ش) من وشى يشى وشيا ، والوشى نقش الثوب .
١٢ ـ (ص) من وصى زيد الشيء بالشيء وصية . أى وصله .
١٣ ـ (ع) من وعى يعى أى حفظ وجمع وفى الحديث : رب مبلغ أوعى من سامع .
١٤ ـ (ف) من وفى يفى من باب وعى وهو من الوفاء بالعهد .
١٥ ـ (ق) من الوقاية وهى الصون وهى مثلثة الواو بمعنى الحفظ .
١٦ ـ (ك) من وكى زيد القربة ، والوكاء رباطها وفى الحديث لا توكى .
١٧ ـ (ل) من ولى يلى والولى القرب والدنو والولاية الامارة .
١٨ ـ (م) من اومى يومى أو ومى يمى والأمر (م) يازيد برأسك أى أشر به .
وليس فى القاموس ومى يمى وانما فيه وَمَأً يَمَأُ كوضع يضع .
١٩ ـ (ن) من ونى ينى ، أى تأنى أو تعب ، والونى الفترة .
٢٠ ـ (هـ) من وهى يهى أى سقط وضعف .
وزاد على ذلك بعض اللغويين فى منظومة .

وفى مطالع البدور (ج ١ ص ٧٤) نادرة تتعلق باللفظ (ق) وفى سفر السعادة (ص ١٤٠) بيت فيه (ق) يؤخذ شاهدا هنا . وفى عيون التواريخ لابن شاكر (ج ١٢ ص ٩٧) نادرة الصاحب بن عباد فى قوله (قه) وقول

النديم (وه) الخ .. وانظر هذه النادرة فى انس الوحيد (ص ٧٨) وفى أواخر نفح الطيب للمقرى : لغز فى (أ) من وأى للراعى . وفى شرح الصفدى على لامية العجم (ج ١ ص ٣٦٦) نادرة الصاحب . وفى مجموع السفيرى (ص ٢٨٢) نظم أفعال الأمر التى جاءت على حرف واحد ، وتزاد فيها الهاء وجوبا .

وفى شرح السيرافى على كتاب سيبويه (ج ٥ ص ٣٦٩) أفعال الأمر التى جاءت على حرف واحد مثل (هـ) وفى (ج ٥ ص ٥٠٦) كون الفعل لا يكون على حرف واحد ، وشىء من مجىء الأمر على حرف واحد .

وانظر فى مروج الذهب للمسعودى (ج ٢ ص ٣٦٥) نادرة وقعت لأبى خليفة الجمحى مع الأكارين لما اخذ بيده الأمر من (وقى) واسرع فى كلامه ...

* * *

تحقيق صيغة " الميناء "

قال ابو تراب :

هذه الكلمة مشتقة من (ونى - ينى) - كوقى - يقى - وهى من اللفيف المفروق ، وليست من (منأ) ولا من (مان) فإن معنييهما لا يتضمنان معنى المرفأ والمرسى .

ولقد وهم صاحب المنجد فوقع فى خطأ شنيع اذ ذكرها فى باب الميم فى مادة (المين » وهو غلط فاحش لأن ميمها ليست من جنسها قطعا ، والصحيح ذكرها فى باب الواو وكذلك فعل أئمة اللغة فى معاجمهم .

وأوردها المجد فى القاموس فى باب الياء وفصل الواو وتسلل الوهم إلى صاحب المنجد من تكرر ذكرها فى (المين) و (الونى) فى القاموس فقلد هو من سبقه الى الخطأ فذكر الكلمة فى المادتين معا دون أن يتنبه للوهم الناشىء فى ذلك .

فإذا علمنا هذا كانت صيغة « الميناء » على وزن (مفعال) .. إذن فهمزتها هى مقابل لام الكلمة وهى منقلبة عن ياء لأن أصل « المينـاء » (مونـاى) (بكسر الميم وسكون الواو الخ) باعتباره من (ونى) كما قلنا .

فقلبت الواو فى (موناى) ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وقلبت الياء التى بعد الألف همزا فصار ميناء .

فالهمز هنا مع المد ليس علامة للتأنيث أصلا لأن الهمزة لم تك زائدة بل هى منقلبة عن حرف أصل الكلمة وهو الياء مقابل اللام فى الوزن ، كما أن الياء فى « الميناء » بعد الميم المزيدة منقلبة عن واو كانت فاء الكلمة فى الوزن ، والألف أيضا بعد النون فى « الميناء » زائدة .

وشرط المؤنث بالألف المقصورة أو الممدودة أن تكونا أصليتين وإلا لم تعتبر الكلمة مؤنثا وذلك واضح فى عشرات الكلمات يوجد فيها المد والقصر وليست من المؤنث فى شيء .

وبهذا تحقق أن « الميناء » ليس مؤنثا ، وليست همزته إلا كهمزة ميقاء منقلبة عن ياء ، فاصله موقاى فقلبت الواو ياء والياء همزة .

ومثل هذا يقع فى الناقص الواوى واليائى أيضا وذلك كمرناء من رنا يرنو وأصله مرناو فقلبت الواو همزة وكمرماء من رمى يرمى وأصله مرماى فقلبت الياء همزا .

أما الميم فى صيغة « الميناء » فهى ظرفية إما مكانية وإما زمانية والأول أرجح عندى ويبعد أن تكون للآلة ولقد وهم من زعم هذا قائلا إن الميناء توجد به آلات تربط بها السفن لأن الميناء اسم موضع .

ووزن المفعال يأتى للظرفين المكانى والزمانى كالميقات موضع إحرام الحاج ، والميعاد وقت الوعد ، وهذا الوزن يأتى للآلة أكثر كالمنفاخ والمضراب ويأتى للمبالغة تارة لأن مفعالا وزن مبالغة فى أسماء الفاعلين كمهذار لكثير اللغو من أبواب الصحيح ومعطاء لكثير البذل من أبواب المعتل ومقراء لكثير الدرس من أبواب المهموز ومِمداد لكثير العون من أبواب المضاعف .

فعلى هذا فيكون (مينا) بدون مد ـ وصواب كتابته عندى (مينى) بالياء ـ مفعلا ظرفا لا آلة ويكون (الميناء) بمد مفعالا كالميقات وهما بكسر الميمين وغلط من قال إن أصله الفتح ثم جاء الكسر لأجل الياء لأن الياء ذاتها منقلبة عن واو لانكسار من قبلها .

ومفعال يستعار للزمان والمكان أو هو وزن لكل ذلك كالميقاد والميعاد وياآهما قلبتا عن الواوين لأنهما من وقد ووعد .

وكذلك المفعل بكسر الميم للآلة والمكان كالمحبرة لظرف المداد مفعلة ، والميضأة مثلها إلا أنها مهموزة اللام ومثال واوى والدليل على أن « الميناء »

لفيف مفروق هو ظهور الواو فى جمعه على « موانىء »

ونستدل على أن الهمزة فى هذه الكلمة ليست أصلية بسقوطها فى جمعها على (موان) جمع مينى .

فمينى أى (مينا) جمعه موان وإعرابه إعراب المنقوص ، وجمع ميناء على موانىء وأصله (موانيىء) كالمواقيت فى جمع ميقات وهنا ربما جاز أن تقلب الهمزة ياء وتدغم احدى الياءين فى الأخرى فتقول فى الجمع موانى بالتشديد لكن السماع لم يصح بهذا كما نص عليه ابن برى .

وليس وزن « الميناء » فعلاء ، لكون الميم غير أصلية كما ذكرنا ولأنه يقال (مينا) بدون همز ولأن الميناء مهموزا ينصرف انصراف المعرب ويقبل التنوين ولو كان كحمراء مؤنثا لما قبل ذلك البتة .

قال ابو تراب

وبعد أن قررت فى نظرى كتابة (المينا) الذى هو بدون همز بالياء هكذا (مينى) لأنه يائى فهو على وزن مفعل وجدت أحد المتقدمين وافقنى على ذلك وسأورد كلامه ، وأما « الميناء » بهمز ممدود فيكتب كما هو لأن الهمزة منقلبة عن ياء وفى هذا الموضع غلط كثير من اللغويين فى كتابة هذه الكلمة .

فقد كتبوا غير المهموز بالألف هكذا (مينا) ثم قالوا إنه يمد أيضا أى أن مده اشباع تنقلب به الياء همزا فعلى هذا كان له الوزنان المذكوران احدهما مفعل والثانى مفعال كمرمى اسم الآلة والمرماء للآلة الكبرى والمينى والميناء يجب أن يكونا كميسم وميعاد وزنا وميسم من وسم مثال واوى أى معتل الفاء .

وليس الميناء كالموماء لأن ميم الموماء أصلية وميم الميناء مزيدة كما أن همزة الميناء ليست كهمزة السيراء فإن همزة السيراء ثم علامة تأنيث وهى مزيدة بخلاف همزة الميناء فإنها منقلبة عن ياء حقيقية فهى أصل الكلمة .

واللغويون من المتأخرين تخبطوا فتارة جعلوا الميناء من المين وهو غلط فقد

ذكره المجد ثم تبعه صاحب المنجد ثم ذكره المجد فى الونى وتبعه أيضا صاحب المنجد دون أن يشيرا إلى ذلك .

والمذهب الأخير هو الصواب لأن الميناء يتضمن معنى الونى فقد قالوا فى وجه تسميته بذلك انه تنى فيه السفن أى تفتر عن جريها وأما المين فلا يتضمن معنى مرسى السفن أصلا .

ولقد نص الامام ثعلب على أن الميناء والمينى مفعال ومفعل وبـذلك قال الجوهرى فهذا دليل على أن الميم زائدة والحرف الأخير أصلى سواء أكان ياء أم همزة وليس علامة للتأنيث .

واستعمله قدامى اللغويين مذكرا ولم يقل أحد من الأئمة أن وزن المينى والميناء فعلى وفعلاء ولو قالوا لكان اللفظ من المين إذن لكان مؤنثا لأن الياء والمدة تصبحان علامتى تأنيث غير أصليتين .

لكنهم نصوا على أن وزنهما مفعل ومفعال فهذا دليل على كونهما من الونى لا المين كما توهمه بعض اللغويين المتأخرين فأوردوا الكلمة فى المادتين معا تقليداً أعمى وجهلا بالقواعد الصرفية وتبعا لمن وهم من قبل .

ولو كان الميناء من المين لكانت همزته زائدة فى حالة مدها ولكان قصره أيضا علامة للتأنيث ولكان إذن وزنه فعلى وفعلاء وحينئذ تكون ياؤه ياء الحبلى وهمزته همزة الصفراء لأن المين يستلزم أن تكون الميم أصلية لتكون الكلمة مؤنثا لفظيا . وأغرب من هذا من جعله من منأ وهو غير منصوص عليه فى كتب الأئمة المأخوذ عنهم .

ولا دليل على هذا المخرج فإن نصهم على أن اشتقاق الميناء من الونى وبيانهم فى ذلك سبب التسمية ثم ذكرهم وزن المينى والميناء بأنه مفعل ومفعال كل ذلك دل على أن الميم زائدة والحرف الأخير سواء أكان مداً أم قصرا أصلى مقابل لام الكلمة فهو مذكر بلا شك .

ومن العجب أن صاحب المنجد أقر بتذكير المينى والميناء فى مادة الونى لكنه تخبط فذكرهما فى المين ولم يشعر بوهم من سلف اذ قلده .

ثم ذكر المنجد أن جمع الكلمة موان وموانى فى كلتا المادتين أى المين والونى لكن صاحب اللسان نقل عن ابن برى انه لم يسمع فى جمعه التشديد بل هو موان بالتخفيف كجمع المرمى على مرام واعرابه إعراب غواش وقاض لأنه ملحق بالمنقوص لأن آخره حرف علة ، ولاجتماع حرفى علة فيه سمي لفيفا .

ونود ايراد نصوص المعاجم هنا تكملة للبحث فمن أراد أن يرجع اليها فليفعل ومن أراد أن يقف عندها فإننا قد أرحناه من العناء على أننا ذكرنا عند بعض النصوص الإحالات بالأرقام لتسهل المراجعة وبالله التوفيق .

قال ابن منظور فى لسان العرب (ج ٢٠ ص ٢٩٨) فى فصل الواو من باب الياء : « الميناء مرفأ السفن يمد ويقصر والمد أكثر سمى بذلك لأن السفن تنى فيه أى تفتر عن جريها قال كثير فى المد :

فلما استقلت مالمناخ[١] جمالها — وأشرفن بالاجمال قلت سفين
تأطرن بالميناء ثم جزعنه — وقد لج من أحمالهن شحون[٢]

وقال نصيب فى مده :

تيممن منها ذاهبات كأنه — بدجلة فى الميناء فلك مقير

قال ابن برى : وجمع الميناء للكلاء (بفتح الكاف وتشديد اللام بعدها ألف فهمزة) موان بالتخفيف ولم يسمع فيه التشديد .

وقال الأزهرى فى التهذيب :

« المينى مقصور يكتب بالياء موضع ترفأ اليه السفن » .

---

(١) أى من المناخ .

(٢) فى نسخة اللسان : لح بالحاء وهو خطأ .

وقال ثعلب :

« المينا يمد ويقصر وهو مفعل أو مفعال من الونى » .

وحكى ابن برى عن القالى قال : الميناء لجوهر الزجاج ممدود لا غير قال وأما ابن ولاد فجعله مقصورا وجعله مرفأ السفن ممدودا وهذا خلاف ما عليه الجماعة انتهى .

وقال الجوهرى فى الصحاح فى فصل الواو من باب الياء (ج ٢ ص ٥٦٤) :

« الميناء كلاء السفن ومرفؤها وهو مفعال من الونى » .

وقال الزبيدى فى تاج العروس (ج ١٠ ص ٤٠٣ :

« (المينا بالكسر مقصور (مرفأ السفينة) سمى بذلك لأن السفن تنى فيه أى تفتر عن جريها (ويمد) هكذا ذكره بهما القالى فى كتابه والمد أكثر وعليه اقتصر ابن ولاد ومنه قول كثير :

(تأطرن بالميناء ثم جز عنه إلخ) » .

❊ ❊ ❊

كلا.. لا تجتمع السين والذال في بناء كلمة عربية

نشرت جريدة حراء فى ١٤ ـ ١ ـ ٧٧ هـ كلمة للشيخ محمد العلوى الشنقيطى حول قول علماء اللغة « لا تجتمع السين والذال فى كلمة عربية » وكانت الكلمة تتضمن محاولة ابطال هذا القول حيث خطّأ الشيخ ارباب اللغة وعلماءها ونسبهم إلى الذهول فيما قالوا وزعم أن السين والذال تجتمعان فى كلمة واحدة واحتج على دعواه بآيات من القرآن الحكيم اجتمعت فى كلماتها السين والذال منها قوله تعالى « استحوذ عليهم الشيطان » وقوله « استأذنك أولو الطول منهم » إلى غير ذلك .

ونقل من مستدرك تاج العروس لفظ الأستاذ واسم سنباذ وسنبذ وقد اجتمع فى كل ذلك السين والذال وقال « لا دليل أدل (على ما قال) من آيات التنزيل الذى هو القول الفصل وما هو بالهزل »

وكنت قد علقت على ما كتب الشيخ ولكنى رأيت الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار تعقبه برد عليه موجز فلم أر لكلامى بعده داعيا للاحتياج فتوقفت عنه إلا أنى رأيت أخيرا ما كتبه بعض القراء يستفسر عن كلمتين هما السذاب والسذاجة وجدهما فى قواميس اللغة العربية وهما مما اجتمع فيه السين والذال معا فتوهم القارىء أنهما تعكران على القاعدة المذكورة فأردت اجابته فيما أكتب مفصلة بما يحضرنى فى الحال وبالله الاعانة .

أما كلام الشيخ الشنقيطى فكان بعيدا عن الصواب كل البعد لأن دعواه باطلة لم يقم بها برهان أصلا ولا ورد به نص من الكتاب ولا من السنة ولا جاءت به رواية لغوية صحيحة ولا سقيمة والذى جعله حجة له هو توهم منه وظن

خاطىء بالاضافة إلى عدم فهمه كلام العلماء اللغويين القائلين بأن السين والذال لا تجتمعان فى كلمة عربية .

ولقد تتبعت كتب اللغة فلم أقف على شيء اجتمع فيه السين والذال قط ولا على حرف ينص على اثبات دعوى الشيخ على رغم اعتنائى بعلوم العربية دهرا طالت به السنون اللهم إلا كلمات سوف أذكرها فيما يلى وليست من العربية فى شيء إذ هى معجمة معربة أو مقلوبة مبدلة .

وليس ببدع محاولة استدراك الشيخ الشنقيطى على العلماء الأقدمين بما لا يصح قطعا ولكنما العجب أن يستدرك انسان بآيات القرآن الكريم على رجل كان احفظ له منه فإن صاحب القاموس من الحفاظ الكبار وكان يحفظ مائتى سطر كل ليلة كما نقله غير واحد فليت شعرى كيف غاب عنه ما ورد فى كتاب الله العزيز فى مواضع كثيرة من اجتماع السين والذال فى كلمة واحدة مما تفطن له الشيخ الشنقيطى وغفل عنه كبار العلماء وأعجب من ذلك هو ذكر صاحب القاموس هذه القاعدة فى حرف الذال مع ذكره بعض ما اجتمع فيه السين والذال ولاشك أن هذا أدل دليل على عدم غفلته عما ورد من الكلمات التى تتضمن السين والذال ولكنها ليست بعربية فلذا نقول : كلا ان التصحيح فى مثل هذا لفى ضلال مبين .

والحق انه لم تجتمع السين والذال فى كلمة من كلام العرب قطعا ولا فى لفظتى الاستحواذ والاستيذان كما ظنه الشيخ لأن السين فى الاستحواذ والاستيذان ليست فى مقابل أى من الحروف الأصلية وهى الفاء والعين واللام التى يوزن بها بناء الكلمة والتى عليها مدار معرفة الكلم وأصولها فالاستيذان مادته إذن من مهموز الفاء على وزن فعل من باب علم يعلم والذال فيه عين الكلمة ولا توجد فى المادة سين أصلا وكذلك الاستحواذ هو من باب الاستفعال كالمادة الأولى وهو من الحوذ أجوف واوى والسين زائدة فى كلتا المادتين فلا تعتبر قطعا اذ ليست هى من بناء الكلمة ولا يجهل هذا إلا غمر لاحظ له من علم

الصرف الذى قالوا فيه قديما « الصرف أم العلوم والنحو أبوها ويقوى فى الدرايات داروها » .

فإذ قد أوضحنا ذلك بطل تعلق الشيخ الشنقيطى واستدراكه بالقرآن على الأئمة الأعلام ظنا وتوهما وظهر يقينا أن الاستحواذ والاستيذان لم تجتمع فيهما السين والذال بحال الأصالة ولا عبرة قطعا فى علم اللغة والتصريف إلا بأصل الكلمة ولولا ذلك لكان لفظ الاستيذان والاستحواذ من السداسى ولكان مخرجهما من باب السين فى كتب اللغة التى اعتبر فى تبويبها أول الكلمة ولكان هذا سبيل سائر الكلمات التى جاءت من أبواب الثلاثى والرباعى والخماسى المزيد فيها ولم يقل بهذا أحد .

ولقدوهم الأستاذ احمد عبد الغفور عطار أيضا فى رده على الشنقيطى فقال الاستيذان ليست كلمة واحدة بلا شك وهى كلمة واحدة بلا شك ولقد زل قلم الأستاذ فى العبارة نتيجة التسرع الذى وقع منه وجل من لا يسهو .

وأما كلمتا سنباذ وسنبذ فهما اسمان أعجميان يريد الشيخ يغالط بهما ولم يوردهما قط أحد من أهل اللغة احتجاجا بهما على دعوى اجتماع السين والذال فى العربية وانما أوردهما صاحب تاج العروس كإيراده كثيرا من المعرب واستدرك بهما على القاموس لأنهما وردا مستعملين فى الأسانيد وسلاسل الروايات فلابد من الاشارة إليهما كما أشار إلى سائر الأسماء الأعجمية بما ورد ذكره فى القاموس لشيوع استعمالها وكذلك دأب القاموس يذكر من مثلها كثيراً فلذا اقتضى التنبيه .

وكذلك كلمة الأستاذ فارسية مستعملة فى العربية وقد نص على كل ذلك صاحب تاج العروس بنفسه وإنما استدرك بها على القاموس لشيوعها فى العربية وهكذا كل ما ورد من المعجم فى القواميس العربية فإنه لا يدل ذلك على كونها عربية فصحى كما قلنا سابقا ولم يحتج أحد بأنها عربية لورودها فى المعاجم العربية وها هى ذه عبارة تاج العروس فى ج ٢ ص ٥٦٤ وسنباذ حجر مسن

معرب دل على عجمته وجود السين والذال وقال فى لفظ الأستاذ من كلام شيخه بأنه ينبغى التعرض له وان كان أعجميا ؛ وقال الشهاب الفيومى الأستاذ كلمة أعجمية والهمزة عنده أصلية فيه وقال الخفاجى فى الشفاء ص ٣٤ أستاذ ليس بعربى لأن مادة ستذ غير موجودة ولم يوجد فى كلام جاهلى وقال ابـن دحية الأستاذ كلمة ليست بعربية ولا توجد فى الشعر الجاهلى وهكذا قال الجواليقى فى كتاب المعرب .

وأما القول بعدم اجتماع السين والذال فى كلمة عربية فهو قول مجمع عليه ففى القاموس ج ١ ص ٣٦٧ ولا تجتمع السين والذال فى كلمة عربية . وهو قول صاحب التهذيب قال كما لا تجتمع الطاء والتاء أبداً وقال الزبيدى فى الشرح ج ٢ ص ٥٦٤ فلم يستعمل فى جميع وجوهها فى مصادر كلام العرب ؛ وفى لسان العرب ج ١ ص ٢٧ قال الأزهرى فى ترتيبه أهملت السين مع الطاء والذال والثاء إلى آخر حروفها فلم يستعمل من جميع وجوهها شيء فى مصاص كلام العرب .

وأما التى وقفت عليها فى كتب اللغة من الكلمات التى اجتمعت فيها السين والذال فهى كلها إما معربة وامّا مبدلة وقد استعمل فى العربية منها شيء نزر يسير على عجمتها وليست هى من الفصحى فلا تقوم بها حجة وها أنا ذا أورد منها للقارىء للافادة والله ولى التوفيق .

منها قولهم هذا قضاء سذوم فإنه أعجمى قاله الأزهرى وابن منظور ونقله الزبيدى أيضا (انظر لسان العرب ج ١٥ ص ١٧٧) قال انه ليس بعربى .

ومنها ساكوذ اصله سياه كوذه وهو فارسى معرب بمعنى مسلخ الحمام قالـه المطرزى فى المعرب انظر اللسان ج ١ ص ٢٧٣)

ومنها البسذ للجوهر فهو أيضا من الدخيل (انظر اللسان ج ٥ ص ٩)

ومنها السبذة بمعنى الوعاء شبه المكتل وهو لفظ فارسى معرب قاله المجد والسيد المرتضى وابن منظور (راجع حرف الذال) .

ومنها أسبذ وهو أيضا فارسى قاله ابن الأثير وقوله حق لأن كلمة أسب بمعنى الفرس موجودة أعرفها باللغة الفارسية وفى الحديث عن ابن عباس جاء رجل من الاسبذيين إلى النبى ﷺ وهم قوم من المجوس لهم ذكر فى حديث الجزية وكانوا يعبدون الفرس فلذلك نسبوا إليه والجمع اسابذة والمفرد اسبذى منسوبا وهذه النسبة ذكرها ابن حزم فى جمرة النسب فى نسب بنى تميم وذكرها أيضا غيره وقال الخفاجى فى الشفاء ص ٣٨ اسبذ اسم قائد من قواد كسرى معرب وقع فى شعر طرفة وقيل هم قوم يعبدون البراذين .

ومنها كلمة سذاب للبقلة المعروفة وهى أيضا معربة قاله الشهاب فى كتاب الدخيَل ص ١٤٧ ومنها السذبة بمعنى الوعاء قد ذكره فى القاموس أيضا .

ومنها السذاجة مأخوذة من الساذج وهو معرب ساده وأصله فارسى قال ابن سناء الملك

ســـــاذجــة لكنهـــــــا بالحســـن قـــد تزرقت

ومنها سميذ وهو نوع من الخبز أبيض كان يعمل للأكاسرة .

قال ابن الرومى :

خذ يا مريد المأكل اللذيذ جردا فتـــى خبـــز من السميذ

والكلمة أعجمية وينسب بها جماعة من المحدثين والعلماء قاله السمعانى فى الانساب (انظر ورقة ٣٠٧) .

ومنها ذفطس أى ضياع مال وهو من المقلوب وأصل الذال فيه دال مهملة على الصواب .

ومنها اذ يطوس كلمة رومية فعربت

ومنها السميذع الصواب اهمال الدّال فيه كما يدل على ذلك كلام الجوهرى وابن سيده والصاغانى بل صرح بعضهم فيه بأن اعجام ذاله خطأ وفى الفصيح

هو السميدع بمعنى الكريم ، الشريف ، السخى ، السيد ، وأنشد الصاغانى للحادرة :

تخـدو الفيافى بالرجـال وكلها   يعـدو بمنخـرق القميص سميدع

وقال متمم بن نويرة يرثى أخاه مالكا :

وان ضرس الغـزو الرجـال رأيته   أخا الحرب صدقا فى اللقاء سميدعا

وقال رؤبة بن العجاج :

هاجـت ومثلى نولـه أن يرجعا   حمامـة هاجـت حمامـا سجعا
ابكت أبا العجفاء والسميدعا

والسميدع هنا اسم رجل وفى وزن السميدع عند النحاة خلاف ليس هذا موضع ذكره وبالجملة فالاعجام ليس بصحيح فيه كما لم يذكره ابن منظور فى اللسان (وانظر تحقيق القول فى تاج العروس ج ٥ ص ٣٨٦) .

ومنها السذق فارسى معرب نقله الجوهرى ويقال فارسيته سذه والسوذق كجوهر السوار وفى تكملة العين للخارزنجى جاء بمعنى القلب وانشد أبو عمرو للجلاح بن قاسط العامرى :

ترى السوذق الوضاح فيها بمعصم   نبيل ويأبـى الحجـل أن يتقدما

وهو معرب أيضا والسوذق بالفتح والضم فى أوله بمعنى الصقر أو الشاهين والسيذاق والسيذقان كزعفران وهو بالفارسية سودانه فعرب والسوذق أيضا حلقة القيد سميت به لمشابهتها السوار وقال ابن الأعرابى السوذقى النشيط الحذر المحتال قال الزبيدى أنه منسوب إلى السوذق وهو الصقر وفيه حذر واحتيال ، وكله من المعرب .

والسوذنيق كزنجبيل والسيذنوق ورد فى رجز حميد الأرقط كما أنشده النضر بن شميل قال :

وحـاديا كالسيذنـوق الأزرق   ليس على آثارهـا بمشفق

والسوذانق قال فيه لبيد :

وكأنــى ملجــم سوذانقا أجــدليا كره غــير وكل

وكذلك السذانق بمعنى الصقر أو الشاهين قال فى تاج العروس كل ذلك معرب وأصله سودناه بالفارسية (انظر تاج العروس ج ٦ ص ٣٧٨) وقال ابن منظور فى اللسان ج ١٢ ص ٢١ وجميع ذلك فارسى معرب ، وقال الأزهرى هو معروف عند العجم ، وقال الخفاجى فى الدخيل ص ١٤٧ سوذانق ويقال سوذنق الشاهين معرب .

قال ابو تراب :

هذا وقد تبين بما قدمنا أن السذاب والسذاجة كلمتان معربتان فلا تقعان موقع نقض فى قاعدة عدم اجتماع السين والذال وأما قول السائل بأنه لم يصرح بتعريبهما فهذا مما لم يطلع عليه هو وقد أوضحنا بالنصوص المتقدمة التصريح الوارد بذلك فى كتب اللغة ولله الحمد .

* * *

حول اجتماع السين والذال

قال ابو تراب

سؤال وقع عن اجتماع السين والذال فى كلمة ما عربية : هل يتفق ذلك أم لا ؟ وكنت أجبت على ذلك بما قاله أهل العلم باللغة من أنهما لا تجتمعان قطعا فى بناء كلمة عربية كما هو المنصوص فى المعاجم العربية . ومما عجبنا له فى ذلك مخالفة أحد الأفاضل ممن ينتسبون للعلم وأهله ، فقد نشرت جريدة حراء فى العدد ٣٨ الصادر فى ١٤/١/٧٧هـ كلمة للشيخ محمد العلوى الشنقيطى حول كلمة « الأستاذ » وهو ينكر قولنا فى ذلك ويزعم أن السين والذال تجتمعان فى الكلمة العربية وتمسك بآيات من الكتاب العزيز كقوله تعالى : استحوذ عليهم الشيطان ، وكقوله تعالى : لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله ..ويرى الشيخ الشنقيطى ان كلمة الاستئذان والاستحواذ ، وهما عربيتان صحيحتان فصيحتان ، قد اجتمعت فيهما السين والذال معا ، فعلى ذلك كان جزم اللغويين عنده بعدم اجتماعهما خطأ غير صحيح .

وقد كنت كتبت رد هذا الوهم الذى وقع فيه الشيخ لعدم تأمله فصادف مجيء صديقنا المفضال الأستاذ احمد عبد الغفور العطار من القاهرة واطلع على ما كتبته وأقره ثم تفضل هو أيضا بكتابة كلمة وجيزة حول هذا الموضوع ونشرت كلمة الأستاذ على رغم سبقى اياه فى الكتابة المفصلة الثنايا المبسوطة ، ولكن ادارة تحرير جريدة البلاد استأذنتنى فى نشر كلمة العطار قبل كلمتى وأذنت لهم فى ذلك تكريماً له .

على أننى راض بأن أحمل الهوى ... وأخلص منه لا على ولا ليا

ثم نشرت كلمتى فى حلقتين بعنوان « كلا لا تجمع السين والذال فى بناء كلمة عربية » بعددى ٢٥٣٠ و ٢٥٣٢ فى تاريخ ٧٧/١/٢٩هـ و ٧٧/٢/٢هـ ، وكان فيما كتبته الاقناع الكافى لمن تأمل وألقى السمع وهو شهيد .

ثم جاء على ذلك زمن غير قصير لم يتكلم فيه الشيخ الشنقيطى بشىء وخلته اقتنع بما رددنا به كلامه وأصلحنا به وهمه ، إلا أنى قرأت فى جريدة حراء الصادرة بتاريخ ٧٧/٧/١٢هـ كلمة للشيخ المذكور يثير فيها البحث القديم ويحاول التغلب بدون حجة ولا برهان وانما يتشبث بمغالطات وإيهامات باطلة غير صائبة .. ومما رابنى فى كلامه اتهامه اياى بأنى قلت إن كلمة الاستحواذ فى القرآن غير عربية وهذا كذب محض لم أقله قط وحرام أن أقوله وإنما الذى قلته هو أن الكلمات التى اجتمعت فيهن السين والذال مقابلتين للحرفين الأصليين فى الوزن هى التى ليست بعربية ، بل هى معربة ، وكلمة الاستحواذ لم تكن فيها السين أصلية وهى عربية لاشك فيها ولم تجتمع فيها السين والذال لأن وقوع السين فيها ليس بمقابل أحد الحروف الأصلية فى الوزن بل هو بعينه فى الوزن لأن الاستحواذ أصله حوذ ولا توجد السين فى هذه المادة الصحيحة كما هو ظاهر ومثله الاستئذان فهو مشتق من الاذن وحروفه الأصلية ألف وذال ونون وليس فيها السين أصلا ، والدعوى على الحروف الأصلية لا الحروف الزائدة المضافة إلى مادة الكلمة . ولما كان لزاما أن أدفع البهتان الذى سيق إلى قمت لأجيب الشيخ المذكور وأنصحه أن لا يتعلق بإيهامات هى أوهى من نسج العنكبوت .

وأوضح أن استشهاد الشيخ الشنقيطى بعبارة القاموس إن هو إلا مغالطة فاشلة أبى الحق قبولها .. وأرى الشيخ ذهب ينقب عن كلمة الاستحواذ وصحتها فى العربية ، ونحن لم ننكر هذا قطعا ولكن الذى جزمنا به هو أن كلمة الاستحواذ من باب الاستفعال ، وهى مزيد عليها بثلاثة أحرف على أصل الكلمة وهو حوذ ولا عبرة إلا بأصل الكلمات فى سائر مذاهب اللغويين والصرفيين ولولا ذلك لكان

وجود كلمة الاستحواذ فى القاموس يكر على صاحب القاموس فى قاعدته وتوهم الشنقيطى حيث تشبث بعثوره عليها فى القاموس نفسه ونناشده بالله أن يبين للقراء أين وجد تلك الكلمة ؟ هل فى الألف أم السين أم التاء ؟ ولعمرى كل ذلك لم يكن وانما وهى فى الحاء لأنها هى الحرف الأصلى فيها ولم تعتد القوانين الصرفية ولا اللغوية إلا بالحرف الأصلى أبدا .

وعلى هذا فكان كلام المجد فى القاموس على أصله صحيحا بلا مرية وهو أنه لا تجتمع السين والذال فى كلمة ، أى فى بنائها الأصلى الذى به اعتبار مادة الكلمات .. ولا يستطيع الشيخ ولا أحد غيره أن يثبت كلمة اجتمع فيها الحرفان المذكوران على أن يكونا أصليين ، وأنا أطالب كل من عارضنا بأن ينزل الميدان ليبرز ولو كلمة واحدة اجتمعت فيها السين والذال أصليتين وما أخالهم بفاعلين .

وأزيد الشيخ الشنقيطى ايضاحا أوسع مما قدمت وذلك بأن كلمة الاستحواذ التى فرح بوجودها هو فى القاموس ليست هى وحدها موجودة فى القاموس بل مثلها كثير لو أراد الانسان أن لا يعتبر أصلية الحرفين المبحوث عنهما وكل ذلك تجتمع فيه السين والذال ، فهلا تمسك بما هذه صفته ففى القاموس :

استأخذ واستبذ واستعاذ واستنفذ واستلذ واستنقذ ، وهذه ست كلمات ومثلهن كثير وكلها تجتمع فيها السين والذال ولكن لا اجتماعهما فى أصولها فلا عبرة بها بحال من الأحوال ولئن اجتمعت السين والذال فى هذه الكلمات فإنها كاجتماعهما فى كلمة :

استحبذ واستشحذ واستغذ واستفلذ واستلاذ واستفخذ واستنبذ واستنفذ ، وكل ذلك باب الاستفعال وأصول هذه الكلمات لا توجد فيها السين لأنها :

حبذ وشحذ وغذذ وفلذ ولوذ ونبذ ونفذ وأصول الكلمات الأولى أخذ وبذ وعوذ وفذ ولذذ فلذلك لا توجد إلا فى مظانها الأصلية فى المعاجم لا فى الحروف التى زيدت فيها .

وبهذا يلوح غلط الشيخ الشنقيطي وبطلان إيهامه وتوهمه ومغالطته جليا ولا أدرى كيف يمكن القول بتخطئة الفيروز آبادى صاحب القاموس استدلالا بما أورده من هذه الألفاظ الجامعة بين السين والذال فى هذه الأحوال التى ذكرناها كما فعل الشيخ مع أن السين زائدة فيها غير أصلية وان ذلك لدليل قوى جدا على أن المجد لم يعن بقوله المذكور إلا اجتماع الحرفين فى أصالة الكلمة مع كونها عربية صحيحة فصحى لأنا وجدنا كلمات كان الحرفان فيها أصليين إلا أنها معربة ليست بعربية كما سأذكر ذلك .

وعفا الله عن الشيخ الشنقيطى وهداه إلى صراط مستقيم فلقد طعن على المجد وعلماء اللغة ونسبهم إلى الغلط والجهل وألزمهم بأنه وجد السين والذال مجتمعتين فى كلمات فى القرآن ، فكيف يقولون بعدم اجتماعهما مع أنه غلط فى الفهم ولم يعرف أن الاجتماع الحاصل كان على غير أصالة الحرفين المذكورين ، وأن العلماء القائلين بالقانون المذكور لم يقولوا به إلا بعد التثبت والتتبع البالغ وهم علماء اللغة العارفون بمظانها فلو أن هذه الكلمات التى وجدها الشيخ فظن أنها جامعة بين الحرفين كانت على صحة صحيحة البناء مع الحرفين المذكورين لما تجاسروا على الادعاء الذى زعمه الشيخ باطلا .

والعجب أن الكلمات التى يستشهد بها الشيخ ويريد بها نقض القاعدة هى لم تخف على من قرر القاعدة فهو قررها عالما بها وبذلك يفهم المراد البصير الحاذق إلا من حرم على أن المجد لم يتفرد بالقول الذى قاله فى الجزم بعدم اجتماع الحرفين بل قد ذكره جماعة من أهل العلم منهم الأزهرى وقوله منصوص فى تهذيب اللغة ومنهم ابن منظور الأفريقى وقوله موجود فى لسان العرب نقلا عن أئمة اللغة ومنهم الزبيدى فى شرح القاموس وقالوا انه لم يستعمل فى مصاص كلام العرب .

وهؤلاء الأئمة كلهم متفقون على أن السين والذال لم توجدا مجتمعتين فى كلمة عربية صحيحة ومرادهم فى ذلك بناؤها الأصلى وبعيد جدا أن يكون هؤلاء

يقولون هذا القـول ويغفلـون عن الآية القـرآنية التـى اطلـع عليهـا الشيخ الشنقيطى ، فلو كانوا يريدون اجتماع الحرفين كما اجتمعا فى الآية لما قالوا ما قالوه .. ومنهم حافظ للقرآن .. فكيف يمكن الزامهم بما يلزمهم الشيخ ؟!!

وقد ذكرنا فى مبحث اجتماع السين والذال فى بناء كلمة عربية انهما لا تجتمعان كما ذكر ذلك علماء اللغة ، ومعنى قولهم انهما لا تجتمعان أى إنهما لم توجدا فى المادة الأصلية من كلمة عربية ، وبينا أن المراد من المادة الأصلية هى الحروف الأصلية من الكلمة وهى التى تأتى مقابل الفاء والعين واللام أو اللامين أو الثلاث اللامات فى الوزن .

ونحن إذ نريد اختتام هذا البحث ندعمه بمعلومات أخرى مع تفسير ما سبق من الكلام ليكون أكمل للمراجعة وأتم فى الاقناع . ومما يدل على بطلان قول الشيخ الشنقيطى الذى يزعم اجتماع الحرفين المذكورين توهما منه بالآيات القرآنية التى وردت فيها كلمات تجتمع فيها السين والذال وقد أثبتنا أنهما لم يجتمع كلاهما أصالة فلذلك بقى قول علماء اللغة على حاله مقررا القاعـدة المذكورة التـى استنبطت بعد الاستقراء التام للغة العربية أقول مما يدل على بطلان قوله هذا وجود كلمات كثيرة عربية اجتمعت فيها السين والذال ولكن لا على أصالة كلتيهما فلذلك لم يكن لذلك الاجتماع اعتبار أبدا ومن تلك الكلمات مما يؤاخذنا به الشيخ لفظ الاستحواذ فى القرآن وقد قال إننا أنكرنا كونه عربيا ونحن لم نقل كذلك قطعا ونعوذ بالله من أن نقول ذلك وإنما قلنا إن السين ليست من مادة الكلمة لأنها من باب الاستفعال فلذلك لا يدخل ما كان سبيله هذا فى الاحتجاج به ونحن لا ننكر أن استأخذ واستعاذ واستبذ وأشباهها كلمات عربية ، ولكن السين فيها من الحروف المزيدة وليست من الأصلية فلذلك فهما لم يجتمعا ، فليست هى تعكر على ما قاله أئمة اللغة من سبيل الكلمات التى وردت فى القرآن تجمع بين الحرفين لا على الأصلية المرادة والمطلوبة ، فكان كلام الشيخ ظاهر الانتقاض ،

أما الزامه إيانا بأنا لا نؤمن بعربية الاستحواذ فهذا شيء نطالبه بإثباته علينا وإلا فالله حسيبه على ما تقول علينا وهو الرقيب .

وأقول انى تتبعت اللغة ووقفت على حياضها زمانا فوجدت كلمات اجتمعت فيهن السين والذال على الأصالة وكان يتحتم بذلك أن تنتقض القاعدة التى ذكرناها ولكن وجدنا الكلمات معربة والشرط هو أن تكون عربية فلذلك نرجع إلى قولنا بأن السين والذال لم توجدا فى كلمة عربية مجتمعتين قطعا ومن ادعى خلافه فعليه البرهان والاثبات .

وها أنا ذا أورد الكلمات التى اتفقت فيها السين والذال حال كونهما حرفين أصليين من الحروف التى تقابل الفاء والعين واللام ولكنها معربة فأبين هذه الكلمات ليكون الناظر على علم وبصيرة ثم ليستفيد ما لم يحط به علما والكلمات هاهى ذه :

سذوم ـ ساكوذ ـ بسذ ـ سبذة ـ اسبذ ـ سذاب ـ سذاجة ـ سميذ ـ ذفطس ـ اذيطوس ـ سميذع ـ سوذق ـ سنباذ ـ أستاذ .

وإنك ترى أن السين والذال فى هذه الكلمات حرفان أصليان ولكن الكلمات كلها دخيلة معربة عن الأعجمية فليست تقوم بها حجة على من يجزم بعدم وجود اجتماع الحرفين المذكورين .

وإننى قرأت فى كلام الشيخ الشنقيطى وهو يرد على أهل اللغة بأن كلمة سنباذ اجتمع فيها الحرفان ولكن الشيخ غفل عن أنها كلمة عجمية فكيف يصح الاحتجاج بها والله الهادى إلى الرشاد . ولا أنسى تعليقى هنا بأن كلمتى الاستيذان والاستحواذ اللتين تمسك بهما الشيخ رادا على لم تجتمع فيها السين والذال فى بنائيهما الأصليين لأن استحوذ ثلاثى مزيد فيه بثلاثة أحرف وأصله أجوف واوى ومادته حوذ أصلا وكذلك استأذن فعل مهموز الفاء مشتق من الأذن وهو ثلاثى أيضا زيد فيه وركب على باب الاستفعال فكان كما ترى فاجتماع الحرفين المبحوث عنهما لم يكن فى مادة الكلمة الصحيحة أبدا بيقين ولو كان

الاحتجاج بمثله جائزا لكان جهلا بأحكام اللغة وقوانين الصرف ولا يبيح ذلك انسان له مسكة من العلم ونسأل الرشد والهدى على كل حال .

أما الكلمات التى ذكرنا أنها قد اجتمعت فيهن السين والذال فى أصولهن فإليك بيان كونها معربة غير عربية .

فكلمة أستاذ فارسية الأصل استعملت فى اللغة العربية نص عليه الشهاب الفيومى والزبيدى وصاحب تاج العروس (أنظر ج ٢ ص ٥٦٤) وقال الخفاجى فى الشفاء فى ص ٣٤ أستاذ ليس بعربى لأن مادة ستذ غير موجودة وقال ابن دحية الأستاذ كلمة غير عربية ، وهكذا قاله الجواليقى فى كتاب المعرب . وكلمة سذوم فى قولهم هذا قضاء سذوم نص عليه الأزهرى انه أعجمى ونقله الزبيدى أيضا وقال فى لسان العرب (ج ١٥ ص ١٧٧) انه ليس بعربى ، وكلمة ساكوذ فارسية معربة معناها مسلخ الحمام قاله المطرزى فى كتاب المعرب وانظر لسان العرب (ج ١ ص ٢٧٣) . وكذلك كلمة بسذ للجوهر دخيلة ذكرها ابن منظور أنظر كتابه (ج ٥ ص ٩) . وكلمة سبذه بمعنى الوعاء شبه المكتل أصلها فارسى ثم عرب ذكره المجد والمرتضى وابن منظور فى حرف الذال من كتبهم . وأيضا كلمة اسبذ فارسية قال ذلك ابن الأثير أحد علماء الحديث وينسب بهذا اللفظ قوم من المجوس كانوا يعبدون الفرس واسب باللغة الفارسية هو الفرس أعرفه هكذا فى لغة الفرس وهو معروف وقال الخفاجى فى كتاب الدخيل اسبذ معرب وانظر ص ٣٨ من كتاب الشفاء .

وكلمة سذاب اسم للبقلة المعروفة وهى أيضا معربة نص على ذلك الشهاب فى كتابه فى المعرب والعامى ص ١٤٧ ومنه السذبة ذكره فى القاموس . وكلمة السذاجة مأخوذة من الساذج وهو معرب ساده فارسى ، قال ابن سناء الملك :

ســـاذجة لكنهـــا بالحسن قد تزوقت

وكلمة السميذ وهو نوع من الخبز وهى كلمة عجمية ذكرها السمعانى فى كتاب الانساب ورقم الورقة ٣٠٧ فى نسخة عندى خطية وأخرى مصورة من

ليدن . وكلمة ذفطس اجتمع فيها الحرفان ولكن الذال مقلوبة من الدال كما هو منصوص فى المعاجم العربية . وكذلك كلمة اذيطوس فإنها معربة من الرومية ، وكلمة السميذع أصل الذال فيه دال كما يدل عليه كلام الجوهرى وابن سيده والصاغانى وصرحوا بأن الفصيح سميدع بالدال واعجامها خطأ وهو بمعنى الكريم والشريف ، وشاهده قول الحادرة :

تخدو الفيافى بالرجال وكلها يعدو بمنخرق القميص سميدع

وقول متمم بن نويرة يرثى أخاه مالكا :

وان ضرس الغزو الرجال رأيته أخا الحرب صدقا فى اللقاء سميدعا

وقول رؤية بن العجاج :

هاجت ومثلى نوله أن يربعا حمامة هاجت حماما سجعا

ابكت أبا العجفاء والسميدعا

وتحقيق القول فى هذا ذكره فى تاريخ العروس (ج ٥ ص ٣٨٦) فليراجع .

ولفظ السذق كذلك فارسى معرب قاله الجوهرى ومعناه السوار وهو بالفارسية سذه ثم عرب واستعمل فى العربية كما استعمله الجلاح بن قاسط العامرى فقال :

ترى السوذق الوضاح فيها بمعصم نبيل ويأبى الحجل أن يتقدما

ومنه السيذاق والسوذانقة والسوذقى والأصل الفارسى سودانه وقال حميد الأرقط :

وحاديا كالسيذنوق الأزرق ليس على آثارها بشفق

وتحقيق القول فى تاج العروس (ج ٦ ص ٣٧٨) وقال فى لسان العرب ج ١٢ ص ٢١ فى تصاريف هذه الكلمة ان جميع ذلك فارسى معرب ، وقال الخفاجى فى كتاب الدخيل ص ١٤٧ سوذانق معرب .

ومن ذا الذى يجهل أن اعتبار الكلمات لا يكون إلا بأصلها فى اللغة ؟ ومن ذا الذى لا يعرف أن بحث اللغويين دائما يدور حول أبنية الألفاظ دون ما يزاد

عليها فى التصاريف ومختلف الصيغ ؟ ومن ذا الذى لا يعلم أن القانون الصرفى ناطق بضابط الوزن فى معرفة حقيقة الكلمة ومادتها فإن علماء الصرف واللغة لا يعتدون بحروف الكلمة إلا ما طابق وزنها من فاء وعين ولام فى الثلاثى أو فاء وعين ولامين فى الرباعى ، أو فاء وعين وثلاث لامات فى الخماسى فما كان من الكلمات جاء على هذا الوزن فهو أصل الكلمة ومادتها الصحيحة سواء كانت الكلمة معتلة بالواو أو الألف أو الياء فكانت مثالا أو أجوف أو ناقصا وكذلك إذا كانت الكلمة من المضاعف الثلاثى أو المضاعف الرباعى أو كانت مهموزة الفاء أو العين أو اللام أم كانت الكلمة خالية من هذه الأوصاف كلها فكانت صحيحة لم يوجد فيها همز ولا إعلال ولا تضعيف .

وهذا هو المفهوم فى علمى اللغة والتصريف وبذلك يتبين واضحا قولنا ان الاعتداد انما هو بأصل الكلمة لا بأحوالها الطارئة عليها فى مختلف التصاريف وليست تصاريف الكلمة المتباينة الأشكال إلا أحوال متفاوتة تطرأ على اللفظة فتدل على معانيها المختلفة وتأخذ بالكلمة إلى شتى التعابير لتكون دالة على أفعال عديدة وتسمى هذه التصاريف صيغا عند علماء الصرف وهذا الذى قلناه هو شيء أجمع عليه العلماء ولم يختلفوا فيه أبداً ، ولنضرب هنا مثلا ليكون فى موضوع البحث أحكم وأرسخ وللفهم أوضح وأبين

وها أنا ذا آخذ كلمة « ضرب » لأقيمها مثالا ، فضرب كلمة لا يوجد فيها حرف علة ولا همزة ولا تضعيف ، فهى إذن صحيحة البناء غير معتلة ولا مهموزة ولا مضاعفة ، ووزنها الصرفى فعل وقد طابقت الضاد والراء والباء مقابلة الفاء والعين واللام ، وهو ثلاثى فعلم بذلك أن الضاد والراء والباء هى بناء الكلمة ومادتها الأصلية فى حال كونها مجردة من أية زيادة تنضاف إليه ، فإذا صرفناها تصريف الماضى وجدنا تتولد منها أربع عشرة صيغة هى ضرب ضربا ضربوا ضربت ضربتا ضربن ضربت ضربتما ضربتم ضربت ضربتما ضربتن ضربت ضربنا ، فهذه التغييرات التى حصلت فى الكلمة إنما هى زيادات على المادة

الأولى نفسها وهى علامات لمعان مختلفة ولا يقال قطعا أن التاء والميم مثلا فى ضربتم من الكلمة نفسها لأنهما علامة لجمع المذكرين المخاطبين وهما زائدتان على أصل المادة وهكذا فالقياس .

ومثل ذلك إذا صرفنا الكلمة نفسها تصريفها فى المضارع فنقول : يضرب يضربان يضربون إلخ .. فهذه التغييرات التى تحصل فى الكلمة ليست من نفسها ، بل هى ضمائر وعلامات بلا شك ..

ثم لنعد إلى الكلمة ذاتها فنصرفها فى إسم المكان والآلة والزمان واسمى الفاعل والمفعول والمصغر ، فنجدها تتغير من الضرب الذى هو الأصل إلى مضرب ومضارب ومضاريب وضارب ومضروب وضربى وضريبى وضويرب إلى غير ذلك ، فالزوائد فى هذه الأحوال ليست من الكلمة فى شيء ..

وهكذا إذا ركبناها على باب الافتعال فأخرجناها من أصليتها الثلاثية إلى الزيادة فيها بحرفين فنقول اضطرب بانقلاب التاء طاء أو على باب الافعال بزيادة حرف واحد على الأصل فنقول اضرب ، أو على باب الاستفعال بزيادة ثلاثة أحرف فنقول استضرب كما فى استحوذ ، فإن الكلمة فى هذه التراكيب المختلفة لم تصر ذات أربعة حروف أو خمسة أو ستة بل هى ثلاثية مزيد فيها بحرف أو حرفين أو ثلاثة ومادتها الأصلية الصحيحة هى الضرب لا غير ذلك قطعاً .

وكذلك فالقياس إذا ركبت هذه الكلمة على باب الانفعال فقلت انضرب وغير ذلك مثله .

وهذا الذى قلناه هو اجماع مقطوع به لا مرية فيه أصلا .

وكذا القول فى سائر الصيغ من أبواب متفرقة فباب اجلوذ وباب احدودب وباب اقعنسس وباب اسلنقى وباب احمر وباب تدحرج وباب تضارب وباب اقشعر كلها أبواب مزيد فيها لا اعتبار للحروف الزائدة فيها أصلا وإنما الذى يؤخذ هو أصل المادة ومشتقَ الكلمة ، فلولا ذلك كذلك لكان مخرج اقعنسس فى

الألف وتضارب فى التاء والأمر من وقى يقى ق فى القاف والأمر من أمر يأمر مر فى باب الميم دون الهمزة وليس يصح هذا بحال ، لأن التغييرات حادثة والعمدة على الأصل .

فإذا فهم الانسان ذلك أدرك أن البحث إنما يجرى على أصلية الكلمة وعليها الدعوى والأصلية قد تكون بفاء وعين ولام واحدة أو لامين اثنتين أو ثلاث لامات كدحرج على وزن فعلل وجحمرش على وزن فعللل وهذه الحروف هى ميزان معرفة أصلية الكلمة وعليها مدار كلام الصرفيين واللغويين فى كل كتاب بعد أن قرروا قواعد لهذا العلم الشريف فى كتبهم وعليها بنوا وضع المعاجم الموجزة والضخمة على حد سواء .

ولا أنسى أن أشير هنا الى أن الزيادة قد تكون على الثلاثى بغير ما قدمنا من علامات ، وقد تكون فى الرباعى أيضا كتدحرج ووزنه تفعلل وقد تكون فى الخماسى كخندريس بزيادة الياء على الأصل ووزنه فعلليل ومعرفة الزيادة تكون بأنها تأتى فى الوزن بحروفها ..

وعلى هذا الأساس ثبت أن كلمة الاستحواذ استفعال وهى زيدت فيها الألف والسين والتاء فالسين من الحروف الزائدة عليها فلا يمكن احتجاج الشيخ الشنقيطى بأن هذه الكلمة اجتمعت فيها السين والذال معا لأن اجتماعهما غير أصلى لمقابلة السين سينا فى الوزن وليس ذلك تقابل مع الحرف الأصلى .. ولقد اندحض بهذا القول وجود هذا الاجتماع فى الكلمة العربية .

ورجع بنا القول إلى أن السين والذال لا تجتمعان فى كلمة عربية فصحى أى أنهما لم توجدا فى شىء من كلام العرب الصحيح كما قاله أئمة اللغة النقابون العارفون بمجارى اللغى .

وقد أثبتنا أن ما وجد من الكلمات وقد اجتمع فيه الحرفان المذكوران أصليين فإنما هو غير صحيح فى العربية بل معرب وأعجمى دخيل ومن تلك الكلمات الأستاذ وسنباذ وسذوم وساكوذ وغير ذلك مما بينا .

والسين يكثر وجودها فى اللغة العربية وكذلك الذال وحيثما اجتمعتا تجد أحد الحرفين زائدا ليس من الأصل أو مقلوبا عن حرف آخر غيره ومثال الزائد استحوذ واستأذن وما كان على منحاهما ، فإن السين فى كل ذلك من باب الاستفعال وهى مزيدة ومثال الثانى سميذع ، فقد صرح العلماء بأن أصل الذال فيه دال وهو بالذال خطأ مشهور.

* * *

ذيل لتعليق ابن عقيل على رسالة نادرة لابن حزم

قال أبو تراب :

إن مجلة « عالم الكتب » مطمع أنظار المحققين - اليوم - قد انبعق جودها بفوائد خيرها ، منذ أول النشأة ، ونحن نستفيد من كل جزء منها جديد ما يحمله من عطاء ، بارك الله فى جهود « يحياها الساعاتى » ذى الزكانة الفائقة فى معرفة التراث ، والحرص الرابى على ذخائره ونفائسه .

وفى الجزء الرابع من المجلد الأول الذى خرج فى ربيع الآخر ١٤٠١ هـ وقفت على رسالة نادرة للحافظ « ابن حزم » أملاها على تلميذه « الحميدى » تتعلق بحديثين وردا فى الصحيحين ، ونشرتها المجلة ، وأصلها بمكتبة أحمد الثالث بتركية (رقم ٦٢٤/ ٧) بتحقيق صديقى العلامة « أبى عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى » ، وهو من هو فى العناية بآثار الحافظ « ابن حزم » ، طول باع ، وحسن تفهم ، وجلدا على البحث ، وتحصيلا لكتبه ، وتفانيا فى خدمتها ، وانخراطا فى سلكها ، وقد أتبعنى بصلته ، وتوفر على جميل إحسانه ، بارك الله فيه ، ولست ممن ينسى من يتسخى عليه ، كيف وهو : (كان لنا لما أتى جدافاه) وتصويره لى هذه الرسالة ، قبل نشرها ، بعض تلك الأفضال التى يشكر عليها ، وجاء تحقيقه لها ، على وجازته ، نقطا على عروس الحروف ؛ طوقت طلبة العلم منه ، ونفلتهم غنيمة ، نديت كفه ، وهو يمسك بشناتره قلمه .

وكفٌّ تُرى وكْفَ الحَيَا كيف ينهمى ... إلى خُلُقٍ يهْدى نسيم الصَّبا النفحا

وآياتُ علم أغمدَ الجهلَ نورُها ... وغـايات جِدٍ ليس تطلابُهـا مزحا

والمقدمة التى حررها صديقى الظاهرى مستوفية المقصود ، رزينة النصل والنبل ، ترنو بعين أبيها إذا لحظت ، وتمضى فى سكيكة مستقيمة لا عوج فيها ولا أمت .

والنص معروف الأصل ، غير منكور النقل ، اشتهر بين المتقدمين ، وتناولوه بالخفض والرفع ، إلا أنه عنّ لى أن أذيّل تحقيق صديقى بذيل هو ما حضرنى ، ولعل الباحث واجد مزيدا عليه ، فليلحق من شاء تعليق هذه بأمها وليدة ابن عقيل ، فهى التى كانت ذات در انتجتها ، وبالله التوفيق .

قال محمد بن الوزير ، فى تنقيح الأنظار (ج ١ ص ١٢٩) :

قد رد الحافظ على « ابن حزم » ما ذكره ، وجمع « ابن كثير » للحافظ جزءا مفردا فى بيان ضعف كلامه .

وقال الحافظ فى « الاصابة » (ج ٤ ص ٣٠٦) فى معرض رده على « ابن الأثير » لقوله : « وهو وهم من بعض الرواة » :

وفى جزمه بكونه وهما نظر ؛ فقد أجاب بعض الأئمة باحتمال أن يكون أبو سفيان أراد تجديد العقد .

وقال ابن كثير فى « البداية » (ج ٤ ص ١٤٥) :

والأحسن فى هذا أنه أراد أن يزوجه إبنته الأخرى « عزة » ، لما رأى فى ذلك من شرف له ، واستعان بأختها أم حبيبة ، كما فى الصحيحين ، وإنما وهم الراوى فى تسميته « أم حبيبة » .

قال أبو تراب :

هو يشير إلى ما جاء فى « صحيح البخارى » فى « النكاح » فى باب وأمهاتكم من الرضاعة ، ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ، وفى صحيح مسلم فى الرضاع :

أن « أم حبيبة » أم المؤمنين بنت « أبى سفيان » قالت يا رسول الله أنكح أختى بنت أبى سفيان « عزة » فقال : أو تحبين ذلك ؟ قالت : نعم لست لك

بمخلية ، وأحب من شاركنى فى حب اختى ، فقال النبى – ﷺ – إن ذلك لا يحل لى ، قالت : فإنّا نُحَدَّث أنك تريد أن تنكح بنت أبى سلمة « درة » ، قال : بنت أم سلمة ؟ قالت : نعم ، قال : لو أنها لم تكن ربيبتى فى حجرى ما حلت لى ، إنها لأبنة أخى من الرضاعة ، أرضعتنى وأبا سلمة « ثويبة » . هذا مجموع لفظ الصحيحين .

وقال ابن القيم فى « زاد المعاد » (ج ١ ص **٢٨**) :

وقالت طائفة : بل الحديث صحيح ، ولكن وقع الغلط والوهم من أحد الرواة : فى تسمية « أم حبيبة » وإنما سأله أن يزوجه أختها « عزة » ، ولا يبعد خفاء التحريم للجمع عليه : فقد خفى ذلك على إبنته ؛ وهى أفقه منه وأعلم .

إلى أن قال : فهذه هى التى عرضها أبو سفيان على النبى – ﷺ – فسماها الراوى من عنده « أم حبيبة » ، وقيل بل كانت كنيتها – أيضا – أم حبيبة ، فإن صحت كنيتها بأم حبيبة – أيضا – فقد زال كل إشكال ، ويكون المراد « عزة » لا « رملة » وهى أم المؤمنين .

قال أبو تراب :

وفى « معجم الطبرانى » بسنده عن « أم حبيبة » أنها قالت يا رسول الله ، هل لك فى « حمنة بنت أبى سفيان » ؟ قال : أصنع ماذا ؟ قال : تنكحها قال : لا تحل لى .

وفى « صحيح مسلم » و « سنن النسائى » وردت تسميتها « عزة » ، وفى بعض طرق الحديث عنه أبى موسى اسمها « درة » ، والمحفوظ أن « درة » اسم بنت أبى سلمة ، كما فى الصحيح ، ولم أقف فى معاجم الصحابة على كنيتها ، والله أعلم .

❊ ❊ ❊

الرد على الأنصاري !؟

قال أبو تراب :

ذكر الشيخ عبد القدوس الأنصاري فى كتابه « طريق الهجرة » (ص ٦٩) : أن رسول الله ﷺ بعد وصوله إلى قباء انعطف إلى الناحية الغربية فالشمالية تاركاً الطريق المعتاد الذى يسير من قباء إلى المدينة رأساً بدون أى انعطاف ، وقد دخل المدينة من ناحيتها الشمالية من ثنية الوداع التى تقع بشمالها .

ودليله فى ذلك (ص٩٣) نشيد النساء (طلع البدر علينا .. من ثنيات الوداع) وقال فى (ص ٩٩) : انه ﷺ خرج اليها من قباء الواقعة بجنوبها ، واتجه أولاً إلى الشمال قليلاً ، ثم انعطف اتجاهه إلى الغرب قليلاً ، ثم إلى الشمال حتى وصل إلى ما بعد ثنية الوداع ، ومن ثم انعطفت المسيرة إلى الجنوب حيث دخل المدينة من شمالها من ثنية الوداع التى صارت ثنية الاستقبال .

وفى (ص ١٠٠) أن الرسول عليه السلام دخل المدينة من شمالها من ثنية الوداع ، نَصَّ على ذلك المحدّثون ، وكتاب السيرة ، وعلماء البلدانيات ، وكان الخط الطبيعى لدخول المدينة أن يكون من جنوبها رأساً ، لأنه وافاها من قباء التى تقع بجنوبها .

قال : ولهذه المسيرة الخاصة حكمة اجتماعية ذات مغزى عال ، ولم أر فيما اطلعت عليه من المراجع من تعرّض لهذه النقطة العجيبة فى الكشف عن بعض أسرار خطوط طريق الهجرة النبوية ، بالاستناد إلى المصادر المعتبرة ، لم أر ذلك فى المراجع القديمة ولا الحديثة . انتهى .

قال أبو تراب : هذا قصور فى الاطلاع فقد تعرّض لها الداوودى ، وابن القيم ، والحافظ الزين العراقى ، وابو زرعة ، والحافظ ابن حجر العسقلانـى ، والقسطلانـى ، والفـيروز ابـادى والسمهـودى ، والبـابلى ، والديار بـكرى ، والزرقانى وغيرهم .

والشعر المذكور لا يثبت إنشاده حين قدوم النبى ﷺ مهاجراً ، بل هو كما قال المحدّثون عند قدومه من غزوة تبوك من جهة الشام حيث تقع ثنية الوداع وقدومه منها ومروره بتلك الثنية ورد صريحاً فى صحيح البخارى ، وبهذا يرتفع الاشكال فلا يحتاج الشيخ الأنصارى إلى أن يجعل طريق رسول الله ﷺ من قباء إلى المدينة متعرجاً ملتويا حلزونيا ، ربما لزم منه رجوعه إلى مُسَامتته قباء ثانية ، ولا يحتاج أيضاً إلى افتراض حكمة خفية كما زعم لمجرّد ورود هذا الشعر فى الهجرة فى رواية ضعيفة وكونه فى غير الهجرة حيث تمر بتلك الثنية أنسب ، ولعلّه وهم من الراوى ، مع احتمال أن تكون هناك ثنية أخرى غير شمالية تكون على طريق قباء وتكون هى المقصودة ، كيف وقد قيل إنه فى الهجرة ، وقيل : إنه فى القَدْمَة التبوكية ، وقيل : إنه فى الفتح ، فمع تعدّد الأقوال لا يصح الجزم بقلب السير النبوى وإلصاق الشعر المذكور بالهجرة لتخيل حكمة وهمية ، فإذا انتفى هذا الشعر من كونه فى الهجرة ، وثبت فى قصة تبوك بطلت الأقاويل وذهب مبعث الترجُّم ، واستقام السير ، وكذلك إن كانت هناك ثنية على طريق قباء تسمى ثنية الوداع .

ويؤيد كون الشعر قيل عقب غزوة حديث بريدة فى زوائـد ابـن حبّـان (ص ٤٩٣) وفيه التصريح بأنه قيل إثر قدومه ﷺ من بعض غزواته .

لذلك استبعد البابلى قول السمهودى فى الوفاء (ج ٤ ص ١١٧٠) بأن كون الثنية شامىَّ المدينة لا يمنع كون هذه الأبيات أُنشدتْ عند الهجرة لأنه ﷺ مَرَّ على دار بنى ساعدة ، وهى شامىّ المدينة قرب الثنية ، هذا : ووجه استبعاده عنده أنه يلزم عليه أن يرجع ويمرّ على قباء ثانياً .

وقال الزرقاني : جواب السمهودى حسن لا بُعْدَ فيه لارخائه زمام الناقة وكونها مأمورة . قال ابو تراب : ويعكّر على جواب الزرقاني هذا انه لم ينقل ذلك أصلاً ، فهو ظن لا تَثْبت به رواية معضلة منقطعة كما جزم بانقطاعها وعدم ثبوتها الداوودى وابن القيم والزين العراقى والولى العراقى وابن حجر ، وكل هؤلاء جزموا بتوهيم الراوى إذْ جعل هذا الشعر فى الهجرة .

وينبغى على افتراض الثبوت تلمّس وجه التوفيق لاحتمال وجود ثنية أخرى ، ولا سيّما القرينْة تدل على ذلك ، لأن اللفظ جاء بالجمع ، وهو « من ثنيات الوداع » كما علّله ابن العراقى ، وصوّبه الدياربكرى ، أو تكرّر القيل مرتين كما فى تاريخ الخميس ، بل قد حكى ان إماء مكة قلن هذا الرَّجَز عند لقاء النبى ﷺ يوم الفتح ، وبمكة موضع بهذا الاسم .

ومما يدلّ على أنه كانت ثَمَّة ثنية أخرى جنوبية بالمدينة ما ذكره المجد فى المغانم المطابة (ص ٨١) ، فإذا صَحَّ ما قاله فقيل الشعر عند قدومه من مكة فتكون هذه الثنية هى المرادة ، وكذلك تكون هى المرادة عند رجوعه من بدر ماراً بثنية الوداع كما فى مغازى عقبة . قال المجد : قال أهل اليسر : إنها من جهة مكة وأهل المدينة اليوم يظنونها من جهة الشام ، وكأنهم اعتمدوا قول ابن القيم أنها من جهة الشام ، ولا يطأها القادم من مكة البتة . قال المجد : ووجه الجمع بين القولَينْ أنَّ كلتا الثنيتين تُسَمَّى ثنيّات الوداع .

قال أبو تراب : وإنشاد هذا الشعر عند قدومه ﷺ المدينة فى الهجرة رواه البيهقى فى الدلائل (ج ٢ ص ٢٣٢) وعند ابن كثير فى البداية (ج ٢ ص ١٩٧ و ج ٥ ص ٢٣ وفى السيرة ج ٢ ص ٢٦٩ و ج ٤/ ٤١) والمحب الطبرى فى الرياض النضرة (ج ١ ص ١٣٦) وذكر القسطلانى فى المواهب (ج ١ ص ٦٨) : إنه ذكره ابو بكر المقرى فى الشمائل عن ابن عائشة ، والمحب عن ابن الفضل الجحمى عنه يقول أراه - أى أظنه - عن أبيه ، وقال : خرّجه الحلوانى على شرط الشيخين ، قال الزرقانى فى شرح المواهب (ج ١

ص ٣٥٩) : وكلام الطبرى فيه مغمز فالشيخان لم يخرجا لابن عائشة ، فلا يكون على شرطهما ولو صح الاسناد اليه ، وذكر القاضى عياض هذا الشعر عند القدوم ولم يعينّ أى قدوم كان هذا ، أهو قدوم الهجرة ، أم القدوم من تبوك ، قال الزرقانى : فيُحمل كلامه على أنه حين قدومه من تبوك .

قال أبو تراب : بل القاضى يرى إنه قيل فى الفتح كما فى المشارق (ج ١ ص ١٣٦ ط الرباط) والوداع عنده وادٍ بمكة ، ولو حُمل كلامه على الهجرة فإن عياضاً يرى الثنية أيضاً موضعاً بالمدينة على طريق مكة كما نقله عنه السمهودى ، والدياربكرى ، وكذلك قال الحافظ ابن عبد البر فى الثنية المذكورة قال : أظنّها على طريق مكة ، ومنها بدأ ﷺ وظهر إلى المدينة كما نقله عنه أبو زرعة فى طرح التثريب (ج ٧ ص ٢٢٩) فإذن هى ثنيات فكيف يجزم الشيخ الأنصارى بالشمالية ، دون تحرير هذه الأقوال .

ففى وفاء الوفاء (ج ٤ ص ١٣٠١) والمغانم المطابة (ص ٣٧٢) ، المدرّج ثنية الوداع من جهة طريق مكة التى تنحدر على العقيق ، قال السمهودى وهى مراد الداوودى حيث وصف الثنية بما ذكره انها موضع لا يسلكها الخارج إلى جهة الشام ، وأنها المشرفة على العقيق والمدينة ، وأنها ثنية الوداع عند من ذهب إلى أنها من جهة مكة فهى كما قال الداوودى . قال السمهودى : والظاهر أن مستند من جعلها جهة مكة ما سبق من قول النسوة ، لأن ذلك عند القدوم من الهجرة مع الغفلة عن توجيهه ، وهو فى الحقيقة حجة لمن ذكرها فى جهة الشام قال : ولم أر لثنية الوداع ذكراً فى سفر من الأسفار التى بجهة مكة ، وإن سُلّمِ الجمع الذى ذكره المجد من أن كلتا الثنيتين تسمى بذلك فالمراد من الأخبار الموضع شامىَّ المدينة .

قال الولى العراقى : وهذا كلّه مردود ففى صحيح البخارى (ج ٤ ص ٩٣ و ج ٦ ص ١٠ ط الأميرية ،) وسنن أبى داوود (ج ٣ ص ٢١٩ ط حمص) والترمذى (ج ١ ص ٣٢١ ط بولاق) عن السائب بن يزيد قال : لمّا قدم رسول

الله ﷺ من تبوك خرج الناس يتلقونه من ثنية الوداع ، قال : وهذا صريح فى أنها من جهة الشام ، أى فلا يكون هذا الشعر فى الهجرة لأن هذه الثنية ليست على طريقه إلى المدينة ، ومقصوده توهيم الراوى .

وقد ورد ذكرها فى حديث خيبر ، وسرّية مؤتة ، وغزوة غابة أيضاً ولا يلتئم خبر الشعر مع الثنية الشامية فى الهجرة ، لذلك يتجه البحث عن ثنية أخرى تكون على الطريق ، وفى هذا ينصبّ ردّ ابن الملّقن على ابن التين وتوهيم الزين العراقى ابن بطّال ، قال الحافظ ابن حجر والصواب مع ابن التين .

قال السمهودى : والروايات متظاهرة على أن هذه الثنية فى شامىّ المدينة بين مسجد الراية الذى على ذباب وبين مشهد النفس الزكية ، يمر فيها المارّ بين صُدَّيْن مرتفعين قرب سَلْع .

قال الولى العراقى : لما نقل والدى فى شرح الترمذى كلام ابن بَطَّال قال : انه وهم قال : وكلام ابن عائشة - يعنى ما رواه من الشعر المذكور فى الهجرة - معضل لا تقوم به حجة ، ونقل الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (ج ٧ ص ٢٠٩ ط بولاق) أثر ابن عائشة ، وعَزاه إلى أبى سعد فى شرف المصطفى ، والخلعى فى الفوائد ، ثم قال : هذا سند معضل ، ولعل ذلك كان فى قدومه من غزوة تبوك ، قال السمهودى : وذلك لأن ثنية الوداع ليست من جهة طريق مكة .

وقال الحافظ فى الفتح (ج ٨ ص ١٠٥ ط البهية) : وأنكر الداوودى يعنى أثر ابن عائشة وتبعه ابن القيم وقال : ثنية الوداع من جهة مكة لا من جهة تبوك ، بل هى مقابلها كالمشرق والمغرب ، قال : إلاَّ أن تكون هناك ثنية أخرى فى تلك الجهة . قال الحافظ : ولا يمنع كونها من جهة الحجاز أن يكون خروج المسافر منها ، وهذا واضح كما فى دخول مكة من ثنية والخروج منها من أخرى ، وينتهى كلاهما إلى طريق واحدة قال : وقد روينا بسند منقطع فى الخلعييّات قول

النسوة لمّا قدم ﷺ المدينة : « طلع البدر علينا إلخ » فقيل : إن ذلك عند قدومه فى الهجرة ، وقيل : عند قدومه من غزوة تبوك .

وهذا الذى ذهب إليه الداوودى هو الذى قاله ياقوت فى معجم البلدان (ج ٣ ص ٢٥ ط السعادة) ومما يدلّ على وجود ثنية قبل مكة باسم ثنية الوداع قوله فى كتاب ما اتفق لفظا ص ٢٩ وهى التى يودع المسافرون عندها وأورد الحلبى فى انسان العيون (ج ٢ ص ٥٤) الأبيات ، وقال : استشكل بأن ثنيات الوداع ليست من جهة القادم من مكة بل هى من جهة الشام ، وأُجيبَ بأنه جاء من جهتها فى دخوله للمدينة عند خروجه من قباء .

وقال البيهقى فى الدلائل (ج ٢ ص ٢٣٢) بعد إيراده أثر عبيد الله بن عائشة المذكور فى رواية الشعر : هذا يذكره علماؤنا عند مقْدمه المدينة من مكة ، وقد ذكرناه إلاّ أنه إنما قدم المدينة من ثنيات الوداع عند مقدمه من تبوك .

ونقل القسطلانى كلام ابن القيم فى زاد المعاد (ج ٥ /٨٤ هامش المواهب/ المعرفة) وقال : هذا وهم من بعض الرواة ، لأن ثنية الوداع إنما هى مَن ناحية الشام ، لا يراها القادم من مكة ولا يمرّ بها إلاّ إذا تَوجَّه إلى الشام ، وإنما وقع ذلك عند قدومه من تبوك .

قال الدياربكرى فى تاريخ الخميس (ج ١ ص ٣٤٢) : يشبه أن هذا هو الحق ، ويؤيده جمع الثنيات ، إذْ لو كان المراد التى فى جهة الشام لم تُجمع ، قال : ولا مانع من تعدّد وقوع هذا الشعر مرة عند الهجرة ، ومرة عند قدومه من تبوك ، فلا ينافى ما فى صحيح البخارى ، ولا ما قاله ابن القيم ، وعن جابر إنه كان لا يدخل أحد المدينة إلاّ من ثنية الوداع . ثم تركه الناس ودخلوا من كل ناحية .

قال أبو تراب : والخلاصة أن رواية الشعر فى قصة الهجرة رواية منقطعة معضلة ، لم تثبت عند نقّاد المحدّثين ، وعلى ثبوتها اختلف القول أيضاً فبعضهم جعل قدوم الهجرة فيها وهماً من الراوى ، وبعضهم جعل هذا الشعر قيل فى القدوم

من تبوك . وبه يستقيم ذكر الثنية فيه لأنها من تلك الجهة ، وبعضهم قال : ان هذا الشعر قيل فى فتح مكة ، وهناك من المواضع ما يسمى بذلك ، وبعضهم حمله على تكرّر القيل فى الهجرة ، والقدوم من تبوك ، وفتح مكة ، وبعضهم جزم بوجود ثنية وداع أخرى بطريق مكة مشرفة على المدينة فهى المرادة فى الشعر لا الثنية الشامية .

وأياً كان الأمر فإن العلماء تعرّضوا لهذا المبحث ، فليس ما قاله الشيخ عبد القدوس الأنصارى حسب تصوّره قولاً بكراً لم يتطرق إليه أحد من قبل ، ولا هو قول فصل فى الموضوع ولا الجزم به منه ذو صواب ، بل يدل على عدم الاطلاع .. وبالله التوفيق ..

* * *

المستدرك على أحمد عبد الغفور عطار!؟
في كتاب "ليس"

قال ابو تراب :

اعتمد المحقق المعروف الاستاذ أحمد عبد الغفور عطّار فى تحقيقه لكتاب « ليس فى كلام العرب » لابن خالويـه على أربـع نسـخ : الأولى المطبوعـة المعروفة . الثانية نسخة مكتبة الصّبان . الثالثة نسخـة المتحف البريطانـى . الرابعة نسخة قوبلت على نسخة مكتبة عارف حكمت ، وآلت الى ملك الاستاذ المحقق قُنْيةً .

وكتب الاستاذ البحّاثة مقدمة الطبعة الأولى سنة ١٣٧٦هـ وفيها : أنّه حقق النص ، وفحص كل كلمة وردت فيه ، وضبطها ، وعرضها على مصادقها من المعجمات ، واستدرك ما فات ابن خالويه ، وصحّح بعض أوهامه ، واعتذر عن الاخطاء الطباعية التى وقعت فى هذه الطبعة على غير إرادة منه وهو لم يباشر التصحيح بنفسه لعارض أَلَمَّ به حينذاك .

وفى سنة ١٣٩٩هـ أصدر الاستاذ طبعة ثانية للكتاب وبذل فيه جهداً غير يسير ، وأضاف تعليقات وتحقيقات مع مزيد من التثّبت والعناية ، فأدّى ما عليه تولىّ الله جزاءه كفاء ما عمل . ويشكر عليه ذوو العلم مفتخرين بمثله فى مجال المنافحة ، وبالله التوفيق .

قال ابو تراب :

هذا وقد وقفت على هذه النسخة المحقّقة كسابقتيها ، وآنستُ أن فى الكتاب نقصاً ، وارتبت ان يكون ما وصل الينا منه كاملاً ، لأن نقولاً من الكتاب نجد العلماء بعد ابن خالويه ينقلونها عنه معزوّة اليه ولا نجدها فى الكتاب ، وهذه أمارة

وقوع الحذف ، وإخال الاستاذ المحقق لم يقف على شيء من هذا والاّ لأشار اليه فى إحدى مقدمَتْيه للكتاب أو كلتيْهما ، ذلك حين أدرك عدم الاتساق والنظام فى باب منه ، وأشار اليه فى ص ١٩ قائلا : « ولا ندرى السبب فى ذلك ، أترى أن فى الباب حذفاً ؟ ان ثلاث المخطوطات تكاد تكون مثل بعضها ، والسياق لا يدل على حذف » .

قال ابو تراب :

ودليلى على أن محذوفاً كبيراً من الكتاب لم يصل الينا ، ولم يتنبه له الاستاذ عطار ان الزرقانى يقول فى شرح المواهب (ج ٣ ص ١٥٩) أن كتاب ليس لابن خالويه ثلاث مجلدات ، وتعقب عليه الحافظ مُغْلَطاى بعضه فى مجلد سماّه الميْس على كتاب ليس كما فى المُزْهر قلت : فأين يقع هذا الجزء الصغير الموجود بين أيدينا من هذه المجلدات مهما يكن صغر حجمها .

وقد قرأت فى الاصابة للحافظ ابن حجر (ج ٣ ص ٤٨٢ ط مصطفى محمد) : تعقيبا على السهيلى فى المسمّين بمحمّد حيث قال : وسبقه الى هذا الحصر الحسين بن خالويه فى كتاب ليس ، قال : وتعقب الحافظ مغلطاى هذا الحصر فأبلغ .

وقد ذكرت فى « المسلمون » ٤ ربيع الثانى ١٠٤٢هـ فى الرد على الخطيب ان الحافظ ثقة ثبت حجة ، ونقله صحيح ، ولكن لم نجده فى النسخة التى حقّقها صديقنا الاستاذ أحمد عبد الغفور عطّار ، فتبّين أن فى الكتاب نقصاً لم يتنبه له المحقّق ، وفاته أيضا ذكر مستدرك مغلطاى عليه .

ووجدت السيوطى نقل الى المزهر من كتاب ليس ما ليس موجوداً فى هذه النسخة التى عارضها الاستاذ عطار على الأربع النسخ المشار اليها .

ومن ذلك قوله فِي المزهر (ج ١ ص ١٨٠) : « وقال ابن خالويه فى كتاب ليس : الحواميم ليس من كلام العرب ، انما هو من كلام الصبيان ، تقول : تعلمنا

الحواميم ، وانما يقال : آل حاميم ، كما قال الكميت : (وجدنا لكم فى آل حاميم آية) .

قلت : وهذا النص الذى نقله المزهر عرى منه المتن الموجود المحقق ، فأين ذهب ؟

وفى (ج ٢ ص ٥٨) من المزهر قول السيوطى : « هذا آخر الملتقى من كتاب ليس لابن خالويه » .

ونجد بعض انتقائه موجوداً فى نسختنا المحققة ، وبعضه مفقودا ، فمن الموجود مثلاً نقل السيوطى قوله : « لم يأت على فِعَّل الاّ حِمَّص وجِلَّق ، ورجل حِلَّز وحِلَّزة ، وأهل الكوفة يقولون بالفتح وأهل البصرة بالكسر » هذا كله موجود فى المطبوعة المحققة ص ٢٤٣ وعليه تعليق الاستاذ عطّار ، الاّ أن فى المزهر زيادة قوله : « وزاد بعضهم « قنب » ، وليست فى المطبوعة ، وانما ذكرتْ كلمة قنب فى باب فُعَّل على وزن رّكع ، ولعلّ الزيادة من السيوطى ولم يشر اليها عطّار ، ونقل السيوطى عن ابن خالويه نقولاً مصرّحا بعزوها اليه وليست فى المطبوعة فمنها قول السيوطى (ج ١ ص ١٧٧ ط الأزهرية) : « وفى كتاب ليس لم يسمع جمع الدجّال من أحد الاّ من مالك بن أنس فقيه المدنية فانه قال : هؤلاء الدجاجلة » .

قلت : وهذا النص المفقود من الكتاب مذكور قبله عن مالك فى تاريخ البخارى وهو معروف عنه ، ونقله ابن خالويه الى كتابه ثم بُتر ، فلا نراه الآن .

وفى ج ١ ص ١٨٦ عن المزهر ما نصه : « وفى كتاب ليس لابن خالويه العامة تقول : النُقْل بالضم للذى ينتقل به على الشراب ، وإنّما هو النَقْل بالفتح ويقولون : سوسن ، وانما هو سوسن ، ويقولون : مشمشة لهذه الثمرة ، وانما هى مشمشة » .

قال ابو تراب : وهذا النصُ أيضا ليس فى النسخة التى بين أيدينا من الكتاب المذكور ، وكل هذا دليل على وجود حذف ونقص فى النسخ التى اعتمد

عليها الاستاذ عطّار فيجب البحث عن نسخة كاملة تحوى ما ينقلون عن ابن خالويه من كتاب ليس . وبالله التوفيق .

قال ابو تراب :

ومما لم اجده فى النسخة المطبوعة بتحقيق صديقنا الاستاذ أحمد عبد الغفور عطّار من كتاب (ليس) لابن خالويه ما نقله عنه السيوطى فى المزهر (الأزهرية ج ١ ص ١٧٦) قوله :

وفى كتاب ليس لابن خالويه : ان لفظ الجاهلية اسم حدث فى الاسلام للزمن الذى كان قبل البعثة ، والمنافق اسم اسلامى لم يعرف فى الجاهلية وهو من دخل فى الاسلام بلسانه دون قلبه ، سمى منافقا ، مأخوذ من نافقاء اليربوع . .

وهذا النص الذى نقله السيوطى ليس موجودا فى كتابنا الذى حققه العطّار فما الجواب ؟

وينقل الامام السيوطى فى المزهر (ج ١ ص ١٧٦) ويقول : وفى كتاب (ليس) : لم يعرف تفسير الصراح إلا من الحديث قال : هو بيت فى السماء بازاء الكعبة .

وعجبا فهذا النص غير موجود فى ما حققه العطار ؟ فأين ذهب ؟ وكيف الحصول ؟

وفى المزهر (ج ١ ص ٣٠٦) وفى كتاب ليس لابن خالويه : فلان ابن خفا ولد ليلا ، وابن جلد ، ولد نهارا .

وهذا ايضا ليس موجودا فى النسخة التى حققها العطار .

وفى المزهر (ج ٢ ص ٤٦) : (وقال ابن خالويه فى كتاب ليس : لم يجمع على فعال إلا عشرة احرف : عرق وهو اللحم على العظم وعراق ، ورخل من أولاد الضأن ، ورخال ، وشاة ربى ، ورباب ، وتوأم ، وتوام وفرير وفرار ، ولد الظبية ، ونذل ونذال ، ورذل ورذال ، وثنى وثناء ـ وهو الولد الذى بعد البكر ـ وناقة بسط ـ اذا كانت غزيرة ـ والجمع بساط .

قلت : وذيل السيوطى على هذا النص الذى نقله وليس هو فى كتاب ليس ؟

وفى كتاب ليس لابن خالويه : العوام وكثير من الخواص يقولون : الكل والبعض ، وانما هو كل وبعض ، لا تدخلها الألف واللام ، لأنهما معرفتان فى نية اضافة ، وبذلك نزل القرآن ، وكذلك هو فى اشعار القدماء ، وحدثنى ابن دريد عن ابى حاتم عن الأصمعى قال : قرأت آداب ابن المقفع فلم أر فيها لحنا إلا قوله : العلم أكثر من أن يحاط بالكل منه ، فاحفظوا البعض .

قال ابو تراب : وهذا النص أيضا ليس موجودا فى النسخة التى حققها لنا العطّار ، وهذا من الدلائل على انبتار النسخة ، أو أن ما وصل الينا اختصار لها ، والله أعلم .

ونقل السيوطى فى المزهر ج ٢ ص ١٤٧ من كتاب ليس لابن خالويه ما ليس فى مطبوعتنا المحققة من عند الاستاذ العطّار فيقول السيوطى : رأيت فى كتاب ليس لابن خالويه قال : ليس فى كلامهم اسم ممدود جمع مقصورا إلا ثمانية أحرف وهى :

صحراء وصحارى ، وعذراء وعذارى ، وحلفاء وحلافى ـ بمعنى ارض غليظة ـ وخبراء وخبارى ـ بمعنى ارض فيها ندوة ـ وسبتاء وسباتى ـ أرض فيها خشونة ـ ووحفاء ووحافى ـ أرض فيها حجارة ـ ونبخاء ونباخى ـ ونفخاء ونفاخى ـ وكانت هذه المسألة سأل عنها سيف الدولة ، فما عرف من بحضرته أحد شيئا عنها فقلت : أنا اعرف اسماء متعددة ممدودة تجمع بالقصر ، قال : وما هى ؟ قلت : لا أقولها إلا بألف دينار ، ثم ذكرت ذلك ، لأن الممدود يجمع على أفعلةٍ ، رداء وأردية ، والمقصور يجمع ممدودا ، رحى وارحاء ، وقفا واقفاء .

وذكر ابن خالويه هذه الحكاية فى موضع آخر من كتابه (ليس) وقال فيها : وكان فى الحاضرين بين يدى سيف الدولة أحمد بن نصر ، وابو على الفارسى فقال أحمد بن نصر : أنا أعرف حرفا : حلفاء وحلافى ، فقلنا حلفاء جمع حلفة ، وانما سألنا عن واحد ، فقال الفارسى : أنا اعرف حرفا : أشياء ، وأشاوى ، فقلت :

اشياء جمع ، قال السيوطى : هذا كله كلام ابن خالويه ، قلت : فأين هو من النسخة ومحققها .

وفى المزهر للسيوطى نقول كثيرة من كتاب ليس لابن خالويه لا توجد فى هذه المطبوعة المحققة التى لم يشر الى شيء منها صديقنا الاستاذ أحمد عبد الغفور عطّار ولو أنه اطلع عليها لكان عليها عاضا ، كعهدنا به .

وانظروا قول السيوطى فى المزهر ج ٢ ص ٥٨ : (هذا آخر المنتقى من كتاب ليس لابن خالويه) ثم انظروا قول الزرقانى الذى اسلفناه انه فى ثلاث مجلدات ، ثم انظروا خبرنا عن الحافظ ابن حجر كيف ينقل عنه فى الاصابة ما ليس عنده فى « ليس » المنسوخة عندنا ، ثم انظروا كيف يغفل صاحبنا أحمد عطّار بعد مضى هذه السنوات العشرين الطوال فى تحقيق الكتاب عن هذه الجمل التى استبان منها أن نسختنا مختصرة غير كاملة مع وجود نصوص الائمة الذين نقلوها من كتاب ابن خالويه تنصيصا وتصريحا ، وهل بعد هذا إلاّ البرهان .

* * *

عَزْو الشئ إلى غير أهله

قال ابو تراب :

عجبت وما عجبى الاّ من المعجبين بما يَفِد علينا ممّن لا تربط بيننا وبينهم صلة نسب وصِهْر ، ولا وشيجة رَحِم وقُربى ، ولا علاقة قومٍ ورَبْع وربما ألجأهم هذا الاعجاب المتغلغل فى الأعماق ، المتمكّن من مجامع القلوب ، الى تزوير يشين فى الآفاق ، ويُقْذى فى الأحداق ، كمن يعمد الى مأثرة تالدة فينسبها الى غير ذويها ، أو يعّرج على فكر صائب ، وذهن وقّاد ، ونظر ثاقب ، وصورة لها فى التعبير جمال ، وفى القيام شِكال ، فيجعلها للذين كفروا بآيات ربهم وهم عنها يصدفون .

يا هؤلاء اننا نقرأ ما كُتب منذ قرون فى كتب لم تَروها ، فما بالنا نقرأ مثله أو ما يقارب أبَاَ أُمّهِ حَيًّا فى صحف ودفاتر تطوح بها الرياح هُوجاً يَمنة تارة ويَسرْةً أخرى ، ولم تمضِ عليها سنوات .

والعقل يشهد .. أكلام كتب قبل حقِب سبق ، أم حياكة ونسيج جاء على المنوال والحال ، يُعَدُّ معجزةً تُنْسى ما مضى ، وتمحو الفخار الذى أرادوا وَأْدَه فى المهاد ؟

ويَضْؤُل عجبنا اذا رأينا هذا الصَّنيع يأتى من أَغْرار الشباب لم يرقوا مدارج الثقافة العريقة ، وتعلّقوا بما يعلو ثَبَج اليَمِّ من أقذاء فى الزَّبَد ، فان لهم سلفاً نسبوا الى الفرنجة نظريات ابن خلدون ، وابن رشد ، والفارابى ، والخوارزمى ، والبيرونى ، وابن سنان ، وابن عراق ، والصوفى وأشباههم ، فاذا سلك هؤلاء نَهُجتهم فانَّ إخواناً لهم سرقوا من قَبْل .

وهذا كاتب يكتب فى مجلة العلوم التى تصدر فى بيروت وقرأت كلامه منذ مدة ، انفلت من ذاكرتى لفظه ، وبقى فى الذهن ارتسام معناه ، وعلق به مفهومه ومؤدّاه قال : ان « سارتر » يرى ان الأشياء قبل تكوينها لابد لها من تصور فى ذهن الصانع ، كالكرسى الذى يصنعها النجّار ، فانه لابد من تصوره قبل إعمال المنشار انه هكذا يروح ويجىء ، وكذلك يكون الخشب بعد ذلك ، ثم كذا أو كذا يكون تركيبه فيكون فى شكل كذا ، وهيكل كذا .

ان هذا الذى يَعْزونه الى سارتر الوجودى الفرنسوى كلُصُوقِ ابن العّم لَحًّا ليس من فتوقَ ذهن لم يخلق له مقياس ، ولا جرى منه اقتباس ، أو تَضرَّج باستيناس اختلاس ، وهل البدهيات فى نظر هؤلاء النَقَلة بمثابة القضايا الجدلية ، أو النظريات البِكْر ، واذا فرحوا بالتمثيل فى مجال التقرير قلنا : جاءت الأمثلة قديماً وحديثاً مشتقاً بعضها من بعض ، وتتشابه فى أغلب الأحيان ، وهى تبّدد الهَالَة التى تحيط فى نظركم أمثال راسل ، وتولستوى ، وهمنغواى ، وبرناردشو ، ونيتشه .

وخذ إذا شئت تصوّر الكينونة قبل التكوين مثلا ، فانه من الأبواب المنطقية وعلم المعقول ، طبّقه العلماء منذ عهد أرسطو ، فخَلَصت لهم حقيقة الأقوال والأعمال فى القوى التى يعبّرون عنها ، بالفعل والانفعال والافتعال والادارة والتصور والهيأة الخارجية وهى القوة المنفعلة بعد العهد الذهنى .

ومن المُسَلَّم الثبوت ما قرّره علماء المنطق الاسلاميون كابن حزم ، وابن تيمية ، والأبهرى ، وصاحب الشمس البازغة ، والسُلَّم ، فى تصحيحهم مسائل المنطق قبل أن يأتى جميل صليبا فيهذّب المنطق فى كتاب أخرجه منذ مدة ولم يسلم من العثار ، ولكن ما وجهَ نسبة كليةٌ التصور وهى من دَور المنطقيين الى سارتر ، وهل أتى بجديد استحق نسبته اليه فلا نَعْدوه ؟

انه لعمرى وضع شىء فى غير محله يدلّ على الجهل كمن ينسب قاعدة :

« العالم متحرك وكل متحرك فان فالعالم ليس بباق » الى صاحب مزرعة يرّبى فيها دَجاجه ، ويَفقس فيها بيضهن .

ان القواعد العلمية التى تتصحح عليها الأصول والفروع ، وتلجأ اليها عقول البشر لتَحتكم لا تُنسب الاّ الى البرهان الضروری والوضع العقلى والمعلّم الأول ، وأمّا أن نأتى فنقول : ان سارتر قال : السماء (فوق) والأرض (تحت) فهذا ما لا يقبله عقل إنسان يَعى أو يريد أن يَعى .

وأمّا التمثيل بالخشبة والنجّار ، والكرسى والمنشار فانى والله لشديد الاستغراب إذْ قد ذَكَر هذا التمثيل فى موضع التصور قبل الكينونة ، والهيأة المنفعلة ابنُ خلدون فى (المقدّمة) قبل ان تلد سارتر أمُّه بقرون ، فمن أين جاء هذا الشَبَه ، أو هذا البلاء يُصمّ مَصَكُّه ؟ والعالم يقول : انه يقرأ ويسمع .

قولوا عن كلّ ما قعّده الأقدمون من قواعد ثابتة لا تقبل الجدل : انه من قول هؤلاء وهؤلاء ، وقولوا عن كل ما أبدع تصويره المتقدمون : انه من صنائع اولئك واولئك ، وليس شيء غير هذا ؟! ولكن العيون والأبصار لن تُمنى بالعَمى ، بل تُعيد الحق الى نصابه ، وتُغمد السيف فى قرابه .

وعقدتى فى هذا قديمة لأنى قرأت للسلف ، ثم اصطدمت بالخلف لوجوه التشابه والهجنة ، والاقراف والانتحال ، وأروى لك أطرف ما قرأت فى هذا الباب فى تلكم الصحف :

ذلك كما يقولون : ان أحد وجهاء الانكليز دخل ذات ليلة منزل أحد اللوردات بملابسه العادية ، فلما نَبَّههُ الى ذلك المشرفون على الحفل خرج الوجيه صامتاً حانقاً ، ثم عاد بعد قليل ببذلته الرسمية ، وعندما التفّ حوله المدعوون أمسك وعاءً من الطعام ووعاءً من الشراب فسكبهما على بذلته الرسمية وقال يخاطبها : اشربى واشبعى ، فأنت التى دُعيتِ للحفل ، ولستُ أنا .

قال ابو تراب : والكلام فى نسقه وسياقه تحوير وتدوير ، والعجب أنّى قرأته فى كتاب « كلستان » للشيخ بسعدى الشيرازى أشهر شعراء الفرس فى الاسلام ،

وهو صاحب وعظ وحكمة ورحلات ، وله كتاب (كريما) و (بوستان) ودرس فى النظّامية ببغداد .

وفى كلامه : انه جاء محفل دعوة أقيم له بلباس رَثّ وشارة كثّة غير حسنة ، فلم يؤذن له بالدخول ، فلما عرف ان المنع وقع لأنهم لم يعرفوه لرثاثة حاله قَفل فلبس فاخر الثياب وتطيّب ، ولبس العمامة والجبّة ، وأخذ فى يده العصا ، فلما أن وقف على باب الدار التى أقيم بها الحفل ، حَيَّاه المستقبلون ، فكانوا له كالطوق من الجيد أو الهالة من القمر . وجلس الرجل يتحدث وهم مُصْغون اليه ، حتى اذا مُدّتِ الموائد وصُفّت الصحون ، وقيل للشيخ ان يتقدم بالفضل الى الخير جعل الشيرازى الحكيم يأخذ من أطراف عمامته وثوبه وجُبّته ، وطفق يغمسها فى المَرَق والطعام ويجهر بصوته قائلا : كُلى يا هذه ، فأنت التى دعيتِ لها ، لا أنـا ، وصمتوا من هيبة الشيخ الجليل الوقور ، وانقضى الحفل ، وخرج الشيخ وأطراف ثيابه آكلة شَبْعَى ، وهو طاوٍ جوعان ، وقيل له فى ذلك فلقّنهم الدرس فى اعتبار ما تحت الطيالس والجُبَب لا بزاهى الملابس وقشيب الثياب وكم من فضل وعلم فى أطمار بالية وأبراد ممزّقة ، وفى ذلك تنسب للامام الشافعى أبيات .

قال ابو تراب : هَلُمَّ الآن فقل لى مَن الذى نقل هذه عنّا فجعلها لغيرنا ؟ ولئن لم تفعل فسأحدثك عن كيفية تسرب الخَداع الينا ، والله ربّى وربك .

* * *

استشكال البيرونى صيام عاشوراء والرد على العطار

قال ابو تراب :

كان صديقنا الاستاذ أحمد عبد الغفور يتحف القراء فى رمضان ١٤٠١هـ بمقالاته فى جريدة عكاظ ، ومما أثار من الموضوعات ردُّه على جاكوب الألمانى الذى زعم أن صيام المسلمين مأخوذ من الصابئة ، ودلّل على ذلك بما جاء فى التوفيقات الالهامية لمحمد مختار باشا ، وأن الحساب الصحيح يكّذب هذا المزعم الباطل ، ثم تعرّض الاستاذ لليهودية وصوم عاشوراء وانه كان حين قدوم النبى ﷺ المدينة كما فى الحديث الصحيح عن ابن عباس عن البخارى ، وظاهره مضطرب لأنه قدم فى ربيع الأول ، وعاشوراء فى المحرّم ، ونقل كلام الحافظ فى إزالة الاضطراب : أنه كان الأمر به فى السنة الثانية وبهذا يستقيم ، وأجاب الاستاذ العطّار بأن اكثر الناس يظنّون هكذا لأنهم يعتقدون ان صيام يهود يوافق اليوم العاشر من المحرّم قال : وهو وهم ، وليس الأمر كذلك ، فما كان اليهود يصومون عاشوراء : العاشر من المحرّم ، بل هو يوم عاشوراء آخر ولا يسمّونه عاشوراء ، ولكنه يقع فى اليوم العاشر من الشهر السابع من السنة العبرية قال : ولذلك التبس الأمر على شرّاح الحديث فظنّوا أن صيام اليهود وقع يوم عاشوراء ولم يقع ذلك ، ودلّل على ذلك بالنص الذى فى سفر اللاويين ١٦/١٩ وسفر العدد ٢٩/٧ وبتحديد محمود باشا الفلكى المصرى يوم صيام اليهود حسب تقويمهم ، وسبق موسى نوحٌ الى صيامه يوم رُسُوِّ السفينة على الجودىّ ، فصامه عليه السلام يوم العاشر من المحرّم لأنه أحق بنوح وموسى عليهما السلام قال : ودخل عليه السلام المدينة يوم الأثنين المصادف يوم صيام اليهود وهو اليوم العاشر من تشرين

الذى قابل فى تلك السنة يوم العشرين من سبتمبر سنة ٦٢٢م وهو اليوم العاشر من تشرين سنة ٤٣٨٣ عبرية كما فى حساب محمود باشا ونقله العقاد فى كتاب « الاسلام دعوة عالمية » .

قال ابو تراب : وقد رأيت بعض من ردّ على الاستاذ العطّار بما ورد فى الشروح من ان صيام عاشوراء هو فى المحرم ، وهكذا كانت اليهود تصومه ولذلك هَمَّ عليه السلام بمخالفتهم بصيام تاسوعاء وعاشوراء الى آخر ما قال ، ولا يحضرنى الآن من كلام هذا الذى ردّ على العطّار الاّ هذه الخلاصة . ولم أجد فسحة من الوقت للتذنيب والتذييل الاّ يومى هذا فأقول وبالله التوفيق :

سبق أنى ذكرت فى إحدى يومياتى فى جريدة - المدينة - فى ٨٨/١/١٦هـ أن العَلاَّمة الفلكى أبا الريحان البيرونى استشكل هذا فى كتابه : الآثار الباقية ص ٣٣٠ حيث قال : وهذه الرواية غير صحيحة لأن الامتحان يشهد عليها ، وذلك أن أول المحرّم كان سنة الهجرة يوم الجمعة السادس عشر من تموز سنة ثلاث وثلاثين وتسعمئة للاسكندر ، فاذا حسبنا أول سنة اليهود فى تلك السنة كان يوم الأحد الثانى عشر من أيلول ، ويوافقه اليوم التاسع والعشرون من صفر ، ويكون صوم عاشوراء يوم الثلاثاء التاسع من شهر ربيع الأول ، وقد كانت هجرة النبى ﷺ فى النصف الأول من ربيع الأول ، قال : وكانت الهجرة يوم الاثنين كما ورد فى جوابه ﷺ عن ذلك ثم اختلف فى أىّ الأثانين كانت الهجرة فزعم بعضهم انها فى اليوم الثانى ، وزعم بعضهم انها فى اليوم الثامن ، وزعم بعضهم أنها فى اليوم الثانى عشر ، والمتفق عليه أنها فى الثامن منه ، ولا يجوز ان يكون الثانى ولا الثانى عشر لأنهما ليسا بيوم اثنين من أجل أن أول ربيع الأول فى تلك السنة كان يوم الاثنين فيكون على ما ذكرنا قدومه ﷺ المدينة قبل عاشوراء بيوم واحد ، وليس يتفق وقوعه فى المحرم الاّ قبل تلك السنة ببضع سنين أو بعدها بنيّف وعشرين سنة .

قال : فكيف يجوز ان يقال : ان النبى ﷺ صام عاشوراء لاتفاقه مع

العاشر فى تلك السنة الاّ بعد أن ينقل من أول شهور اليهود الى أول شهور العرب نقلاً لاتفاق معه ، وكذلك فى السنة الثانية من الهجرة كان العاشور يوم السبت من أيلول ، والتاسع من ربيع الأول ، فما ذكروه من اتفاقهما حينئذ محال على كل حال .

وأما قولهم : ان الله أغرق فرعون فيه فقد نطقت التوراة بخلافه ، وقد كان غرقه فى اليوم الحادى والعشرين من نيسان وهو اليوم السابع من أيام الفطير ، وكان أول فصح اليهود بعد قدوم النبى ﷺ يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من آذار سنة ثلاث وثلاثين وتسعمئة للأسكندر ووافقه اليوم السابع عشر من شهر رمضان ، فاذن ليس لما رووه وجه البتة .

وقد أجاب عن ذلك الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ج ٤ ص **٢١٤** قال : وقد استشكل ظاهر الخبر لاقتضائه انه ﷺ حين قدومه المدينة وجد اليهود صياماً يوم عاشوراء ، وانما قدم المدينة فى ربيع الأول والجواب عن ذلك انّ المراد أن أول علمه بذلك ، وسؤاله عنه كان بعد أن قدم المدينة ، لا انه قبل أن يقدمها علم ذلك ، وغايته ان فى الكلام حذفاً ، تقديره : قدم النبى ﷺ المدينة فأقام الى يوم عاشوراء فوجد اليهود فيه صياماً .

قال ابو تراب : وهذا من محاورات العرب يقولون : جاء فلان الى موضع كذا فوجد كذا ولا يعنون انه وجد ما وجد فى حين القدوم مباشرة دون تراخ ، بل المقصود حصول العلم بعد الحلول ولو تراخى الوقت ، والمبحث يقتضى فهم لغة العرب فاذا فهمت المحاورة مع الممارسة بطل كل ما استشكله البيرونى وغيره ، وقد خدعه علمه بالحساب حتى وقع فى استشكال كهذا ولا تناقص عند علماء الاسلام بعد أن ثبتت الرواية فى الصحاح لا يرقى اليها الشك قطعاً ولا جدال فيها لمجادل يرفض النصوص التى ندين بها ، ولو لم يكن عاشوراء المحرم هو يوم نجاة موسى عليه السلام فما وجه تخصيصه بالصوم وإثبات الأحقية به ، ثم مخالفتهم بالتاسوعاء معه ، وليس فيه موافقة لليهود لأن العبادات لله وحده .

يرقأ وليس يرقى ..

قال ابو تراب :

لحا المطابع قبلى اناس ، ما حديثهم عنها بمجذوذ ، ولا هى دونهم تصدع فتدب اليها الضراء لكن لا الذنب اقترفت فتكون للمعتبة هدفا ، ولا الامر عصت فنحمل عليها حملة البلق المضمرة وانما العيب عيب مصحح أمسى فيها كحرف مكسر من حروفها ، فما أحراه بالابدال والتغيير ولو ألقى المعاذير ، ولعل أبياتا قالها الصافى النجفى هى من خير ما تعلل به النفس فى الباب ، وهيهات هيهات وقد ضاع غر الرشد فغاب الصواب :

تذكرني ليلى وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوب

كتبت فى « الحواضر والخواطر » عبارة جاء فيها : « لا يرقأ لى بعدها دمع » ولا ادرى أية بلية نزلت فجعلت كلمة : يرقأ » ـ يرقى ـ وفرق بين ما يصطاد باز وبين ما يصطاد زنبور هو عند بعضهم طرطور يحتاج الى طنبور .

انا لا اذكر سلسلة من كلمات انتظمت أغلاطا فى خواطرى تلك ـ كانقلاب تاء « القولة » هاء مثلا ـ لأن نحو هذا قد لا يعزب عن بال الزكن الفطن لكنا لا تنقطع عقيرتى ولا تهدأ ثورتى اذا رأيت كلمة مغلوطة يظنها القارىء لغة لم تدرج عليها الأقلام ولعلها اذا جاءت من صاحب الصنعة كانت أشد بلوى وامتحانا .

فاعلموا أيها الفتيان ان الفيومى نص فى المصباح على همز (يرقأ) اذا كان متعلقا بالدمع وانقطاعه غير ان باب رقى يرقى وهو بمعنى الصعود والارتقاء جاء فيه على لغة قوم من الاعراب : « رقأ يرقأ » أيضا بالمعنى نفسه فكأنه لوحظ فيه

اعتبار ارتفاع الدمع عند انقطاعه فبهذا الاشتقاق صحت لهم تلك اللغة .

والقوم لم ينصوا على أن صيغة « يرقأ » تصير يرقى تارة كما رسموا كلمتى التى اعانيها وان كان القياس سائغا كنظيره المتقدم

وفى حديث عائشة رضى الله عنها فى قصة الافك : فبت ليلتى لا يرقأ لى دمع .. وان شئتم فانظروا نهاية ابن الأثير فهو بالهمزة بمعنى لا ينقطع لى دمع .

اذن فكيف يستقيم (يرقى ـ بدل ـ يرقأ) وما وجه رقوء الدمع أو رقوئه يترقى الى الياء فيكون رقيا ، ثم لا يتدلى اللهم انه عيب المصحح لا يفرق بين المهموز والمعتل .

فاذا كان كراع يروى عنه قولهم : رقأ فى الدرجة رقأ أى صعد ، فقد نصوا على انه نادر قال ابن منظور : والمعروف رقى وفى تهذيب الازهرى : رقأت ورقيت وترك الهمزة أكثر وفى الحديث كنت رقاء على الجبال أى صعادا عليها .

والمرقاة من مراقى الدرج قيل أنها من رقأت الدرجة بالهمز ثم خففت ، وهذا كله صحيح الا أن القول الفصل فيه أن الهمز لغة فى الياء بمعنى الصعود ، وليس فى المهموز بمعنى انقطاع الدمع أو جفافه قلبه ياء أصلا أو سماعا وأن تناسب معنى الرقوء مع الرقى فى الارتفاع .

قال ابو طالب فيما رواه المنذرى من قولهم : لا ارقأ الله دمعته : معناه لا رفع الله دمعته .

فالرقى هو الارتفاع والصعود والدمع يرتفع فينقطع لذلك جاء التشابه فى المعنى فساغت لغة فى الرقى بالهمز ولم ترد فى مهموزه للدمع لغة الياء ، وهكذا قلنا لنصحح ما التبس ثمة ، وفى التنزيل « لن نؤمن لرقيك » وهو غير رقوء الدمع وانما هو كمرقى الجبل . وكما أنشد ابن برى :

أنت الذى كلفتنى رقى الدرج　　على الكلال والمشيب والعرج

وفى كتاب سيبويه للاعشى :

لئـن كنـــت فى جب ثمانـــين قامة ورقيت أسبـــاب السماء بسلم

هذا وقد حشت الى هذا التصحيح لئلا يظن ما رسم بقلم مصحح أصلا بنينا عليه أو لغة استعملناها فنبهنا على خطل فى الحروف ورد وما قولك وقد وقع أو اعتذارك عن شيء اذا حصل ؟ (وانظر فى هذا الاشتقاق مقاييس ابن فارس)

* * *

بين الميل و " الكيلو "

قال ابو تراب :

نقل الصديق الصدوق الشيخ الفاضل على بن محمد الهندى فى أدب الدنيا والدين طرفة ظريفة مفيدة عن ابن القيم رحمه الله حيث قال فى بدائع الفوائد :

الميل عبارة عن ثلاثة آلاف وخمسمئة خطوة ، والفرسخ اضعاف ذلك ثلاث مرات ثم قال : وانما سموا هذا المقدار من الخطى والاذرع ميلا لانهم كانوا ينصبون فى رأس ثلث كل فرسخ كهيأة الميل الذى يكتحل به الا أنه كبير ، ثم يكتبون فى رأسه عدد ما مشوه ومقدار ما تخطوه .

وذكر قاسم بن ثابت ان هشام بن عبد الملك مر فى بعض اسفاره بميل فأمر اعرابيا بان ينظر فى الميل كم فيه مكتوبا وكان الاعرابى اميا فنظر فيه ثم رجع اليه فقال : فيه محجن وحلقة وثلاثة كأطباء الكلبة وهامة كهامة القطا فضحك هشام وقال معناه خمسة أميال .

قال ابو تراب : اذن فاشارات المسافات لم تأتنا من قريب وانما هى من تلك الحضارة التى ورثناها عن الجدود وما (الكيلوات) الا امتداد للأميال وما الكتابة عليها الا من عمل اولئك الرجال فانظر الى ما كانوا يمتازون به من الدقة والتحرى والقياس والضبط دون ان تكون لديهم اجهزة كأجهزتنا أو آلات كآلاتنا ، نحن نفتخر وأين منا الهمم العوالى والفكر اليواقظ الغوالى انما نحن اخوان جندب اذا يحاس الحيس حضر فواها لمن كان يدعى للكريهة أو يضرب بسهم فى العشار للجار ، والخبر ذو مغزى تاريخى عميق يذكرنى بما أملاه على أخى فى الله الشيخ المربى موسى العطار طيب الله ضريحه فى الميل والفرسخ وبعدهما

البريد وهو من نظم بعض أشياخ سلفوا فانظروا ماذا قالوا أنقله بحروفه دون اعمال قلم التصحيح محافظة على أصله وعملا بالرواية :

ان البــريد من الفراســخ أربع	والفرسخ فثــلاث أميال ضعوا
والميل الف اى من الباعــات قل	والبــاع أربــع أذرع تستتبع
ثم الــذراع من الاصابــع اربع	من بعدهــا العشرون ثم الاصبع
ست شعــيرات فظهــر شعيرة	منهــا الى أخــرى لبطــن توضع
ثم الشعــيرة ست شعــرات كذا	من شعــر بغــل ليس عن ذامدفع

وها هنا فائدة أخرى لابد من ذكرها ما دمنا فى باب الميل وقد أوردها المجد الفيروز آبادى وأحسبنى ذكرتها للشيخ موسى رحمه الله فقيدها وهى ان الميل : قدر البصر عند العرب وهو أيضا منار يبنى للمسافر وهذا ما يجرى عليه العمل فى حضارتنا من وضع قناديل أو ثريات كاهرباوية تدل السالكين وترشدهم .

وقد ذكر المجد أن الميل مئة ألف اصبع إلا أربعة آلاف اصبع أو ثلاثة أو أربعة آلاف ذراع بحسب اختلافهم فى الفرسخ هل هو تسعة آلاف بذراع القدماء أو اثنا عشر ألف ذراع بذراع المحدثين وقد خالف المجد بعض هذا فيما يأتى عنه بعد .

وذكر الهورينى بعد أن نقل الميل عند العرب بمعنى ممد البصر عن الأزهرى كما فى المصباح انه عند القدماء من أهل الهيأة ثلاثة آلاف ذراع وعند المحدثين أربعة آلاف ذراع والخلاف لفظى لأنهم اتفقوا على أن مقداره (ست) وتسعون ألف اصبع والاصبع ست شعيرات بطن كل واحدة إلى الأخرى ولكن القدماء يقولون الذراع اثنتان وثلاثون اصبعا والمحدثون يقولون اربع وعشرون اصبعا .

فإذا قسم الميل على رأى القدماء كل ذراع اثنتـين وثلاثـين اصبعـا كان المتحصل ثلاثة آلاف ذراع وان قسم على رأى المحدثين أربعا وعشرين كان المتحصل أربعة آلاف ذرَاع .

والفرسخ عند الكل ثلاثة أميال وإذا قدر الميل بالغلوات وكانت كل غلوة أربعمئة ذراع كان ثلاثين غلوة وإن كان كل غلوة مئتى ذراع كان ستين غلوة .

لكن المصباح قال فى الفرسخ وقدره فى البارع وكذا فى التهذيب فى (غلا) بخمس وعشرين غلوة واليونان قالوا : الفرسخ ثلاثـة أميال وقـدروا الأميال الهاشمية بالتقدير الثانى إلا أنه يخالف لما فى التهذيب والبارع .

وقال المجد فى موضع آخر ، فرسخ الطريق ثلاثة أميال هاشمية أو اثنا عشر ألف ذراع أو عشرة آلاف ولم يذكر الجوهرى له معنى .

* * *

المباشرة بالأمر صحيحة أم لا ؟

قال ابو تراب

يقولون : « فلان باشر بطبع كذا وفلان باشر بنسخ كذا » وقد خطأ قوم هذا الاستعمال فقالوا صوابه باشر طبع الكتاب وباشر نسخه بدون تعدية هذا الفعل بأداة الباء لأنه لا يتعدى بها بل يتعدى بغير اية أداة من حروف الجر وتؤيد هذا الرأى نصوص متون اللغة .

قال المجد « ج ١ ص ٣٨٧ » : « باشر الأمر وليه بنفسه » أه ـ ولم يقل باشر بالأمر وكذلك نصوص المعاجم .

ولكنى لا أجيز تخطئة « المباشرة بالأمر » فإذا قال قائل إنه باشر بطبع كتابه مثلا فلم يخطىء .

واستدلالى على ذلكم يجرى وفق سنن العرب فى الكلام بالمعنى التضمينى فهم يعدون بالباء المتعدى بنفسه على سبيل تضمين الفعل معنى غيره ويجعلون الحرف المعدى به إشارة إلى ذلك التضمين فإذا كان تحميل الفعل معنى فعل آخر مشارك أو مجانس واردا فى الكلام فلا مانع من جواز المباشرة بالأمر .

وقرأت فى كتاب « الايمان » للامام ابن تيمية كلام عالم حسنا فى هذه المسلة وفيه جابة عن سؤال المعترض المعثار .

والتضمين قياسى عند الأكثرين ويكاد النحاة يجمعون عليه .

وعلامة التضمين تعدية الفعل بنفسه أو بالباء المستغنى عنها لتدل على المعنى المضمن وتكون له آية .

ومعنى التضمين عند أئمة العربية اشراب لفظ معنى لفظ آخر كما قلنا آنفا .
والبرهان على ذلك قوله تعالى « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به »
فقد عدى فعل أذاعوا بالباء وهو يتعدى بنفسه لكن لما تضمن معناه معنى تحدثوا
وتحدثوا يتعدى بالباء عدى بها أذاعوا نص على ذلك المفسرون القدامى .
والبرهان الثانى قوله تعالى : «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» فعدى (ولا تلقوا)
بالباء مع انه يتعدى بدونها لكن تضمن معنى ولا تفضوا فعدى بالأداة التى
يتعدى به فعل ولا تفضوا .

والبرهان الثالث قوله تعالى : « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم » فعدى بالباء لأن
معناه من يهم بالالحاد .

وقال الشهاب الخفاجى : لو جمعت تضمينات العرب لاجتمعت مجلدات .
وقال البطليوسى فى شرح أدب الكتاب لابن قتيبة : ان الفعل إذا كان بمعنى فعل
آخر فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع الآخر مجازا أو إيذانا بإن هذا
الفعل فى معنى ذلك الفعل الآخر .

أما التضمين فى المباشرة بالأمر فهو البدء به فلذلك أرى أنه صواب لا لحن
فيه قطعا لما ورد من الشواهد والأمثلة .

وقد نص أئمة النحو واللغة على جواز التضمين لوجود المعنى البلاغى فيه
وممن تعرض لذلك ابن الأنبارى وابن جنى ثم الواحدى وغيرهم .

ثم أنى أقول لك ان من معانى الباء الأربعة عشر - وبعضهم زاد على
ذلك - معنى التوكيد المتضمن معنى الفعل الآخر وهى تكون حينئذ زائدة
وزيادتها فى ستة مواضع منها المفعول نحو قوله تعالى فى سورة البقرة « ولا تلقوا
بأيديكم إلى التهلكة » وقوله تعالى فى سورة مريم « وهزى إليك بجذع النخلة »
وقوله تعالى فى سورة الحج « فليمدد بسبب إلى السماء » وقوله تعالى « ومن يرد فيه
بإلحاد » وقوله تعالى فى سورة ص « فطفق مسحا بالسوق والأعناق » قال ابن
هشام أى يمسح السوق مسحا ويجوز أن يكون صفة أى مسحا واقعا بالسوق .

وقال الشاعر :

نحن بنو ضبة أصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

وقال الآخر :

هن الحرائر لا ربات أخمرة سود المحاجر لا يقران بالسور

قال فى المغنى :

« قيل ضمن معنى لا تفضوا « لا تلقوا » ومعنى من يهم « من يرد » ونرجو بالفرج أى نطمع ويقرأن بالسور أى يرقين ويتبركن وكلها تضمين .

ويقال قرأت بالسورة على هذا المعنى ولا يقال قرأت بكتابك لفوات معنى التبرك فيه كما قال السهيلى .

ولم يتعرض ابن هشام لتخريج آية مريم « وهزى إليك بجذع النخلة » وتعقبه الشمنى ونقل عن الزمخشرى فى الكشاف ان الباء فى « بجذع النخلة » صلة للتأكيد أو على معنى افعلى وأما آية « فليمدد بسبب » فلم أر من تعرض لها . ذكر الشمنى وصاحب القطعة الهندية وقال ذلك كقوله :

وأن تعتذر بالمحل عن ذى ضروعها إلى الضيف يجرح فى عراقيبها نصلى

ولم يقل يجرح عراقيبها .

وعن المبرد ان « رطبا » مفعول به والعامل « هزى » والباء للاستعانة لا مزيدة وفيه نظر .

وقال ابن هشام وقيل المراد ولا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة بأيديكم فحذف المفعول به والباء للآلة كما فى كتبت بالقلم والمراد بسبب أيديكم كما يقال لا تفسر أمرك برأيك .

وقال كثرت زيادة هذه الباء فى مفعول عرفت ونحوه وقلت فى مفعول ما يتعدى لاثنين كقوله :

تبلت فؤادك فى المنام خريدة تسقى الضجيع ببارد بسام

واعترض على ابن هشام فى هذا التعليل أورده الشمنى وغيره فليراجع .

ونقل أيضا فى المغنى زيادتها فى مفعول كفى المعتدية لواحد ومنه الحديث كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع رواه أصحاب السنن وقول الشاعر :

فكفى بنا فضلا على من غيرنا حب النبى محمد إيانا

قال ابن هشام قيل إنما هى فى البيت زائدة فى الفاعل وحب بدل اشتمال على المحل وقال المتنبى :

كفى بجسمى نحولا اننى رجل لولا مخاطبتى إياك لم ترنى

قال الشمنى وغيره أتى بضمير الحضور فى صفة رجل مع ان طريقه الغيبة لكونه مسندا إلى ضمير الحاضر من قوله « إننى » ومثله يجوز فيه الأمران نظرا إلى المخبر عنه وإلى المخبر به نحو أنا رجل قمت وأنا رجل قام .

وذكره الدمامينى أيضا .

وأورد فى حواشى التسهيل انه ان ثبت أعمال الباء للظرفية المجازية كان متوقفا على السماع وذكرت ذلك لأننا إذا جعلنا معنى نرجو نطمع فى قوله نرجو بالفرج فتكون الباء ظرفية كما تقول طمعت بكذا أى طمعت فيه .

والخلاصة ان التعدية بالباء الزائدة لقصد التضمين جائزة كيف وقد أغرق بعض العرب فى معانى التضمين حتى انه حكى الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال سمعت رجلا من اليمن يقول : فلان لغوب جاءته كتابى فاحتقرها فقلت له أتقول جاءته كتابى قال نعم أليس الكتاب صحيفة .

* * *

من أخطاء القاموس

قال ابو تراب :

في مادة (ق ر أ) من القاموس مانصه : القرآن التنزيل ، قرأه وبه كنصره ومنعه قَرْأً وقراءة وقرآنا .

وفي هذا خطأ فان قوله : كنصره يجعل يقرأ بضم الراء في المضارع وهذه انكرها الجماهير من اللغويين والمشاهير من العلماء الصرفيين بل لم يصح مهموز اللام مضموم الأوسط إلا في يجرؤ على لغة والا فصح فيه يجرأ بفتح الراء وجرأ أيضاً بفتحها وورد جرؤ بضمها وغير هذه المادة ليس بصحيح وأما إذا كان ماضي المهموز على وزن علم بكسر الأوسط فهو بفتحه في المضارع بلاشك فلا يصح تركيب بُاب قرأ يقرأ على نصر ينصر بل الصواب تركيبه على منع يمنع بفتح الأوسط في الماضي والمضارع .

وقوله (ومنعه) هي اللغة المشهورة المعروفة المؤيدة بالسماع والقياس أي جعل يقرأ كيمنع ولم ترد الآي والأحاديث بغيرها .

وقد أطلق المصنف في المصادر التي أوردها فمقتضاه انها كلها بالفتح في الأول وليس كذلك أما الأول فهو الذي يقتضي القياس فتحه والاطلاق فيه ظاهر إلا أنه قل من ذكره من اللغويين والصرفيين من مصادر هذا الفعل .

وانما ذكروه في (قرأه) أي ضمه وجمعه (قرأ) أي جمعاً والمصنف ذكره هنا وأغفله في موضعه .

وقوله : (فهو قارىء من قرأة وقراء وقارئين) بيان لاسم الفاعل وجموعه المكسرة والسالمة إلا أن المصنف أغفل صفة المؤنث قال احمد فارس : والاغفال يوهم أن لا انثى له .

فان ادعى أحد أنه مقيس غير محتاج الى التنصيص عليه قلنا فجمع السلامة كذلك مقيس فى مثله غير محتاج الى ذكره والقرأة محركة ككاتب وكتبة وكامل وكملة مقيس فى فاعل والقراء بضم القاف وتشديد الراء كذلك جمع لقارىء كعاذل وعذال وجاهل وجهال وهو مقيس أيضاً فى دواوين العربية .

وقوله (وصحيفة مقروءة ومقروة ومقرية) يقصد به جهة الابدال الشاذ ولاسيما فى الياء والا فمقرية لايجوز لأن قريت وقروت بابدال الهمزة ياء وواواً عامية قديمة مردودة . صرح الزمخشرى وابن درستويه والمرزوقى من شراح كتاب الفصيح لثعلب بأنها لغة رذيلة عامية .

وكان ينبغى للمصنف أن يذكر فى هذه المادة فى كتابه الخلاف فى لفظ (القرآن) فان بعضهم اشتقه عن قرن وتعرض لهذا البحث فى اشتقاق لفظة القرآن بعض شراح المغنى وذكره أحمد فارس أيضاً فى نقده ولكن المصنف أغفل ذلك .

* * *

تسمية اسم الفاعل فعلاً

قال ابو تراب :

الكوفيون من النحاة يسمون اسم الفاعل ـ كذاهب وقائم وضارب ـ فعلاً دائماً وهذا غلط فاحش من عدة وجوه .

الأول : ان قائماً وضارباً وأشباهها أسماء بدخول عوامل الاسماء عليها .

الثاني : أن اعرابها كإعراب الاسماء فى الرفع والنصب والخفض والفعل ليس كذلك .

الثالث : انها تدخل عليها الألف واللام والاضافة والتنوين فكيف يجوز تسميتها أفعالاً وفيها هذه الخصوصيات التى لاتصلح إلا للأسماء وهى كالعلامات لها .

الرابع : انهم سموها أفعالاً دائمة وهذه التسمية يبطل معناها لأن الذى سموه دائماً ليس بفعل ماض ولا مستقبل فهو فعل فى الوقت الحاضر لا يبقى لأنه بمعنى الآن وهو حد قياس الماضى والمستقبل ومعنى الدائم أنه يدوم ويبقى .

وتفسير ذلك ان الماضى لا يكون إلا إذا أتى عليه فى زمن مضى زمن الحال ، والمستقبل كذلك فهو فى أول حدوثه يحل عليه زمان الحال .

فالماضى ما أتى عليه زمانان زمان وجد فيه الفعل وزمان أخبر فيه عنه فأما فعل الحال فهو المتكون فى حال الخطاب لم يخرج الى حيز المعنى والانقطاع ولا هو فى حيز المنتظر الذى لم يأت وقته فهو المتكون فى الوقت الذى إذا انقطع الفعل بعده كان ماضياً وإذ لم ينقطع كان فى أول الاستقبال .

قال ابو تراب : وإن قال قائل : ضارب يعمل عمل يضرب فسميناه بالفعل لأنه يعمل عمله قيل له لو كان الشىء إذا عمل عمل شىء سميناه باسمه لوجب

أن نسمى ان وأخواتها أفعالاً لأنها تنصب كما تنصب الأفعال وكذلك نسمى عشرين وما جرى مجراها أفعالاً لأنها تنصب كما تنصب الأفعال ونسمى المصدر فعلاً لأنه ينصب كما يفعل الفعل - انظر السيرافى -

ولولا الإطالة لذكرت أكثر من هذا مما يناقض قولهم ويبطله جملة .

بقى أن يقول قائل متعصب للكوفيين أننا نسمى ضارباً فعلاً لأنه لا فرق بين قولنا زيد ضارب عمراً وقولنا زيد يضرب عمراً فعمرو منصوب بضارب وبيضرب فهو إذن فعل .

قلنا لو جاز أن نحمل ضارباً على يضرب فنسويهما فعلين لاستوائهما فى المعنى والعمل جاز لنا أيضاً أن نحمل يضرب على ضارب فهلا نسمى يضرب أسماً لإستوائهما فى المعنى .

وفى ذلك يحصل قلب الأسماء عن حقائقها .

أما بعد فأنا لا أتعصب لرأى سيبويه وأمثاله من البصريين ولا أحتقر الكوفيين واجتهادهم ولكنى أتبع الحق فى المذهبين وما تبعهما من الآراء دون ماتقليد كما أفعل ذلك فى الفقه وابتغى بذلك خدمة الفصحى ونصب الحق ماثلاً للعيان ومن أراد الوقوف على هذا الوهم للكوفيين فليرجع الى شرح الكتاب جـ ١ ص ٤٩٣ وابن يعيش ج ٧ ص٤ وبالله التوفيق .

* * *

الدعاوة والدعاية

قال ابو تراب :

وقرأت ما كتبه الاستاذ عبد الفتاح ابو مدين من غضبى على استعمال « الدعاية » وهذه لامرية فى انه صحيح وما جنحت الى استعمال « الدعاوة » دون « الدعاية » الا لكون الصواب فى الحرف الاول وكون الحرف الثانى خطأ .

واليك بيانا تعمل به وبالله نتأيد .

اعلم ان الدعاية من دعا يدعو ولا يمكن ان يكون مصدر الواوى او اسمه ياء بحال من الاحوال اللهم الا ان يكون اللفظ مما تدخله الواو والياء معا وهذا الحرف اعنى دعا يدعو ليس من هذا القبيل .

ولا تنقلب الواو ياء الا فى الاجوف فتقول فى ساد يسود سيادة وقاد يقود قيادة وعاد يعود عيادة قال علماء الصرف انقلبت فى امثال هذه الكلمات الواو ياء لانكسار ما قبلها وهذا للجوار .

هذه هى قاعدة الياء المنقلبة والواو الاصلية وهى قاعدة الاجوف الواوى واليائى وعلى هذا ينصب كلام الصرفيين .

ومن اوهام الناس فى هذه المسلة ان ظنوا ان كل واو تنقلب ياء لانكسار اول الكلمة وهذا غلط قبيح فان الجوار شرط وكون الكلمة اجوف شرط آخر وهذا كله منتف من دعا يدعو وهو ليس يائيا بل هو واوى فأين هذا من دخوله تحت قاعدة الانقلاب الواوى الى ياء اللهم انه تناقض .

على أن الدعاوة بفتح الدال كالدعوة وكسر داليها غير فصيح وانما هو وارد فى كلامهم على قلة كما نص على ذلك علماء اللغة .

وانك لتجد فى كلامهم الناقص اليائى ـ وهو ما آخر حروفه حرف علة ـ مستعملا فى المصدر واسمه ياء كرمى يرمى رماية ورميا ولا تجد ذلك قطعا فى الناقص الواوى بل هو فى جميع صيغه بالواو ضرورة ولا يجوز خلاف هذا البتة .

ولقد تتبعت سائر ابواب اللغة من الناقص الواوى فلم اجد ما يستعمل منه اسم مصدره بالياء اللهم الا اربع كلمات هى من الواوى فجاءت بالياء وهى نجا ينجو نجاية وطها يطهو طهاية ودنا يدنو دناية وحفا يحفو حفاية والحقيقة فى ذلك ان هذه الكلمات مما تتداخل فيها الواو والياء وليست واوية فقط فالنجاية ليست من نجا ينجو بل هى من نجى ينجى من باب علم يعلم من الصحيح ونجى ينجى من الناقص وكذلك الطهاية هى من طهى يطهى لغة فى طها يطهو وكذلك الدناية من دنى يدنى وكذلك الحفاية من حفى يحفى .

واما الاداوة فاسم لا يحتج به ولم يأت من دعا يدعو فى شيء من لغات قبائل العرب يائى قطعا فكيف يجوز فيه استعمال الدعاية بل هو خطأ والصحيح الدعاوة كما نص عليه فى القاموس وغيره .

وان شئت فانظر مصداق ذلك فيما تتبعته من اللغة ولم يسبقنى اليه احد فيما روى عن العرب من الناقص من كلامها .

خذ مثلا علا يعلو فقد نص علماء اللغة ان الاسم منه علاوة ولم يأت علاية لانه واوى وكذلك عدا يعدو جاءت منه العداوة ومن طفا يطفو الطفاوة ومنه طفاوة القدر عند الغليان ومن طلا يطلو الطلاوة ومن طها يطهو الطهاوة ومن رغا يرغو الرغاوة ومن رخا يرخو الرخاوة ومن رجا يرجو الرجاوة ومن دنا يدنو الدناوة ومن حفا يحفو الحفاوة ومن حلا يحلو الحلاوة ومن تلا يتلو التلاوة ومن بدا يبدو البداوة ومن أتا يأتو الاتاوة ومن شكا يشكو شكاوة ومن بقا يبقو بقاوة وهو بمعنى نظر وكل ذلك مختلف فى الضبط بالكسر والفتح والضم لانه سماعى ومن العجب ان هؤلاء المتشدقين بالدعاية لم يستعملوا من حلا يحلو الا الحلاوة مع انهما واحد من الواو وكذلك لم يستعملوا الا العلاوة والا العداوة والا الطلاوة والا الرخاوة والا الحفاوة

والا التلاوة والا البداوة والا الاتاوة والا الرخاوة والا الحفاوة فهلا استعملوا فيها الياء ولا قياس ثم يؤيدهم ولا سماع يعضدهم ولا وجه يصيبونه .

فاذا لم يسمع من العرب ولا نقل احد من اللغويين المعتمد عليهم فى الرواية : الدعاية فهلا الحقوها بأشباهها من الناقص الواوى ولا أدرى لماذا شذوا بها الى الياء .

أما قولنا فى الاجوف فقد نص اللغويون على انقلاب واوه ياء كالقيادة من قاد يقود وهو ليس ناقصا وكالسيادة من ساد يسود على أن استعمال القيدودة فى قاد يقود أفصح .

وأما الناقص اليائى فتثبت الياء فيه على حالها فى الاسماء كالرماية من رمى يرمى والرواية من روى يروى والولاية من ولى يلى والوشاية من وشى يشى والوصاية من وصى يصى كوعى يعى والدراية من درى يدرى والوقاية من وقى يقى والنهاية من نهى ينهى والكناية من نكى ينكى والنفاية من نفى ينفى والنقاية من نقى ينقى وجاء فيه النقاوة لانه مما تتداخل فيه الواو والنساية من نسى ينسى والكناية من كنى يكنى والكفاية من كفى يكفى والعناية من عنى يعنى والعماية من عمى يعمى والغواية من غوى يغوى وهذا لفيف مقرون كطوى يطوى . قال امرؤ القيس (وما ان ارى عنك الغواية تنجلى) واما الطغو والطغيان فهما واوى ويائى .

وأما الصلاية فهو يائى وأما العباية والعجاية فهما اسمان .

واما الشكاية فليست من شكا يشكو كما يتوهم البعض فان الاسم من شكا يشكو شكاوة كما نص عليه فى القاموس واما الشكاية فهى من شكى يشكى لغة شكا يشكو والفرق بينهما كالفرق بين البغى والبغو وهما واوى ويائى . واليائى من سقى يسقى يأتى سقاية على القياس والسماع . وكذلك من سعى يسعى لانه مثله

ومن سرى يسرى سراية وزرى يزرى زراية ورعى يرعى رعاية وحمى يحمى حماية وجاءت حفاية لانه من حفى ونص الفيروز آبادى على انه حفاوة فيكون من حفا ومن جنى يجنى جناية والجراية اشتقاقها من جرى يجرى لانه اسم اجراه على كذا ومن برى يبرى براية ومنه براية الاقلام وهى النحاتة والبجاوة والبجاية اسمان لا يحتج بهما وهما كالاداوة وجمعها اداوى كفتاوى .

وتركنا كثيرا من الاسماء لانه لا حجة فيها كما لا حجة فى ما تتداخل فيه الواو والياء فى لغة قوم من العرب .

وبالجملة فلم يثبت فى لغتها ان قلبوا الواو ياء الا لعلة التداخل والا فالاصل هو المتبع المسموع القياسى ومنه الدعاوة .

قال ابو تراب : اما ماورد فى صحيح البخارى من كتاب رسول الله ﷺ الى هرقل وفيه : « أدعوك بدعاية الاسلام » فكذلك هو الرواية وليس لها نظير ولاشاهد . وبالله نتأيد .

قال ابو تراب :

وجاءت البداية لمشاكلة النهاية والاّ فالياء فيها همز فهى بداءة

* * *

المعرب الموزون

قال ابو تراب :

نقل احمد فارس عن بعض اهل العلم انهم يقولون انه متى وجد فعل كان شاهدا على ان اللفظ عربى واستشهدوا على ذلك بلفظ الديوان فقالوا انه عربى لانه يقال دونت الكلمة اذا ضبطتها وقيدتها .فالديوان موضع تضبط فيه احوال الناس وتدون فيه .

قال ابو تراب وقد سبق لنا ان حققنا هذه الكلمة عند ذكر ناها فى الآراء القديمة فى الادب العربى المنشورة فى مجلة « الرائد » وقلنا هناك انها فارسية واختلف العلماء فى جمعها على دواوين ودياوين والراجح لدينا هو الاخير وان كان الاستعمال قلب الياء واوا فى فعل هذه الصيغة فى قولهم دونت الشىء وذكرنا ايضا ان كسرى لما اطلع على اعمال كتابه قال هذا عمل ديوان اى عمل جن لان « ديو » بالفارسية بمعنى الجن ويجمع على (ديوان) نقله فى تاج العروس .

اما قول بعض اهل العلم بأن اشتقاق الفعل من الكلمة على الوزن العربى يدل على عربيته فهذا خطأ غير صحيح ولم يرتضه ايضا صاحب الجوائب بعد ان نقل هذا المذهب قائلا وعندى ان ذلك لا يصح على الاطلاق .

لذلك عيب على الفيروز آبادى عدم تفريقه بين أن يقول مثلا : رومى او معرب عن الرومى حتى تعلم حقيقة لفظه فان الاسماء المعربة قد تبقى على وزنها بعد التعريب وقد تغير وتلحق بوزن اللفظ العربى .

قال الخفاجى فى شفاء الغليل قال سيبويه : الاسم المعرب من كلام العجم ربما الحقوه بأبنية كلامهم وربما لم يلحقوه ، فمما الحقوه بأبنيتهم درهم وبهرج ومما لم يلحقوه الآجر والافرند الى آخر ما ذكر .

وبهذا تعرف أن العرب تأخذ اللفظ العجمى وتتصرف فيه كما تتصرف فى اللفظ العربى كقول على بن ابى طالب كرم الله وجهه : نورزوا لنا كل يوم ورواه السيوطى فى المزهر ورواه القاموس بقوله : مير زونا وكقوله ايضا : مهرجوا لنا كل يوم .

وجاء فى كلامهم دنر وجهه ودينار مدنر وأساطين مسطنة وقناطير مقنطرة وقالوا تطلس فلان اى لبس الطيلسان ومن القرطق تقرطق وكل ذلك أعجمى .

وفى القاموس النواخذة ملاك سفن البحر او وكلاؤهم معربة الواحد ناخذاة اشتقوا منها الفعل وقالوا تنخذ كترأس .

وهذا كله اعجمى فى الاصل عربته العرب واشتقت منه افعالا وبعضه وارد فى فصيح الكلام ولا يدل اشتقاق الفعل منه على اصالة عربيته قطعا فلو كان كذلك لكان كلام الفير وز آبادى :

ان الاناكير قد ساهت وقد سبزت واشر ورنت بعد ان كانت تراشيشا

عربيا فصيحا وليس كذلك بل هو نحت على منوال الصيغ العربية وتركيب على اوزانها والكلام كله فى هذا البيت فارسى فالاناكير من « الانكور » وهو العنب وساهت اشتقها من (السياه) وهو الاسود وسبزت اخذها من « السبز » وهو الاخضر واشر ورنت من (الشير ين) وهو الحلو والترشيش جمعه من (الترش) وهو الحامض والعرب تجعل التاء طاء ومن ذلك (الطرشى) .

وهكذا جرت سنة العربية ان تشتق من العجمة المعربة افعالا على اوزانها العربية وهو شائع فى جميع اللغات بل انى اوافق ابن فارس على اشتقاق فعل دبج يدبج تدبيجا من الديباج فهو اذن عجمى الاصل .

ولاشين فى ذلك على العربية فان جميع اللغات يستعير بعضها من بعض وانما الشين ان تكون فى العربية الفاظ عديدة مترادفة ثم يستعير وا من الاعجمية لفظة بمعناها كما فعل المجمع اللغوى اليوم فى قاموسه الذى اخرج لنا بعد لأى وطول انتظار .

وكذلك من الشين والمذموم أن تكون اللفظة عربية الاصل ثم تنسب الى الاعجمية كما هو الحال فى كلمة (الترسانة) وبعض هذه الكلمات معروف لدينا كيفية دخولها الى الاعجمية كما علمنا ايضا دخول بعض كلماتها الى العربية وبعض ذلك ظل مجهولا فلم نعرف كيف دخل بعض لغتنا الى لغة القوم ثم كيف دخل بعض كلامهم الى كلامنا وذلك كالبرازيل وأصله : بَرُّالسيل أفادناه الشاعر عمر ابو ريشة . .

واستعمال الكلمة الاعجمية سائغ فى كلام العرب العاربة والعرباء بله المستعربين والقرآن استعمل كلمات اعجمية دخلت العربية حتى اصبحت وكأنها منها وحتى ادعى الشافعى رحمه الله ان القرآن ليس فيه كلام اعجمى وانه من توافق اللغات . ويرد على ذلك قول ابن عباس رضى الله عنه ان « هيت لك » فى سورة يوسف قبطية وقول ابى زيدانها عبرانية الى غير ذلك من الادلة وللسيوطى فيه كتاب مفرد مطبوع اسمه : المهذّب فيما فى القرآن من المعّرب .

لكنا نمقت ان تستعمل الفاظ اعجمية فى الفصحى مع غنانا عنها بكلمات مرادفة لها فى العربية ذلك لان القرآن كتاب عربى مبين لم يستعمل من الالفاظ الاعجمية الا ما أصبح من العربية بمكان لتداول العرب اياها ولانها لم تعرفها الا من الاعجام ولم تكن مدلولاتها بارض العرب ذلك كالفيل مثلا ليس بأرضهم فعرفوا الكلمة من الفرس وعنهم اخذوا .

وكالاستبرق والديباج والفالوذج وغيرها .

❊ ❊ ❊

فقط مبلغ كذا

قال ابو تراب :

تقول العامة فى املاء رقاع الديون والاقراض : (فقط مبلغ كذا) واقرهم على ذلك جلة الكتاب وكبار الناس من ذوى العلم وكنت اعيب عليهم هذه العهنة غير نافخ فى كيرهم ظنا منى ان العلماء لا تغيب عنهم هذه المسألة حتى وقع نظرى اليوم على كلام بعض الباحثين فى المجمع اللغوى ينزع الى منزع غير سديد ويؤيد تصويب هذه الجملة زاعما أن (فقط) أضحت أداة للحصر مثل (انما) فيجوز تقديمها على هذه المشابهة ثم زعم انها تشبه خلا الاستثنائية فلما كانت (خلا) تتقدم الكلام جاز أيضا تقدمها .

قال ابو تراب : (حفظت شيئا وغابت عنك أشياء) اننا نعرف أن (خلا) تتقدم الكلام كقول الشاعر :

خلا الله لا أرجو سواك وانما أعد عيالى شعبة من عيالكا

ولكن وجود الفاء فى (فقط) يوجب سبق الكلام عليها كما هو المسموع من كلام العرب ولم يحك عنها استعمالها فى غير أعقاب الكلام .

وكنت أرجو من المجمع والعلماء أن يجلوا هذه الهبوة التى أثارها هذا الرجل وقد عجمتهم الابحاث وحلب عليهم الدهر أشطره ليس فى أذهانهم كلالة ولا فى نحائزهم ضعف ولا هم موهونو الشكائم حتى يذكروا من سهو أو ينبهوا من غفلة وقد ضرستهم الشصائب من كل حدب تكال اليهم كلمات الانتقاص فيتحملونها خدمة للغة والتزاما بحسن الادب .

واليكموها ايها الاصحاب تحقيق (فقط) .. انها كلمة مركبة من الفاء وقط وهى على ثلاثة معان . الاول معنى الظرفية لاستغراق ما مضى من الزمان وهذه

بفتح القاف وتشديد الطاء المضمومة فى أفصح اللغات .. والثانى معنى حسب وهذه مفتوحة القاف ساكنه الطاء والثالث معنى اسم فعل فيقال « قطنى » بنون الوقاية اى يكفينى فأما الظرفية فهى تختص بالنفى يقال ما فعلته قط أى ما فعلته فيما انقطع من عمرى لان اشتقاقه من قططته بمعنى قطعته وهى مبنية على الضم لتضمنها معنى (من والى) فالماضى منقطع عن الحال والاستقبال فلذلك لا يجوز أن تقول لا أفعله قط فهو لحن العامة وفيها لغات أخرى ليس هذا مقام ذكرها ومعناها لم أفعله من مدة عمرى الى هذا الوقت .

وأما التى بمعنى حسب فهى موضوع البحث وتقول فيها قطك أى حسبك وقطى أى حسبى وقط زيداى حسب زيد فقولهم (ألفا درهم فقط) أى فحسب .

وقول الحريرى فى المقامة الثالثة والعشرين :

من ذا الذى ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

الاولى ظرفية والثانية بمعنى حسب وفى حديث قتل ابن ابى الحقيق حين وضع ابن عتيك سيفه فى بطنه قال : قطنى أى حسبى .

قال ابن هشام فى حواشى التسهيل : ولم يسمع منهم الا مقرونا بالفاء .

وقال التفتازانى فى المطول : قط اسم فعل بمعنى انته ويصدر كثيرا بالفاء تزيينا للفظ كأنه جزاء شرط محذوف أى اذا كان كذلك فانته عن الآخر قال وانما قدرنا الشرط تصحيحا للفاء .

وقال ابن السيد هى بمعنى الاكتفاء بالشىء والاجتزاء به . ونقل الخلاف فى اعرابها لما بعدها .

أقول فاذا كانت هذه منزلتها فكيف تصلح ان تتصدر الكلام وهل يصح أن يتصدر الجواب المقرون بالفاء . وزد على ذلك ان فاءها تشبه فاء العطف أو التعقيب أو التفريغ وكلها لا بد من أن يتقدمها متقدم فظهر لك اذن خطأ قول العامة (فقط مبلغ كذا) ثم ظهر لك ايضا خطأ التأييد الذى لقيه من جهة بعض المتصدين للبحث فى اللغة

قال الشمنى اذا قلت أخذت درهما فقط فمعناه (فاكتفيت به) وفى تقرير غيره يكون معناه فانته اى لا تتجاوزه وجعلها ابن هشام زائدة ورد عليه فان الفاء غير زائدة ولو كانت زائدة لما جاز ايضا تقديم (فقط) على الكلام على ما نص عليه ابن هشام نفسه فى المغنى .

* * *

حول كتاب فقه اللغة للثعالبي

قال ابو تراب :

قرأت فى جريدة « البلاد » عدد ٢٤١٢ وتاريخ ٢٤ شعبان الثلاثاء ٧٦هـ مقالا حول فقه اللغة للثعالبى ، وقد حاول صاحب المقال ان يثبت للقراء بعض اخطاء ظنا منه انه مصيب فيها وليس الأمر كذلك وقد حط المذكور من قيم اهل العلم وملأ مقدمة كلامه بالزامهم عدم القيام بالواجب العلمى وانهم لم يخرجوا هذا الكتاب تخريجا مصححا الى غير ذلك من الكلمات لست فى حاجة الى ذكرها وهى ظاهرة البطلان فان الكتاب قد طبع مرات عديدة وقد خدمه العلماء تصحيحا ومقابلة وتعليقا ، اعرف من ذلك طبعة باريس ١٨٦١م ص ١٨٢ و١٥ بعناية الكنت رشيد الدحداح ، وطبعة حجر مصر ١٢٨٤ ص ١٩٦ وطبع حروف مصر ١٨٨٠م ص ٢٧١ وبالمط العمومية على نفقة مصطفى الحلبى ١٣١٨هـ ص ٢٦٣ تصحيح الشيخ محمد الزهرى ١٣٢٥م ص ٤٤٨ وطبع باعتناء الأب لويس شيخومط اليسوعيين بيروت ١٨٨٥ ص ٤٣٢ وطبع طبعة متقنة فى بيروت مع كتاب النبات والشجر للأصمعى وكفاية المتحفظ لابن الاجدابى وكتاب الجراثيم لعبد الله بن مسلم وهى عندى ، واخيرا صدرت طبعة بمصر بتحقيق نخبة من الأفاضل ومن هذه الطبعات ما هو فى غاية الصحة ، وشىء طفيف من الأخطاء المطبعية فى الحركات وانقلاب بعض الحروف وهذا ما لا يخلو عنه اى كتاب ولا اولئك الكتب المصححة المعتنى بها ففيها من فواحش الأغلاط ما لأهل العلم بها خبر جلى .

وانى اذ اكتب هذا الرد اريد الاشارة الى ما وقع فيه الناقد صاحب المقال من اخطاء نتيجة عدم التأمل ـ واستغفر الله من زلة قلم او لسان .

من ذلك دعواه فى قوله :

لحاظك اقدار وكفك مزنة وعزمك صمصام وريقك غيل

قال هو ربعك والغيل هنا عنده بكسر الغين ، اقول من الخطأ الجزم بذلك بل الصواب الذى لا يأباه التحقيق « ريقك غيل » بفتح الغين بمعنى لبن المرضعة وضبطه المجد بفتح الغين وفى ج ٨ ص ٥٢ من تاج العروس الغيل اللبن الذى ترضعه المرأة ولدها وهى تؤتى قالت ام تأبط شرا تؤبنه بعد موته (ولا ارضعته غيلا) او هو ان ترضع ولدها وهى حامل واسم ذلك اللبن الغيل ايضا فاذا كان كذلك تعين تشبيهه بالريق كأنه يقول للممدوح ان ريقه كاللبن وافحش من هذا الخطأ قوله فى الغيل انه بكسر الغين وهو بفتحها البتة بمعنى اللبن واما بالكسر فبمعنى الأجمة ضبطه الجوهرى وغيره (انظر الصحاح ج ٢ ص ٢٢٥) قال ابن مالك فى المثلثات ص ١٤١ .

الساعد السمين غيلا عرفا كذا رضاع حامل فاعترفا
والماء يوم الأرض جار وصفا بالغيل ايضا غير ذى اغراب
والشجر الملتف مع مأوى الأسد يفهم غيل واذا الغول ورد
فلفظه لكل مهلك سند كذا حكى من ليس بالمرتاب

وقال حسن قويدر فى المثلثات ص ٦٩

والماء يجرى فوق ارض الغيل ولبن الحبلى واما الغيل
فالشجر الملتف ثم الغول جنية تكون ذات سحر

وتوجيه معنى الربع وصفا بالغيل بعيد جدا لأن الشاعر فى ذكر صفات الممدوح .

واما دعواه فى قول طرفة (وكرى اذا نادى المضاف مجنبا الخ) بان صوابه محنبا بالحاء جزما فخطأ فقد ضبط فى رواية التبريزى بالجيم وقال فى شرحه المجنب فرس اقنى الذراع وضبط فى شعراء النصرانية بالحاء انظر ج ٣ ص ٣٠٣ والمختار ص ٣١٧ وكلتا الروايتين صحيحة فان التجنيب والتحنيب من صفات الخيل

يقبلان اطلاقهما عليها قال الجوهرى فى الصحاح ج ١ ص ٣٩ والتجنيب انحناء وتوتير فى رجل الفرس مستحب ونقله فى تاج العروس ج ١ ص ١٩٢ وانشد قول ابى دواد .

وفى اليديـــن اذا ما الماء اسهلها ثنـى قليـل وفى الرجلين تجنيب

ونقل عن ابى عبيدة التجنيب ان يحنى يديه ورجليه فى الرفع والوضع وعن الأصمعى التجنيب بالجيم فى الرجلين والتحنيب بالحاء فى الصلب واليدين نقله الزبيدى وذكره الجوهرى ايضا وفى ص ٢٢٤ ج ١ من تاج العروس التحنيب احديداب فى وظيفتى يدى الفرس وليس ذلك بالاعوجـاج الشديـد وقيـل هو اعوجاج فى الضلوع وقيل فى يد الفرس انحناء وتوتير فى صلبها ويدها وبالجيم فى الرجلين وقيل توتير فى الرجلين او هو بعد ما بين الرجلين بلا فحج وهو مدح نقله الجوهرى وذكره فى تاج العروس وقيل اعوجاج فى الساقين او فى الضلوع قال الأزهرى هو فى الخيل مما يوصف صاحبه بالشدة كالحنب محركة وهو محنب كمعظم قال امرؤ القيس

فلأيـــا بلأى ما حملنـــا وليدنا على ظهـــر محبـــوك السراة محنب

قال ابن شميل المحنب من الخيل المنعطف العظام وتقول فى الأنثى حنباء قال الأصمعى وهى معوجة الساقين فى اليدين وهى عند ابن الاعرابى فى الرجلين انظر اللسان وتاج العروس ح ن ب .

وان تعجب فعجب قوله « ان الفعل لا يجمع » ولعمرى ما المانع من جمعه وفى صيغة الجمع فاعلوه جماعة فمصادر الفعل هنا متعددة وبدهى ان تعدد مصدر الحدث يوجب تعدد الأفعال فتجمع بهذا الاعتبار ولا مانع واما جمعه فى اللفظ باداة الجمع فظاهر متحقق ولا ينكر ذلك من له ادنى مسكة بالعلم .

واعجب من هذا قوله فى الجموع التى ذكرها الثعالبى لا واحد لها ان لها واحدا وهذا ايضا ناشىء عن قلة تأمل فقد قال الثعالبى فى نص كلامـه ان لا واحد لها من لفظها وفى موضع آخر من فقه اللغة لا واحد لها من بناء جمعها

والذى ذكره الناقد ليس من لفظ الجمع فظهرت المكاسعة بالصدر ولا حـول ولا قوة الا بالله .

وكذلك زعمه فى ذكر المؤلف لفظ جنب فى فصل اقامة الواحد مقام الجمع قال ولا يطابق ذكره هنا لأن المؤلف ذكره فيا يقع على الواحد والجمع اقول هذا باطل البتة فان كون الشىء يقع على الواحد والجمع لا يستلزم خروجه عن ان يقام مقام الجمع لكونه لم يخرج بعد عن كونه واحدا ولا فرق بين ان يكون الاسم يقع على الواحد والجمع وبين ان يقام الواحد مقام الجمع لأنه اذا صح وقوعه على الجمع صحت اقامته مقامه .

وليتق الله من يصم مثل الثعالبى بالجهل إذ جعل الضمير فى اقلت سحابا ثقالا دليلا لتأنيث السحاب ويتهجم على كتب الأئمة فيصوبها بالتغاليط فان مثل الثعالبـى بعيـد عن أن يجهـل الضمـير فى « اقلـت » بل ثبـوت التأنيث عنده فى قوله « ثقالا » وهذا جهله الناقد صاحب المقال فاذا جهل مثل ذلك الكاتب فلا ينبغى ان يجهله الناقد .

ونسأل الله العصمة ..

* * *

حول المطاعن على الثعالبي أيضاً

قال ابو تراب :

ان نسى قوم من القراء الكرام ما دار بيننا وبين الفاضل القبورى حول اوهام الثعالبى فى فقه اللغة فانى لم انسه ولم ينسه كذلك جماعات من الناس ينتظرون جوابى على ما كتبه المعلق المذكور فى تعليقه الذى نشره فى جريدة « البلاد » وكنت نشرت أشياء من هذا وبقيت أشياء وقد عاقتنى شواغل الأمور عن الكتابة والتهيت باشياء لم تكن من الموضوع الذى كنا بصدده الى ان تصدى احدهم لتذكيرى بذلك فنهضت مشمرا عن ساعدى لاجيب صاحبى عن المؤخذات السبع التى اوردها على المؤلف الامام الثعالبى بلا حجة ولا برهان واضح وانما هو مجرد طعن على كبار الناس من ائمة العلم وذلك ليذكرنى بقول القائل :

اوردهـا سعـد وسعـد مشتمل   ما هكذا يا سعـد تورد الابل

وانا فى ذبى عن الامام الثعالبى وجوابى عنه وازالتى الاشكال ، اخاطب الاستاذ المذكور بالاخص وسائر الكتاب بالاعم ، ناصحا بان يكون الاخذ بالرد وبالنقد لا بانكار الحقائق الواقعة ، ولا بمكاسعة الصدر ، اذن فلا علاج له قطعا .. ثم هاكم جوابا عن المطاعن المساقة الى كتاب فقه اللغة وبالله الجليل التوفيق وهو الحسيب الرقيب .

انكر المعلق قول الثعالبى بأن معنى أيان مثل متى فى قول الله عز وجل : « وما يشعرون ايان يبعثون » اى متى يبعثون .. قال الاستاذ القبورى أيـان ليست بمعنى متى ، قلت وهذا الادعاء باطل ، واليك أدلة تنقض قوله :

ذكر الطبرى الامام فى التفسير (ج ١٤ ص ٦٥) أيان بمعنى متى ، اى وما تدرى اصنامكم التى تدعون من دون الله متى تبعث ، قال الطبرى وقيل انما عنى بذلك الكفار أى أنهم لا يدرون متى يبعثون .

وقال النيسابورى فى تفسير الآية معناها أى لا تشعر الآلهة متى تبعث عبدتهم فيكون فيه تهكم بالمشركين من حيث أن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم ..

وقال الرازى فى الكبير (ج ٤ ص ١٣٢) يعنى ان عبدة الاصنام لا يشعرون متى يبعثون (أى المشركون) أو أن هذه (الاصنام) لا تعرف متى يبعثها الله على تقرير معنيين فى الآية ..

وقال فى لسان العرب (ج ١٦ ص ١٨٨) أيان معناه أى حين وهو سؤال عن زمان مثل متى ، وفى التنزيل العزيز « أيان مرساها » .. وقال ابن سيده أيان بمعنى متى ، فينبغى أن يكون شرطا وقد يمكن أن يكون فيها معنى الشرط ولم يكن شرطا صحيحا .. ونقل عن الزجاج : وما يشعرون أيان يبعثون أى لا يعلمون متى البعث

هذا فأين المنكر لمعنى متى فى ايان بعد قيام هذه الادلة والشواهد من كلام العلماء ؟ فاذا كان هؤلاء كلهم فسروا أيان بمعنى متى ، فكيف يمكن الرد على الثعالبى اذ قال بمعنى متى فى أيان ؟ (وكم من عائب قولا صحيحا .. الخ)

وانكر المعلق على الثعالبى قوله بكون الواو واو الثمانية فى قوله تعالى : « حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها ».. مع أن القول بذلك ليس هو قول الثعالبى وحده بل قاله أئمة قبله وبعده من أهل العلم الذين لا يستهان بمعرفتهم ورسوخ قدمهم .. وآخرون أنكروها وردّوا على مثبتها وليس الثعالبى وحده هنا ممن أتى من الأمر إدّا فالمسألة خلافية وممن أثبت هذه الواو النيسابورى فى التفسير (ج ٢٤ ص ٢٠) قال : وقد يقال لها واو الثمانية كما فى قوله تعالى « التائبون العابدون » الخ وفى سورة الكهف ايضا . قلت فما ذنب الثعالبى اذن ؟.

وقال الرازى فى الكبير (ج ٥ ص ٤٥٢) فان قيل قال الله تعالى فى أهل النار « فتحت ابوابها » بغير الواو وقال هاهنا بالواو فما الفرق ؟ قلت الفرق أن أبواب جهنم لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها فاما ابواب الجنة ففتحها يكون متقدما على وصولهم اليها ، بدليل قوله : « جنات عدن مفتحة لهم الابواب »، فكذلك جيء بالواو كأنه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها (أى من قبل) .

وهذا بعينه مستفاد من تقرير الزمخشرى أيضا فى الكشاف وذكر المبرد والفارسى وجماعة فى هذه الآية : ولا يمنع هذا ان يكون هذا المعنى يتضمن ايضا معنى واو الثمانية كما ذكروه فتكون الآية بذلك مع كون الواو فيها واو الثمانية أفادت ببلاغتها معنى التكريم المقصود به لأهل الجنة من حيث أن ابواب الجنة مفتوحة لهم قبل دخولهم اياها ، ولا خلاف ولا تعارض بين التقريرين لامكان وجود الجامع بينهما ، ولا تمنع الواو واو الثمانية الحالية قطعا حتى يرى الانسان رأى الجمود ويتعصب به وينبذ الفوائد بالعراء .

وجملة القول أن هذه الواو اختلف فيها اهل العلم فقال قوم هى عاطفة وقال آخرون هى حالية وقال كثيرون منهم انها واو الثمانية ، والقائلون بهذا القول الاخير جماعة منهم ابن خالويه والثعلبى وحكى هذا المذهب ابن هشام النحوى صاحب المغنى وان كان لا يراه بنفسه ، وهذا الرأى هو الذى اختاره صاحب فقه اللغة فليس للطعن عليه مسوغ ولا وجه انكار مع تأييد كثير من أهل العلم اياه على هذا المسلك . وقال قوم ان هذه الواو مقحمة والتقرير أنها دخلت فى آية الجنة اذ أبوابها ثمانية كما دخلت فى قوله « والناهون عن المنكر »، اذن فلا ملام على الثعالبى .

وقال ابن القيم فى حادى الأرواح : القول بواو الثمانية ضعيف لا دليل عليه ، ولا تعرفه العرب ولا أئمة العربية بل هو استنباط بعض المتأخرين .

وانكرها ايضا ابن كثير فى تفسيره وردها ابن جنى وأصحابه وقال القرطبى فى تفسيره : إن بعضهم تساهل غاية التساهل حيث زعم ان واو الثمانية لغة فصيحة لقريش . قال القشيرى ابو نصر : ومثل هذا الكلام تحكم ، ومن اين ان السبعة نهاية عندهم ، ثم هو منقوض بقوله تعالى : « هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر » ولم يذكر الاسم الثامن بالواو ، وأنكر ابو على الفارسى على ابن خالويه زعمه وجود هذه الواو .

وقال السيوطى فى الاتقان : الصواب عدم ثبوتها وأنها فى الجميع للعطف ..

وقال السيوطى فى همع الهوامع : ولم يذكر هذه الواو واحد من أئمة العربية .

وقال ابن المنير فى الانتصاف : ان ذلك امر لايستقر لمثبته قدم -

وقال ابن هشام فى المغنى : ذكرها جماعة من الادباء ومن النحويين الضعفاء كابن خالويه ومن المفسرين كالثعلبى ، وزعموا ان العرب اذا عدوا قالوا : ستة سبعة ، وثمانية ، إيذانا بأن السبعة عدد تام ، وان ما بعدها عدد مستأنف ، واستدلوا على ذلك بآيات وسلك ابو البقاء على امامته فى بعض هذه الآيات مسلك الضعفاء .

وذكر السيوطى ايضا انهم استدلوا لذلك بقوله تعالى : « وثامنهم كلبهم » وقوله تعالى : « وفتحت ابوابها » وقوله تعالى « والناهون عن المنكر » وقوله تعالى « ثيبات ابكارا » .

ثم أجاب عن الأولى بانها عاطفة وعن الثانية بانها زائدة أو عاطفة أو حالية وعن الثالثة بانها عاطفة وعن الرابعة بانها عاطفة ايضا ورد بذلك على الحريرى ايضا القائل بواو الثمانية .

هذا فليس الثعالبى وحده يقول بواو الثمانية فلماذا يخصُّ بجام الغضب وحده ، وقد كتب الشيخ اسماعيل الأنصارى مقالة فى هذه الواو وردّ فيها على من أثبتها ونشرت فى « المنهل »

قال ابو تراب :

واعترض المعلق على قول الثعالبى بأن (لا) زائدة فى قوله تعالى : « لا اقسم بيوم القيامة » وانكاره هذا كانكاره فيما ذكرنا من قبل لا يستند على مقوم ظهير ولا على شيء من البرهان بل القائل بجواز أن تكون (لا) زائدة فى هذه الآية ابن القيم وغيره من مشاهير العلماء والاعلام والاثبات المحققين وبهذا يظهر ان الثعالبى ليس منفردا فى قوله الذى عده الاستاذ المعلق من أوهامه واغلاطه وأرى أن ليس يصح أن ينسب اليه ما جاء فى كلام الناقد من تخطئة وبالله نعتصم .

وانظر أيها المنصف ما قاله العلماء فى ذلك لتقف على ما يحترفه ويتهجم به صاحب الرد كأنى اخاله امام قول جميل حين أجيبه على اعتراضاته .

تكلمت قولا ثم قلت بمثله   لكل كلام يا بثين جواب

قال القمى فى كتاب غرائب القرآن (ص ٩٦ ج ٢٩) فى قوله تعالى : « لا أقسم بيوم القيامة » ان لا صلة زائدة كما فى قوله : « لا أقسم بمواقع النجوم » قال واعترض عليه بأنه يوجب الطعن فى القرآن بحيث انه لا يبقى الوثوق بنفيه واثباته وأجاب عنه بأنه اذا عرف من استعمالات العرب زيادة لا فى هذا الفعل المخصوص لم يبق للطاعن مجال على ان الحكم بزيادتها انما هو بالنظر الى أصل المعنى .

وقد زاد امرؤ القيس هذا الحرف فى قوله :

فلا وابيك ابنة العامرى   لا يدعى القوم انى افر

وفى قول امرىء القيس رد على من قال ان (لا) تزاد فى وسط الكلام لا أوله . ثم ان النيسابورى ذكر تعليل المعانى التى ذكرت فى الآية من حيث تقدير (لا) حال كونها زائدة ومثله فعل الطبرى رحمهم الله ، فليراجع من شاء للتثبت .

وفى التفسير الكبير للرازى (ج ٦ ص ٤٠٥) ان (لا) زائدة فى هذه الآية وفيها ثلاثة مذاهب ذكرها الفخر ونص كلامه « أولها انها صلة زائدة والمعنى اقسم بيوم القيامة ونظيره قوله « ما منعك ان لا تسجد » ، ثم ذكر الفخر مناقشته فى هذا المذهب وذكر المذهبين الآخرين ايضا .

والخلاصة ان اعتبار (لا) فى الآية زائدة مذهب اختاره ائمة العلم والدين وانكر ذلك من العلماء قوم يعللون المعنى على تقدير عدم زيادتها بوجوه فسروها فى كتب التاويل ومن شاء الاطلاع فليراجع .. نعم ان القول بانها زائدة ليس معناه (ونعوذ بالله) أن فى القرآن حشوا لا معنى له ، بل المراد أنها صلة الكلام وزوائد الصلات كثيرة لها مقتضى فى سنن كلام العرب الذين نزل القرآن على لغتهم ولها مواضع معروفة ضبطت وبينت ثم فصلت فى محالها .

هذا ولما كان اعتبار (لا) زائدة مذهبا اختاره كثير من العلماء وقد قالوا به كما قد صرحنا فلا معنى لتعليق المعلق على كلام الثعالبى على الاخص فانما هو احدهم فاذ يسرى النقد اليه فكذلك يجد الى غيره سبيلا وأراه جعل من بين يديه سدا فاين يذهب من وابل حجج من وافق الثعالبى واصحابه كثر اذا اقبلوا زرافات فالاليق قصر الكلام والالتزام بحسن الادب .

واذا أراد الانسان أن يقف على بطلان ما ادعاه المعترض على الثعالبى فليرجع الى كتاب مجاز القرآن لابى عبيدة معمر بن المثنى البصرى احد علماء القرن الثانى وهو كتاب ياخذ عنه الامام البخارى فى الجامع الصحيح فى مواضع التفسير ، فهو عمدة وفيه يقول ابو عبيدة ان (لا) زائدة صلة للكلام والمعنى أقسم .

ثم لينظر المستدرك للامام الحاكم فى كتاب التفسير فقد اخرج اثرا عن ابن عباس وصححه على شرط البخارى ومسلم وهو يدل على أنّ ابن عباس كان يرى (لا) زائدة والحديث أخرجه ابن جرير وابن المنذر عن سعيد بن جبير فى

قوله « لا أقسم ».. الخ ، قال يقول أقسم .. الخ ، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة فى الآية قال معناه يقسم .

وانظر الروايات فى الدرالمنثور للسيوطى (ج ٦ ص **٢٨٧**) وتفسير ابن جرير والمستدرك للحاكم فى مظانها .

وبهذا لاح الحق وظهر البرهان قائما ، الا انا نزيد توكيدا للقارىء ونحيله على كثير من الشواهد التى تقع فيها زوائد الصلات كزيادة (ما) فى قول الفند الزمانى

أيا طعنة ما شيخ كبير يفن بال
تقيم المأتم الاعلى على جهد واعوال
ولولا نبل عوض فى حظنباى وأوصالى
لطاعنت صدور الخيل طعنا ليس بالآلى

الى غير ذلك مما يطول به الكلام ويتسع به المجال ، وفيما أشرنا اليه كفاية .

* * *

قال ابو تراب :

وقرأت الرد المنشور فى عدد **٢٤٢٥** من جريدة البلاد على مقالى حول فقه اللغة للثعالبى وقد زعم صاحبه انى اتهمته بحطه من قيم اهل العلم وحاشا ان أقول فى حقه مالم يقله فهو الذى أغفلهم فى مقاله وهذا حط صحيح لا ينكره احد ووصفهم بالتضليل وللتثبت يجب مراجعة المقال ، وها انا ذا اكتب مَلاَحِظى على الرد الذى كتبه ، منها انه استبعد ان يكون الريق يشبه باللبن لأنه بوصفه ذلك كأنه شبهه بالسم وذلك لأن لبن المرضع ضار ومؤذ أقول ولاتسقط التشبيهات البليغة بالطّبّيات البعيدة فانه على تسليم انه ضار فليس بضار للرضيع فقد خلقه الله له وقديما وقع الوصف بذلك كأن المادح يقول ان ريقه بمنزلة لبن الأم لولدها أنشد الأنطاكى فى تزيين الاسواق :

لا تهجـــروا من لاتعـــود هجركم وهـو الـذى بلبـان وصلــكم غذى
ورفعتمـــو مقـــداره بالابتدا حاشـــاكم ان تقطعـوا صلــة الذى

وعلى تأويل الضرر بالبأس على الاعداء وجه آخر ولا معنى للقول بأن البيت فى وصف الشجاعة فان قوله « لحاظك اقدار » يرد عليه واحتج على ارتباط جملة (ربعك غيل) على المعنى الذى ذكره بقوله (وعزمك صمصام) قال وان ذلك هو المناسب وقد سبق لى ان قلت بتخطئة الجزم بذلك لعدة وجوه أحدها أن هذا الارتباط الذى عناه صاحب الرد موجود أيضا فى معنى اللبن لخلوص غذاء الممدوح فيه كناية فان ريقه اذا كان لبن امه تشبيها فهو الذى ينشىء ذلك العزم المصمصم ، وثانيها أن هذه الصفات كلها ذاتية للممدوح وهى التى يذكرها المادح والانتقال الى الربع صفة عرضية ليست لها قوة فى النسق ولادرى كيف اختار صاحب الرد معنى التشبيه بمأوى الأسد مع وجود المكروه فى مأواه ولم يختر معنى التشبيه باللبن على تحقق الكلمة ريقاً لنظرية طبية ولأن فى اللبن مضار على قوله وهو أيضا مكروه وغريب اختياره هذا على ذلك والحق هو القول بعدم اشتراط التطبيق بين الاوصاف فى التشبيه من كل الوجوه فهل يخفى هذا ؟ والوجه الثالث هو ضبط بعض العلماء على هامش النسخـة لفـظ الغيل وان المراد به اللبـن والاحتجاج بهذا كالاحتجاج بنسخة مكتبة الحرم فى ضبط لفظ الربع ولافرق وما طرقه الاحتمال سقط به الاستدلال ثم زعم ان محنبا بالحاء هى رواية الـديوان والكتب الأدبية فى قول طرفة (وكرى اذا نادى المضاف محنبا) وقال كون اللغة تساعد ان يكون بالجيم لايلزمنا الأخذ به ، وأنا لم استدل قط بصحة المعنى اللغوى فحسب ، بل هناك رواية صحيحة بالجيم ، وقد ذكرت ذلك فى مقالى الأول فليرجع اليه للتثبت وذكرت هناك ان كلمتى الروايتين صحيحتان قد ثبتتا فلا معنى للجزم بان الرواية فيه بالحاء هى الصحيحة وماعداها فخطأ كما فعل صاحب الرد فى مقاله الأول ولينظر من أراد رواية الجيم فى نسخة الشنقيطى ص ١٢ ورواية التبريزى الامام ص ٧٣ وقد ضبط بالجيم خمس مرات ورواية الزوزنى

وهى بالجيم ايضا ص ٤٢ وهذان الشارحان لم يذكرا غير هذه الرواية ضبطا وتعدد الروايات على ثبوت صحتها لايجوز الجزم بتخطئة بعضها كرواية (فألهيتها عن ذى تمائم معول) فى قول امرىء القيس وفى أخرى مغول ورواية (على حراصا لو يسرون مقتلى) وفى اخرى يشرون الى غير ذلك وماهكذا الأخذ بالروايات .

وكذلك قوله فى جمع الفعل فان مراد المصنف صيغته وهو معروف فى كتب النحو وقد قالوا انه يجمع احيانا عند تقدمه على الاسم كقولهم : أكلونى البراغيث وبهذا اللفظ وجد فى الأشباه وحاشية عبد الغفور وغير ذلك وماذكره فى الرد من جهة المصادر فليس هو موضوع المناقشة وكذلك المفردات التى ذكرها ليست قطعا من بناء مجموعها كما ذكره الثعالبى . فحسن ليس مفرد المحاسن قطعا لأن بناءها مفاعل وقد بايَن المفرد المذكور وكذلك الجندى ليس مفرد الجند لأنه منسوب لامفرد وانما هو مفرد باعتبار المعنى فقط وهذا لا اعتبار له عند الصرفيين وصحيح أن العوذ مفرده عائذ كما فى كتب اللغة ولكنه ليس من بنائه فانه اجوف من عاذ يعوذ كقال يقول واصله قول بفتح الواو يقول بضمها ولم يأت منه فاعل على فعل بضم الفاء وفتح العين قط ، ويوجد فعل من فعلة وغيرها من اللفيف والأجوف وهو كناقة تقديرها فعلة وجمعها نوق فانه لا يجمع على هذا الوزن الا فعلة على قانون الصرفيين يعرفه من له مسكة بهذا الفن وقد قطعنا العمر فى درس ذلك ولله الحمد فاذن عائذ مفرد العوذ لفظا لابناء ومحال ان يقول عاقل ان حورا وعينا وسوحا وشيبا مفردها من بنائها فاعل وهو بناء مذكر بلا مرية والمفرد البنائى غير المفرد الوضعى وهذا شأن حاسة وهو مضاعف ثلاثى والحواس ليس من بنائه البتة لأنه فواعل لاشك فيه والفواعل معروف الجمع مم هو وهذا البحث يطول وفيما ذكرناه كفاية وللمراجعة ينظر التعليلات الكبرى للكهوتوى باب المضاف والاجوف ص ١٤٨ وأما ذكر لفظ الجنب فى ترجمتين مختلفتين فهذا لأن الغرض مختلف فى الاستنباط والمفهوم متنوع فى كل من البابين يعرف ذلك من

مارس كتب الأقدمين حيث يكررون الأشياء فى أبواب مختلفة للاستنباط منها مسائل عديدة فيجب التأمل .

واخيرا أشير الى ثبوت تأنيث السحاب من قوله تعالى ثقالا أيضا فانه قد سلم صاحب الرد فيه أنه جمع فاذا هو كذلك وجب تسليم التأنيث سواء كان جمع مذكر أو مؤنث وهو ان كان من فعيل يستوى فيه كل ذلك غير ضار أبدا والحق هو كالمراض والصحاح وهما مؤنثان قال الشاعر فى وصف العيون :

(مراض صحاح ناعسات يواقظ) واحتجاج صاحب الرد بأن ثقالا جاء صفة للناس مردود لأنه معتبر فيه التأنيث أيضا لاعتبار الجماعة قال الشاعر :

ان قومى تجمعوا وبقتلى تحدثوا
لا أبالى بجمعهم كل جمع مؤنث

قال ابو تراب :

وانظر السحاب فى الغدق فى الاساس ، وفى اللسان : المطر الكبار وفى قصة رافع الطائى سدر كبار وفى كتاب الأنافة برد كبار وفى مجاز القرآن ج ١ ص ٢٩٤ السلَم الطوال فاظفر بهذه الفوائد المنتقاه ترشد

* * *

حول التذكير والتأنيث

قال ابو تراب :

قرأت فى العدد السابع عشر بعد المئة من جريدة حراء الصادرة يوم الاربعاء العشرين من محرم سنة ١٣٧٨ هـ كلاما بقلم محمود عصمت ولقد ساءنى منه فلسفة فى اللغة حيث اخطأ فيها وافحش الخطأ فلقد عد من الاسماء التى جزم بتذكيرها العنق واللسان وهذا غلط فاحش فان العنق واللسان كليهما مشتركان فى التذكير والتأنيث فهما يذكران ويؤنثان على السواء وليسا بمذكرين فقط كما زعم ذلك محمود عصمت حسب ذكره اياهما فى التى جزم بكونها مذكرات وقد وقع بذلك فى غلط كبير لان التصريح بكون الرجل مخيرا فى تذكيرهما وتأنيثهما اورده غير واحد من العلماء كما سابين مفصلا مبرهنا .

وذكر ان القدم مشتركة بين التذكير والتأنيث وهذا ايضا وهم كبير من الكاتب المذكور فالقدم مؤنث ابدا ولم يخير فيها بين التذكير والتأنيث قطعا وقد جزم العلماء بكونها مؤنث وقد أغرب محمود عصمت اذ اتى بخلاف ذلك .

وقد ذكر محمود عصمت قاعدة واهية لا ادرى من أين اتى بها حيث قال ان كل ما فى البدن من اثنين فهو مؤنث وكل ما فيه من مفرد فهو مذكر وهذا كأنه كلام صاحب المنجد الذى يغلط كثيرا ولى عليه تعقبات فعلى هذه القاعدة المردودة المنتقضة بنى منطقه واورد اشكالا فقال لماذا كانت الكبد مؤنثا ولماذا كانت القدم مشتركة بين التذكير والتأنيث فعلى هذا الاشكال الذى استشكله اضاع القاعدة بقوله زعموا .. الخ واقول له لم يثبت التخيير بين التذكير والتأنيث فى القدم ولا صحت البتة هذه القاعدة التى ذكرتها حتى يرد السؤال

عن الكبد لم تأنث وهى ليست من ذوات الاثنتين في البدن وساورد الآن كلاما لى لا ينبغى للمتصدى للبحث فى فلسفة اللغة جهله فاظفر به ايها القارىء تحظ بعلم عظيم ان شاء الله .

واعرف ان العلماء اجمعوا على ان المؤنثات من الاسماء قسمان احدهما حقيقى والآخر سماعى اما المؤنثات الحقيقية فهى التى توجد فيها احدى علامات التأنيث الثلاث وهن الالف الممدودة كحمراء والالف المقصورة كحبلى والتاء التى تكون فى حالة الوقف هاء كشجرة وهذا مجمع عليه وصرح به الصرفيون القدامى فى كتبهم ومنهم من الف فى المؤنث كالفراء وغيره واما المؤنثات السماعية فهى التى لا توجد فيها اية علامة من علامات التأنيث المذكورات وانما يكون تأنيثها على حسب السماع الثابت الصحيح من العرب وهو توقيفى لا قياسى وهذا النوع ايضا قسمان قسم مؤنث ابدا لم يسمع تذكيره ولا صرح احد من العلماء بذلك وقسم يذكر ويؤنث فالكاتب والمتكلم مخيران فيه ان شاءا ذكرا وان شاءا انثا .

وهذا علم وعيناه من كتب الذين الفوا فى المؤنث من كتب التصريف بدرسها لدى الاشياخ فى مجالسهم وكلام ابن الحاجب صريح فى ذلك لا غبار عليه اصلا

وكان من العسير ضبط هذه المؤنثات السماعية اذ لا قاعدة لها بل كانت متوقفة على السماع الصحيح وقد الف فى ذلك اناس من المتقدمين كالرمانى وابن الحاجب ومن المتأخرين كابن كمال باشا ولم تك رسائل اولئك مستوعبة لجميع ما ذكرنا وصفه كما ظهر لى ذلك بعد التنقيب والبحث الطويل فى المعاجم والاصول وامهات اللغة الا انى اذكرها هنا ما يحضرنى ولو كان بين يدى الآن كتاب ابن الأنبارى فى هذا الباب لا حكمت بيانه ولكننى اكتفى بموجز ذلك وبالله التوفيق .

ولا شك ان البحث فى مثل هذا يهم الكاتب وفيما اقدمه نفع لمن اطلع فلا يقع فى الخطأ اذا حفظه ان شاء الله فاعلم ان المؤنثات التى يخير بين تذكيرها وتأنيثها

من الاسماء هى سبع عشرة ، من المشهور والتى لا يجوز فيها التذكير البتة هى ستون من المشهور واليك بيانها لتحفظ اما المخير فيها فهى السلم والقدر والمسك والحال والبيت والطريق والثرى والعنق واللسان (وهاذان هما اللذان اوهاتان هما اللتان غلط فيهما محمود عصمت) والسماء والسهيل والضحى والصلاح والقفا والرحم والسكين والسرطان واما المجزوم بتأنيثها فهى العين والاذن والنفس والدار والدلو والسن والكف وجهنم والسعير والعقرب والارض والاست والعضد والجحيم والنار والعصا والريح واللظى واليد والغول والفردوس والفلك والعروض للشعر والذراع والثعلب والشمال والفأس والورك والقوس والمنجنيق والارنب والخمر والبئر والخد والذهب والتبر والضرب للعسل والعين للماء والينبوع والدرع والقدم (وهذه التى غلط فيها محمود عصمت) والكبد والكرش وافعى والشمس والعقب والفرس والكأس والسقر والحرب والثدى والعنكبوت وموسى لان الحرف الاخير منها ليس علامة بل هو اصلى ووزنه مفعل وليس فعلى خلافا للفراء واليمين والاصبع واليسار والرجل والسراويل والضبع والكتف والساق

وللاستدراك على ما ذكرت مما يجوز فيه التذكير والتأنيث مقام سوف نفرد له مقالا آخر ومن ذلك ما يحضرنى الآن البلد والبنصر والبعير والدبر والنسيم والسموم والبغل والحضاجر والثعبان والحمار والذنوب والشعير والصاع والطفل والعسل والطاؤوس والفخذ والصراط والفهد والصدر وقدام وامام والابهام والعقاب ووراء والنعل والنجم والليث والكعب والكير وقبل والقلب والازار والابط والاربعاء والحديد والقول والعجز الى غير ذلك وبهذا كله يكثر العدد بلا شك ولسنا نريد الآن تقصى ذلك وانما نريد الرد على محمود عصمت فيما اخطأ فيه فنقول اما قوله ان القدم مشتركة فى التذكير والتأنيث فخطأ بل هى مؤنثة على الابد وتأنيثها سماعى كما ذكرنا والذى يدل على ذلك هو رد المجد على الجوهرى حيث قال القدم واحد الاقدام فقال المجد هذا سهو والصواب واحدة الاقدام وهى بمعنى الرجل مؤنثة واما قوله اللسان والعنق من المذكرات فان كان لا يرى تأنيثها فهذا

غلط لان المجد قال فى العنق ويؤنث وقال فى اللسان ايضاً انه يؤنث فظهر بذلك بطلان قول محمود عصمت حيث لم يذكر كون هذين اللفظين مشتركين بين التذكير والتأنيث .

واما قاعدته بان المؤنث ما كان اثنتان من نوعها فى البدن فلا نعلم احدا من العلماء جاء بذلك وانما ذكره صاحب المنجد وهو كثير الاخطاء وقد تعقبناه واذا شاء الله فانا سننشر اوهام صاحب المنجد واغلاطه الفاحشة فى المباحث اللغوية على ان هذه القاعدة التى ذكرها ليست مستقيمة من وجهين احدهما انه ليس قانونا لمعرفة المؤنث السماعى على العموم فمن المؤنثات ما لفظها يطلق على اثنين فى البدن كما يظهر لك فى الاسماء التى ذكرناها وثانيهما انه لا يستقيم ايضا فى البدن فالكبد مؤنث سماعى وليس منها اثنتان فى الجسم واليسار واليمين والكرش والشمال والعنق واللسان والقفا والرحم والاست والنفس والسن كل هذه مؤنثات سماعية وليست من ذوات الاثنتين من انواعها ومنها ما هى اكثر من اثنتين كالسن فهذا وجه انتقاض القاعدة فهى اذن مردودة لا تقبل دعواها ولا نعلم من اين سيقت تغاليطها الفاحشة الى جبهة اللغة الناصعة البياض وان قيل ان اليسار واليمين مؤنثان لكونها يشبهان التثنية قلنا فهلا كان الانف مؤنثا وان له منخرين فهذه القاعدة باطلة والدليل على كون اللسان مؤنثا تارة قول اعشى باهلة حيث قال :

انى اتتنى لسان لا اسر بها ... من علو لا عجب منها ولا سخر

وقال الشاعر الآخر

اتتنى لسان بنى عامر ... احاديثها بعد قول نكر

والسبب فى ذلك كما يذكر انها جاءت بمعنى اللغة وبمعنى الرسالة فحينئذ لا بد من تانيثها قال تعالى « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه » ودليلى على كون القدم مؤنثاً قول ابن السكيت القدم انثى فلذلك رد المجد على الجوهرى

حين قال : واحد الاقدام ولم يقل واحدة الاقدام وقد اجيب عنه بعلل واهية لا تقوم حجة على اثبات تذكيرها وانما يعتذر بها عن الجوهرى فقط .

والدليل على كون العنق مؤنثا تارة قول ابن برى ان قولهم عنق هنعاء وعنق سطعاء يشهد بتأنيث العنق والتذكير اغلب قاله الفراء وغيره فهذا يثبت اشتراك هذا اللفظ بين الامرين وقال صاحب اللسان : قال ابن سيدة : اللسان المقول يذكر ويؤنث وقال ان اردت باللسان اللغة انثت حتما وقال اللحيانى : اللسان فى الكلام يذكر ويؤنث ويقال ان لسان الناس عليك لحسنة وحسن ومما يدل على ذلك قول كثير

نمت لابى بكر لسان تتابعت بعارفة منه فخصت وعمت

وقال قساس الكندى

الا ابلغ لديك اباهنى الا تنهى لسانك عن رداها

واذا اردت بها اللغة فهى مؤنث لا غير صرح به غير واحد من الأئمة ، وقد يكنى بها عن الكلمة فتؤنث ايضا وبهذا ثبت أن لفظ صاحب اللسان « قال ابن سيدة اللسان المقول » يرد على محمود عصمت واما القدم فمؤنث لا غير كما قال ابن السكيت والدليل عليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع كل مأثرة كانت فى الجاهلية فهى تحت قدمى هاتين ولم يقل هاذين وبهذا بطل كلام محمود عصمت هدانا الله واياه الى الصواب وللبحث بعده صلة ان شاء الله تعالى العزيز .

* * *

حول التأنيث والتذكير السماعيين أيضاً

قال ابو تراب :

كتبنا من قبل ما صح جوابا عما أورده علينا الفاضل عبد الرحيم عبد الله صديق من الأشكال الموهم وعما التبس عليه فيما ذكرناه من المؤنثات السماعية المجزوم بتأنيثهن والمخير بين التذكير والتأنيث فيهن .

وقد أثبتنا أن ما أغفله بعض اللغويين وأثبتناه نحن فانما كان ذلك عن توقيف وعلم لا عن رجم بالغيب وظن فانه لا سبيل الى معرفة ما نحن بصدده إلا عن طريق الوقوف ، ولم نذكر شيئا إلا بعد العثور على تحقيقه ، والتثبت منه ، هذا فيما أغفل فى موضع وأثبت فى آخر .

وأما ما كان فى معرض النزاع والخلاف فقد أوضحنا أيضا أن مرجع ذلك اختلاف الأئمة فى التعيين والثبوت فالذى قال منهم بتأنيث شيء هو المحقق عنده ، والذى ذكر خلافه فكان بما عنده ولم نشذ نحن قطعا عن القول المأثور عن ائمة اللغة فكل ما كان فى كلامنا فهو علم وقفنا عليه فى كتب القوم ولم نتعرض لذكر الخلاف مخافة التطويل والسآمة من القراء فلذلك أضربنا عن هذا النوع من الكلام .

وقد ذكرنا أيضا أن ما ذهبنا إليه هو مذهب ابن الحاجب من علماء النحو والتصريف وقد نقلنا قصيدته فى المؤنثات السماعية التى جزم بتأنيثها والتى خير فيها وكل ذلك كان دليلا على أن كلامنا لم يكن عاريا عن الاستناد الى قول من يوثق به فنبهنا فى المقال على هذا الالتباس الذى وقع فيه من أردنا الرد عليه .

وبعد ان ظهر للعيان صحة قولنا علم يقيناً ان ما أغفل فى بعض كتب اللغة فقد أثبت فى بعضها الآخر وقد اخذنا بالذى كان جاء بالعلم الزائد فارتفع بذلك

الاشكال وزال اللبس وفهم بانا لم نقل الا مانص عليه ، كما علم ان ماكان فيه من الخلاف فقد اخذنا بالقول الواحد فيه واسقطنا ايراد النزاع لنثبت بذلك ان ما ذكرناه ولم يعثر عليه صاحبنا هو ايضا منقول موجود فى الكتب اللغوية وبقى علينا الآن ان نتكلم عن اعتراضات صاحبنا ونجيب عليها واحدا واحدا ونفصلها تفصيلا ، ببيان شاف وتحقيق كاف ان شاء الله فهانحن اولاء نقول وبالله التوفيق .

الاعتراض الأول فى البنصر :

قال الفاضل عبدالرحيم عبدالله صديق إنّى جعلتها من قبيل مايجوز فيه التذكير والتأنيث مع ان صاحب القاموس قال فيها انها مؤنث .

قال ابو تراب عفا الله عنه : والجواب ، ان الجواز فى التذكير وتأنيثها ذكره المظهر مصنف شرح المفصل ونقل عنه ابن كمال باشا فى كتاب تحقيق المؤنثات السماعية وذلك باعتبارها عضوا وللتثبت فليراجع من شاء الكتاب المذكور ص ١١٩ ضمن مجموعة النحو المطبوعة بالمطبعة المجتبائية بالهند سنة ١٣٤٧ هـ فى دهلى ، واما تأنيث البنصر فهو على ما ذكر الفاضل حكاه الفيروز آبادى فى القاموس وذلك باعتبار البنصر اصبعا والأصبع مؤنث سماعى وتأنيث البنصر مروى عن اللحيانى ولا يضر فى الكلام من اثبت جواز تذكيرها اما تأويلا بالعضو او وقف على ذلك فى الاستعمال وعلى كل حال فالتخيير الذى ذكرته هو موجود فى الكتاب المذكور ولم يكن قولى رميا به كما ظن المعترض .

اما تأنيث البنصر فلا خلاف فيه فقد ذكره ابن منظور فى اللسان ج ٥ ص ١٤٧ ونقله عنه فى تاج العروس ج ٣ ص ٦٠ على ان تأنيث البنصر والخنصر واخواتها لم يتأت الا من اجل تأويل الأصبع ولنا ان نحتج بما نقله ابن سيدة فى المخصص ج ٢ ص ٧ .

قال الفارسى فى كتاب الحجة الخنصر رباعى .

قال ابو تراب : ولم يقل رباعيه فتأمل ذلك ثم انى اقول للمعترض هب ان صاحب القاموس جزم بتأنيث البنصر فاى شيء فى هذا فانه على حسب ما ادى اليه أجتهاده او لم يقف على تذكيرها وقد وقف عليه غيره .

وذلك كذكر صاحب القاموس لفظ البنصر فى النون بعد الباء فى باب الراء حتى اعترض على الجوهرى فى ذكره اياها فى الصاد بعد الباء وذكرانه وهم ، وهذا تحقيق من صاحب القاموس تبعه فيه شارحه ولكن لم يذكر الشارح ان هذا مخالف لقول من سبق صاحب القاموس او هو منقوض ولم يورد جوابا عن الجوهرى .

قال أبو تراب : وقد رأيت فى كتاب الجمهرة لابن دريد فى ج ١ ص ٥٩ قال ان البنصر النون فيها زائدة ونقل ذلك عن الامام ابى زيد فهلا اعترض المعترض على صاحب القاموس فى الاختيار الذى اختاره وأى دليل لَديه على ما نحا نحوه مع وجود قول ابى زيد وثبوت سماع فعلل كزبرج وثبوت النون من الحروف التى تزيد ، ولكن تحقيقا أدى صاحب القاموس الى اختيار ما اختاره ، هو الذى أدى غيره إلى نقض ما ادعاه وجعل نون البنصر زائدة ، وأوهام الفيروز آبادى كثيرة تتبعها العلماء وكذلك أغلاطه فى التحقيقات فأى حرج بعد هذا إذا قلنا ان الجزم بتأنيث البنصر وعدم إجازة تذكيرها هو قول هكذا فهمه الفيروز آبادى من استعمال القوم وقد أثبتنا ان غيره ذكر الجواز فى ذلك كما قد نقلنا كلام الفارسى مما نقله ابن سيدة من استعمال الخنصر مذكرا وهكذا يكون الخلاف . والتعصب برأى ليس من شأن أهل العلم إذا أيد التحقيق شيئا غيره فحينئذ يتصلب عليه لأن هذه المسائل مبنية على تحقيق كل احد بما عنده من العلم فليس لأحد المكابرة فيها ولا الدعوى بلا حجة فهذا هو الفيروز آبادى يقول بتأنيث البنصر ويغفل جواز التذكير فيها وهو الذى يجعل نون البنصر أصلية خلافا لغيره وهى عنده رباعية وغيره من كبار الأئمة جعلها زائدة ، فهذه كتلك فأى ضرر على من تبع قول واحد من الأعلام ، وترك ايراد الخلاف

كما ذكرت فان ذكرى البنصر كان على ما رأيت فى النقول ، واعتمدت عليه وقد أثبتنا ذلك بحمد الله فلا يضيرنى ان جزم صاحب القاموس بتأنيث البنصر وغيرها فان ذلك حسب تحقيقه وقد ذكر غيره تذكيرها كما نقلنا عن الفارسى فى كتاب الحجة فأى انسان يستطيع ان يقول أن هذا أو ذاك وهم وقد ثبت فى الاستعمال كلاهما ..

هذا والعالم لا يعارض بمثل كلام الفيروز آبادى لأنه محقق وغيره محقق قد خالفه فى الكثير ولعمرى هل جزم الفيروز آبادى بتأنيث البنصر إلا كتخييره بين التأنيث والتذكير فى أسماء قد جزم فيها غيره بالتأنيث وهل جزمه فى ذلك إلا كاهماله بعض المؤنثات السماعية من كتابه القاموس حيث لم يذكرهن فيه كغيرهن وقد ثبت لدى ذلك عند تتبعاتى دهرا وعكوفى على كتب العلم زمانا وسيجدنى الناظر على استعداد لاثبات ذلك إذا أراد .

وبالجملة فجزم صاحب القاموس بتأنيث البنصر إزاء ثبوت التخيير فيها عند غيره من العلماء ليس بشىء ، والفارسى إمام فى اللغة قد نطق باخت البنصر مذكرا كما نقله ابن سيدة فى المخصص وكذلك محقق المفصل عالم قد حكى التخيير فى البنصر وهذا كله قد وقفنا عليه بحمد الله وهو الذى كنا نقلناه فى مقالنا الأول عندما ذكرنا التخيير فى البنصر بين التذكير والتأنيث علي أنّا نقول ان ما ذكره صاحب القاموس هو الذى ثبت فى تحقيقه وأن ما ذكر غيره هو الذى كان صوابا عنده وقد لاح وجه الحق بين القولين بأن كل ذلك مستعمل فلا معنى للجزم بالتأنيث كما ذكر صاحب القاموس ولا وجه أيضا للاعتراض وثقات العلماء مأخوذ عنهم ما ينقلون الينا من علمهم واستقرائهم إلا فيما يتعلق بالأقيسة والنظريات فمن مأخوذ عنه ومن متروك له ولسنا نتمسك بأحد فيما لا سبيل اليه للوقوف على العلم ولكن بالنظر فقط فهذا لكونه غير مأثور موضع تدقيق ومن أتى بعلم زائد أخذ عنه بلا مرية ، وأما ما قد حققه بنظره وخالف فيه غيره فليس امره كذلك ، وذلك كابن الحاجب جزم بتأنيث ألفاظ لزوما وهى عند غيره مخير

فيها بين التذكير والتأنيث وخولف من كبار الأئمة فاذا ثبت قول غيره أخذ ونبذ رأيه بالعراء ولم ننكر قطعا تأنيث البنصر كما نص عليه كلام غير واحد من أهل العلم ولكن لم نتصلب كذلك على هذا الحد فحسب بل تعدينا إلى التخيير فيه كما أتى به غيره حيث لا سبيل إلى ذلك إلا بالعلم دون النظر فانه إن لم يثبت تذكير البنصر عند صاحب القاموس ، فلقد ثبت لدى غيره فيجب الأخذ بالمثبت حيث هو على علم بما أغفله غيره وإذا تحقق بطلان قول من أثبت آل الأمر إلى التأنيث الثابت المسموع حتى يقوم دليل على التذكير ولقد قام بحمد الله وتعين ومن أجل ذلك كنا رددنا على الفاضل محمود عصمت لأنه جزم بتأنيث ما كان مخيرا فيه من الألفاظ وخير فيما كان مجزوما بتأنيثه منها ولم يثبت عند أحد من علماء اللغة تذكيره وكان هذا هو عين الغلط وأما نحن فلئن جزمنا بتأنيث ما هو مخير فيه عند البعض فانما كان ذلك حكاية ما ذهب إليه ابن الحاجب فقط ، كما قد أوضحنا سابقا ولم نقل بأن يوقف عنده ويترك ما سواه ولو ثبت لأن هذا خطأ بيقين .

* * *

المؤنثات السماعية

قال ابو تراب :

قرأت في جريدة حراء كلاما للفاضل عبد الله صديق ، يرد على ما كنت كتبته فى التأنيث السماعى ردا على الفاضل محمود عصمة .. والحقيقة ان الأمر التبس على صاحبنا حينما عرض ماذكرته من المؤنثات السماعية على بعض معاجم اللغة حيث لم يذكر بعض اللغويين الجزم الذى الزمت به ستين كلمة من المؤنثات او التخيير الذى الزمت به سبع عشرة منهن .. وها أنا ذا أجيب المذكور حسب طلبه ابداء رأيى فى المسألة فأقول وبالله تعالى التوفيق :

ان الأمر هو كما ذكرت سابقا ولست متوهما قطعا فى بيان ما اسلفت بيانه .. ولئن كان بعض اللغويين اغفل ماحققته ووقفت عليه ، فان ذلك لايلزم منه اهمال ماأثبته غيره .. فالذى يعلم حجة على من لايعلم ، وكذلك الذى يأتى بزيادة علم وفائدة على تثبت وتحقيق مأخوذ منه ذلك بعد الوثوق .. ولم أشذ عما قاله العلماء ، فان كلامى المذكور قد جزم به ابن الحاجب رحمه الله ، وهو من علماء التصريف والنحو ذو يد طولى فيهما ، بالاضافة الى علوم اخرى اخذها عن جلة المشائخ ، وله مصنفات عنى بدرسها العلماء ..

ومن تلك المصنفات كتابه « الكافية فى النحو والشافية فى الصرف » ، والرجل لايجهل بمقامه ابدا ، فهذا هو الامام الذى اعتمدت عليه فى النقل عنه فيما التبس على صاحبنا بسبب كلام بعض الناس ، وقد اشرت الى ذلك فى مقالى السابق ، ولكنى لما كنت كتبته اعتمادا على حفظى ولم تكن المراجع حاضرة لدى فلذلك لم استطع ان انقل كلام ابن الحاجب بنصه هناك ، ونصه صريح بما

ذكرته .. وأما الآن فكتاب ابن الحاجب فى المؤنث موجود بين يدى فيحسن بى ان انقل للقراء كلامه فيما يلى ليتأكدوا مما ذكرته ويعلموا ان الأمر كما قدمت ، وحينئذ يرتفع الالتباس الذى وقع فيه صاحبنا ..

وكتاب ابن الحاجب هذا هو رسالة منظومة طبعت بالمطبعة المجتبائية بالهند ببلدة دهلى فى سنة ١٣٤٧هـ فى آخر تأليفه المسمى بالكافية ، فليرجع اليه من شاء للتثبت والتحقق على ان ماذكرته ايضا عن المؤنثات السماعية ذكرها ابن كمال باشا فى كتابه المسمى بتحقيق المؤنثات السماعية ، وقد تبع فيه ابن الحاجب فيما يذكر ويؤنث على التخيير مما كنت شرحته ، كما انه ذكر المجزوم بتأنيثه ايضا ، فلينظر كتابه ص ١١٩ من شاء الاطلاع ..

وحكى ذلك ايضا الشيخ المظهر مصنف شرح المفصل وفصله كما كنت ذكرته ونقل عن هذا الرجل ابن كمال باشا المذكور فى كتابه .

اما الامام ابن الحاجب فيقول فى الرسالة المذكورة ص ١٢٠ :

نفسى الفداء لسائل وافانى — بمسائل فاحت كغصن البان
اسماء تأنيث بغير علامة — هى يافتى فى عرفهم ضربان
قد كان منها مايؤنث ثم ما — هو فيه تخيير لخلف معان

وهذا هو الذى كنت ذكرته من الجزم والتخيير فى الأسماء المؤنثة بالسماع كما يدل عليه كلام ابن الحاجب فيما سأورده ، وقد قال فيما كنت ذكرته من المخير فيه وقد احصاه على حسب ماكنت احفظه وتتبعته عند تأليفى كتابا لى فى المؤنث ما نصه :

اما الذى قد كنت فيه مخيرا — هو سبع عشرة جئن فى التبيان
السلم ثم القدر ثم المسك فى — لغة ومنها الحال كل أوان
والبيت منها والطريق وكالثرى — ويقال فى عنق كذا ولسان
وكذا السماء والسبيل مع الضحى — ثم الصلاح مقابل الطغيان
والحكم هذا فى القفا أبدا وفى — رحم وفى السكين والسرطان

هذا هو الذى كنت قيدته فى المقال السابق ولم تخطىء ذاكرتى والحمدلله ، ومعلوم ان بعض هذا المخير فيه الذى ذكره ابن الحاجب اذا عرضه الانسان على معاجم اللغة فقد يغفل بعضها ماقد حققه ابن الحاجب ، وذلك كدأب صاحبنا حينما راجع بعض كتب اللغة تثبتا مما ذكرته واغفال بعض الكتب ، هذا البيان لايدل على بطلان كلام ابن الحاجب ، كيف ومثله يؤخذ عنه فى مثل هذا العلم عند التحقيق .. فمثلا الصلاح والبيت وغيرهما قد أغفل بعض الكتب اللغوية بيان تذكيره وتأنيثه او ذكر التأنيث فقط فى بعض ذلك ولم يذكر غيره ، فهذا لايلزم منه طرح كلام من أتى بعلم زائد مما قد وقف عليه وابن الحاجب لم يجزم بما ذكره الا بعد وقوفه على الاستعمال العربى على التخيير وبعد تثبته وتحقيقه الذى دعاه الى نظم قصيدة له منها ماذكرناه .

وأما المؤنثات التى قد جزمت بتأنيثها فقد أشرت الى ان ابن الحاجب ذكرها ، وهذا هو كلامه أنقله لازالة شك المرتاب .. قال ابن الحاجب رحمه الله جازما بتأنيث ماذكر آتيا بما أغفله غيره لئلا يلتفت اليه :

أما التى لابد من تأنيثها	ستون منها العين والأذنان
والنفس ثم الدار ثم الدلو من	اعادها والسن والكفان
وجهنم ثم السعير وعقرب	والأرض ثم الاست والعضدان
ثم الجحيم ونارها ثم العصا	والريح منها واللظى ويدان
والغول والفردوس والفلك التى	فى البحر تجرى وهى فى القرآن
عروض شعر والذراع وثعلب	والملح ثم الفأس والوركان
والقوس ثم المنجنيق وأرنب	والخمر ثم البئر والخدان
وكذاك فى ذهب وتبر حكمها	أبدا وفى ضرب لكل مكان
العين والينبوع والدرع التى	هى من حديد قط والقدمان
وكذاك فى كبد وكرش ثم فى	أفعى ومنها الشمس والعقبان
وكذاك فى فرس وكأس ثم فى	سقر ومنها الحرب والثديان

والعنكبوت تؤنث الموسى معا | ثم اليمين واصبع الانسان
والرجل منها والسراويل التى | فى الرجل كانت زينة العريان
وكذا الشمال من الاناث ومثلها | ضبع ومنها الكتف والساقان

قال أبو تراب : وقد ذكرنا من قبل ان لنا استدراكا على ابن الحاجب وغيره فيما قد جاء تذكيره وتأنيثه معا وعثرت عليه فى استعمال العرب مما نقل الينا فى اللغة ، وقد فصلت ذلك أتم تفصيل ان شاء الله فى كتابى فى المؤنث ، وليس هذا غرضنا هنا وانما غرضنا هو رفع الالتباس الذى حصل للبعض فى كلامنا وهذا كما تراه قد أزلناه بايراد كلام ابن الحاجب الذى نص على ما كنت اوضحته ، وكلام ابن الحاجب فى نظمه هذا مبنى على التحقيق فان كان أغفل فى بعض الكتب شرح ما ذكرناه فان فى ماذكره ابن الحاجب زيادة علم تؤخذ عنه وأما الخلاف فى بعض ذلك فقد اشرنا اليه سابقا على انه مبنى على تحقيق كل انسان بحسب علمه ونظره او سماعه ان كان من اهله وليس الاغفال من هذا القبيل ، وبذلك تندفع الشبهة التى أوردها صاحبنا المذكور ، واما ماذكرت تأنيثه ولم يذكره ابن الحاجب واغفله بعض اهل اللغة فان ابن كمال وغيره ذكر ذلك ، فليراجع للتثبت والتحقيق ، ويعلم الله انى لم أثبت شيئا الا بعد عثورى عليه فى كتب القوم اثناء تتبعاتى ، فلا أبالى بمن أغفله .

هذا وأما ماجزم بتأنيثه ابن الحاجب فلم يجوز فيه التذكير اصلا كما هو نص كلامه ، فذلك ايضا مبنى على التحقيق الذى ثبت لديه ، لأن فى الكلمات التى ذكرها بجزم تأنيثها ما أجاز فيه غيره التذكير والتأنيث ولكن لم ينف التأنيث اصلا ، ومثال ذلك الضرب بالتحريك بمعنى العسل الأبيض الغليظ ، قد ذكره ابن الحاجب مما لابد من تأنيثه على حسب ماثبت لديه من ان تأنيثه لازم كما ذكر .. وقال الجوهرى انه يذكر ايضا ، وهذا ظاهره ينافى مافى نظم ابن الحاجب لأن غرضه هناك بيان الأسماء اللازمة التأنيث سماعا ويدل كلام الامام الجوهرى على ان الضرب ليس منها وعلى اساس من وهم الجوهرى فى هذا قال بعض

الشراح فى تعليقه على كتاب المؤنث لابن الحاجب انه لم يثبت عند الناظم الا تأنيث الضرب لازما .. فهذا أيها القارىء مثال واحد ذكرته لك على ما هو منصوص الخلاف وبين التحقيق وعليه يقاس باقى ذلك .

واما الذى اغفله بعض اللغويين من جزم تأنيثه او بيان التخيير بين التذكير والتأنيث فذلك يؤخذ فيه بقول من اتى بعلم زائد لا بالـذى لم يذكره او لم يحفظه ، وفى هذا ان شاء الله مايشفى صدر صاحبنا صاحب الرد ، ويجيب على سؤاله ويزيل اللبس جملةً ..

ولا انسى هنا ان اذكر ان كل ذلك مما ذكرته وذكره صاحبنا المذكور ليس فيه مايجعل كلام محمود عصمة صحيحا ، فهو على كل حال واقع فى الخطأ الذى الزمناه سابقا ولا حاجة الى اعادة كلامنا المذكور ، لأن هذه المناقشة لا تمت اليه بصله .

كما انى ادعو صاحبنا الى مطالعة كتاب الامتاع فيا ثبت تأنيثه بالسماع ، فقد ذكر فيه ايضا المؤنثات التى ذكرت التخيير فى تأنيثها وتذكيرها كما ذكر ما كان لفظه مجزوما بالتأنيث على السواء وكذلك كتاب الفراء وابن الأجدابى ..

وكذلك مراجعة كتاب تحقيق المؤنثات السماعية لابن كمال باشا ففيه مايؤيد ماذهبنا اليه وفيا ذكرنا كفاية ان شاء الله .

هذا وأما ماحمله صاحبنا من كلامنا على سبيل العجب بالذات حيث ذكرت للقارىء ان يحفظ ما سقت اليه ليحظى بعلم كبير فهذا كان دعاء الى العلم وليس فيه اى مُدح للنفس ولا ثمة نكارة فى القول ، فعلام يلومنى صاحبى ويرمينى بأن نقدى كان جارحا فوالله لم اعن ماحمل عليه كلامى وانما سلكت طريق التنبيه على الخطأ ثم استطراد ذكر المؤنثات لأنى كثيرا ارى ذوى الأقـلام يخطئـون فأحببت ايقاظهم كما طلب الى ذلك اناس منهم ، وهذه سنة حسنة (وعند الله فى ذاك الجزاء) ..

* * *

تعقيبات واستدراكات

قال أبو تراب

أخالنى اسمع جعجعة ولا أرى طحنا (بكسر الطاء) فلقد طال حديث القوم عن حجج ألزمتها إياهم وهم يحاولون ردها حتى لكأنى بهم شمسا إذ هم يكتبون ولكن ..

(ستعلـم ليلى أى ديـن تداينت   وأى غريم فى التقـاضى غريمها)

وقد علق معلق أخيرا بعنوان ليس هذا بنقد على كلامى حول فقه اللغة للثعالبى ، لم أرد به إلا أداء الواجب العلمى وكان قد وقع ذلك عفوا لا لقصد متقصد ولست فى حاجة الى مظاهر ومسابقات كما زعموا فان مطمح النفس أقصى من ذلك كله والى الله عاقبة الأمور.

ثم انى اريد بكتابتى هذه جوابا على إلزامات ذكرها المعلق الأخير وبالله التوفيق .

ذكر انى تركت اسم الاشارة فى قولى (ها أنا اذكر) ولم أقل ها أنا ذا وجعل ذلك خطأ منى وقال انه لم يسمع ولم ير استعمال كلتا وكلا مضافتين الى مظهر تعربان بالياء نصبا وجرا ولعمرى لو قال انه لم يجد كل ذلك فى مقررات مدرسته لكان اسلم فانه ان لم ير ولم يسمع ذلك أفيكون حجة لنفى الشىء أصلا مع أن غيره سمع ورأى وقرأ ودرس وفهم ووعى فان استعمالى ذلك إن وقع قصدا منى فهو جائز مسوغ وان لم يكن إلا سبق قلم فمن الحماقة أخذ الشخصيات على ما جاء عفو الخاطر لا قصدا ولو كان الأخذ من هذا النوع جائزا لأخذنا المعلق على أكثر من أربعين غلطة جاءت فى كلامه على أنى لا أذكر

هل فعلت هذا قصدا أم لا وكثيرا ما أتقصد هذا للغمز تنبيها له على مذاهب النحويين واللغويين واختلافاتهم .

وهذا دأب أجلة العلماء فهذا الشافعى الأمام المطلبى الحجة قد استعمل الواو بمعنى الفاء واسند الفعل الى المثنى أو الجمع مع وجود ضميره مظهرا وقلب فاء الافتعال حرف لين بدلا من قلبها تاء وحذف ان المصدرية قبل المضارع الى غير ذلك .

وهذا ابن المقفع يعرف (بعضا) (وكلا) نقله المعرى فى عبث الوليد أخذ به عليه ونقل فى تاج العروس قال ابو حاتم قلت للأصمعى رأيت فى كتاب ابن المقفع العلم الكثير فذكر ادخاله الألف واللام على غير فأنكره وقد استعملها الناس حتى سيبويه فى الكتاب والأخفش وفى باب الناسك والضيف من كتاب ابن المقفع استعمال لفظ تشوش وهو مما ينكر أصله اللغويون والبحث فيه طويل الذيل .

على أنى ما أبرىء نفسى من الوقوع فى الخطأ وليس أحد عصم فقد وقع أجلة القوم فى الأخطاء إلا أن ما أخذوا على الثعالبى غير صحيح وليس هو بمعصوم أيضا فهذا الملا على القارى الحنفى : أضاف الف الوصل لقيد وجعل لما جارا ومجرورا ولقى فعلا ماضيا فقال فى شرحه ما نصه : وقيدا أى ويكون أجل قيدا لما لقى الخبر المثبت بفتح الموحدة والطلب أى ولما لقى الطلب وهذا وهم فاحش ذكره ابن الأمير والكلام (وقيدّ المالقى) وهو رجل علم .

وهذا حامد الفقى أحد علماء الأزهر شرح حديث وفد بزاخة لما جاؤا الى رسول ﷺ فى تعليقه ولم يعرف ان بزاخة قبيلة فظن الباء للجر وذهب ينقب عن معنى الزخة حتى قال يعنى جاء وفد بشدة وهذا فاحش جدا .

وهذا احمد عبد الغفور عطار فيما قرأت له فى جريدة « البلاد » قديما يزعم عدم اشتهار ابن دريد بالكنية وكنيتة ابو بكر لما ذكره السيوطى فى البغية فى الأسماء وهذا خطأ فانه مشهور بابن دريد وابى بكر فان لم يذكره السيوطى

إلا فى الأسماء فهذا ابن حجر العسقلانى حافظ الدنيا فى عصره ذكره فى لسان الميزان ج ٦ ص ٣٥١ فى الكنى وقال ابن فارس فى المقاييس ج ٤ ص ٣٠٢ قال ابو بكر يريد ابن دريد وكذلك الخطيب فى التاريخ ذكره بالكنية فى رواية ابى الحسن أنظر ج ٢ ص ١٩٢ وانظر اشتهاره بالكنية فى معجم ياقوت ج ١٨ ص ١٣٤ .

وغلط ايضا العطار فى ص ٥٢ من مقدمة تهذيب الصحاح فى تاريخ وفاة ابن الصائغ ويحتمل ان يكون خطأ مطبعيا والله أعلم .

وبالجملة فها أنا أذكر أن كلتا وكلا تعربان إعراب المثنى بالياء جرا ونصبا وهذا مذهب الكوفيين غفل عنه المعلق ، وحكى الرضى الاسترابادى الامام النحوى فى ص ٢٨ من كتابه قال كنانة يعربون كلا وكلتا مضافين الى المظهر ايضا إعراب المثنى ، والموافقة بين المثنى وبينهما لفظا ومعنى لا تقيدهم بالتفرقة بينهما فى حين أضافتهما الى المضمر أو الى المظهر كما فى المشهور من مذهب البصريين ومنشأ الخلاف صحة تعين تثنيتهما ومعرفة الألف فى آخرهما هل هى للكنية أم غير ذلك فسيبويه ينكر ذلك فلا يجوز عنده نصبهما بالياء ولكن الفراء والكسائى يخالفانه فعلى حد مذهب الكوفيين يجوز عندهم نصبهما بالياء حال اضافتهما الى المظهر ودليل التثنية عند الكوفيين قول الشاعر :

فى كلت رجليها سلامى زائدة كلتاهما مقرونة بواحدة

وقول الآخر :

(كلت كفيه توالى دائما بجيوش من عقاب ونعم

ورد هذا المذهب الكوفى باجازة الاضمار اليهما مفردا ولكن قد يقال انه باعتبار المعنى والخلاف فى ذلك معروف لسنا بذكره وانظر المذهب البصرى فى التفرقة بين إعرابهما حال كونهما مضافتين الى مظهر ومضافتين الى مضمر ج ٣ ص ٦٤ من شرح المفصل وهو الذى ذكره الجامى ص ٣٢ وهذا خلافا للكوفيين بانهم يعربونهما اعراب المثنى فى كل ذلك .

ومن العرب من يقر الألف بحالها ولا يقلبها فى كل ذلك سواء كانتا مضافتين الى مضمر أو مظهر حكاه الرضى وابن يعيش وهذا خلاف ظاهر ولا مضايقة ، وحكى السيرافى ايضا نصب كلا وكلتا وجرهما بالياء فى حالة الاضافة الى المظهر فى شرح الكتاب وقال وهو مسموع من كلام العرب والسيرافى من أئمة النحو وقوله حجة ، وعلى هذه اللغة جاء كلام اللغوى الكبير الامام الجاحظ فى كتاب المسامرة ص ١٧ قال ان كلتى الرسالتين اللتين الخ ، وحكى فى الغنية مذهب الفراء فى إعراب كلا وكلتا إعراب المثنى حال الاضافة الى المظهر انظر ص ١٠٥ طبعة تبريز وذكر هذا المذهب ايضا واجازته ابن هشام فى كتابه المفرد فى كلا وكلتا ونقله السيوطى ، وله شواهد فى حواشى الفوائد الضيائية للجامى فى باب الملحق بالمثنى .

وأما (ها أنا ذا) فقال الرضى فى الشرح ج ٢ ص ٣٥٤ وجوز بعضهم ان تكون هاء المقدمة فى نحو ها أنت ذا تفعل غير منوى دخولها على ذا استدلالا بنحو قوله تعالى (ها أنتم هؤلاء) ، ولو كانت هى التى مع ذا لم يعدها بعد أنتم وقال الرضى ولو كان فى صدر الجملة من الأصل لجاز من غير اسم الاشارة فى ها أنت زيد .

وحكى الزمخشرى من قول العرب ها أن زيدا منطلق وها أفعل كذا ونقله عنه الرضى ولم يعثر عليه بشاهد والزمخشرى وطاء اللغة وعارف بمجارى كلام العرب بلا مراء وقوله دل على مسموع كما ذكره فى المفصل .

وبالجملة ففى اختصاص هذه الهاء باسم الاشارة خلاف معروف وكثيرا وجدت من استعمال العلماء ذلك التنبيه بدون اسم الاشارة فى الكتب ، وكما انه جاء بالاشارة فى قوله تعالى (ها أنتم أولاء تحبونهم) قال الله تعالى بدون ذكر الاشارة فى قوله سبحانه (ها أنتم هؤلاء) وقد أعيدت الهاء هنا بعد الأولى ولم تذكر للأولى اشارة ولا شك ان تلك الاشارة يلزم الاتيان بها عند الوقف على المبتدأ والخبر كقول النبى ﷺ للاعرابى أين السائل قال ها أنا ذا يا رسول الله

ولا يشترط اختصاصها بالاشارة فى الجمل المصدرة للكلام وحقيقتها كما قال الرضى وليس المراد بقولك ها أنا ذا أفعل ان تعرف المخاطب نفسك وان تعلمه انك لست غيرك لأن هذا محال بل المعنى فيه وفى ها أنت ذا تقول وها هو ذا يفعل استغراب وقوع مضمون الفعل المذكور بعد اسم الاشارة من المتكلم أو المخاطب أو الغائب كأن معنى ها أنت ذا تقول وها أنت يضربك زيد انت هذا الذى نرى لا من كنا نتوقع منه أن لا يقع منه أو عليه مثل هذا الغريب ثم بينت بقولك تقول وقولك يضربك زيد الذى استغربته ولم تتوقعه .

وذكر ابن هشام فى المغنى ص ١٨٠ دخولها على ضمير الرفع المخبر عنه باسم الاشارة وذكر فيه الرد على من زعم انها لا تدخل إلا على الاشارة بقوله تعالى (ها أنتم هؤلاء) لاعادة التنبيه قبل الاشارة هناك وفى المفصل للزمخشرى ها أفعل كذا وقد تقدم (انظر ابن يعيش ج ٨ ص ٨٣) ونقل الجامى قولهم ها زيد قائم (انظر ص ٣٥٩) وسمع من العرب ها أنت يضربك زيد ذكره السيوطى . ولقد عثرت على كثير من هذا الاستعمال فى كلام الأئمة فى هذا الباب كقول بعضهم ها أنا أقول وهذا آخر القول وفى الذى نتبع بعد هذا سوف نتكلم على ما بقى من كلام المعلق والمنتظر قريب .

* * *

بَيِّضْ له

قال ابو تراب :

ان الماجد شاعر الجيل الاستاذ الكبير أحمد بن ابراهيم الغزاوى شخصية غنية عن التعريف لما لها من شامخ المكانة ورفيع المقام بين طبقات هذا الناس .

ولا غرو فان المذكور خليق بأن يكون مرفع الجناب ، حظيا ، وأن يكون شاعرا لوذعيا ـ كيف لا وقد أسلمت اليه قيادة القول وسخرت له ناصية البيان فكان بطلا فراء للقوافى والقريض .

وأن الرجل لربما يقف عند بعض شعره فيتمنى أن يكون معه فيريه فعل الفرزدق حين سمع قول لبيد

وجلا السيوف عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها

فسجد لله تعالى فقيل له . لماذا يا أبا فراس فقال : كما أنتم تعرفون سجدة القرآن فكذلك نحن نعرف هذا للشعر .

رحم الله لبيدا ولا صوح الله بهيج شاعرنا الغزاوى وزادنا الله من ثماره المهصرة التى طالما سقى غراس شجرها . عثرت لشاعرنا هذا على وهم علق بذهنى منذ قرأته فى باب له عنوانه (مطالعات وتعليقات) وبقى هذا كرتيمة الخنصر عندى وما كنت احب أن أبديه حتى ساقته الى مناسبة هذه التعليقات .

وأنا برىء ـ والله يعلم ـ من أن أحمل للاستاذ غلا أو حسيكة وان ذكرى لما ساقيد مع معرفتى بمكانته واجلاله لاسمى . فانه لشانئه الضراعة والكلول . ذلك الوهم هو استشهاد الاستاذ على قولة العامة (أبيض عليك) بنقل يفيد عند الاستاذ معنى تقريبيا للفظ . والنقل هو ما اورده ابن العماد فى الشذرات فى ترجمة

بعض الافاضل قال (وقد بيض له صاحبنا ابن فهد) يريد أن ابن فهد ترك ترجمة المذكور بياضا لم يسوده بعد لعدم حضور المادة ساعة الكتابة هذا هو المعروف فى اصطلاح أهل العلم من المصنفين . ولعله اشتبه على الاستاذ الغزاوى فظن فى قوله (بيض) معنى غير مقصود بالذات مما يقرب من معنى قول العامة وبين الأمرين بون شاسع .

هذا ولما قرأ الاستاذ الغزاوى ماكتبت كتب ونشر فى الجريدة مايلى :

لله درك !!!

بقلم : الشيخ احمد ابراهيم الغزاوى

لله درك عالما من نفثه السحر انبهر
عذب الحديث كأنه فى عقده (سلك الدرر) ؟!

تفضل الأديب الكبير والعالم النحرير أخى فى الله الأستاذ « أبو تراب الظاهرى » فكتب (من تعليقاته) نبذة اخجلنى كثيرا ما خلعه على فيها من نعت هو به جدير ، وكذلك وجدت المثل الصالح والاسوة الحسنة فى أدب التوجيه ووسائله اللطيفة البالغة ..

إنه على الرغم من أن الوهم انما جاء من جهتى ، فقد أبى خلقه الكريم إلا أن يضيفه الى نفسه !! واستطاع بلباقة نادرة أن يصحح ما أخطأت فيه .. أو وهمت على الأقل . دون إحراج أو تشهير . بل على العكس من ذلك تناول الموضوع بأسلوبه الحكيم .. فاذا بى ألمح من ثناياه كيف يجب أن يكون النقد والوصول اليه فى حكمة ومرونة واغتباط .. فحيا الله عالمنا العامل ، وأديبنا الفاضل .. وأكثر الله من أمثاله الاجلاء .

هذا ـ وإنه لعلى حق فيما صححه من الوهم . فان مصدره فى الواقع ما فى نص الخبر من غموض واحتمال لما ذهبت اليه .. وما يزال الناس يذكرون

ما تعارفوا عليه الى عهد قريب من قولهم (بيض الله وجهك) من غير سوء !! ومأخذ ذلك دون شك قوله تعالى « يوم تبيض وجوه » وما تواضعوه من قولهم لمن يستحسنون عمله أو حذقه وفطنته من الصغار أو الكبار « أبيض عليك ...» .. أما ما نقلناه عن الشذرات من عبارة : « وقد بيض له صاحبنا ابن فهد » .. فهو كما تفضل الاستاذ الجليل انما قصد به أن ابن فهد ترك ترجمة المذكور (بياضا) لم يسوده لعدم حضور المادة ساعة الكتابة .. ومن الحق أن أعترف بأن هذا الاصطلاح لم أقف عليه الا اخيرا ممن سمع ملاحظة فضيلته .. وانى لاشكر له هذا التعليق المفيد .. ويسرنى أن أحظى بشرف الاستفادة من علمه الواسع وأدبه الغزير .. وأضيف الى ذلك اعجابى بما يتحف به قراء البلاد السعودية من بحوث شائقة ، ومقالات فائقة رائعة ..

ولا أكتمه ما رسخ له بقلبى من حب وتقدير كبيرين .. فاننا ـ وكل شاد فى الادب . لأحوج اليه فى تقويم كل اعوجاج . وما أحسبه ضنينا على اللغة الفصحى بما أوتيه من كياسة وسلاسة .. وله منى كل تجلة ومودة واحترام.[1]

* * *

(١) جريدة البلاد السعودية ٣٠/١١/٧٦هـ

جذع .. وجذعمة

قال ابو تراب :

كتب الأستاذ الكبير الشيخ احمد بن ابراهيم الغزاوى فى تعليقاتـه التـى نشرتها جريدة الندوة فيما قرأت له عن هذه الكلمة وقول العامـة فلان جدع بابدال الذال دالا جريا على عادتهم فى كثير مما هذا قبيله .

وفهمت من كلام الأستاذ عدم توافق التوجيه لديه بين مراد العامة من هذه الكلمة وبين مايشير اليه معناها لأن معنى الجذع كما هو المشهور مايدل على حلول بعض الاسنان فى النعم فهو فى الابل يحين بمدة وفى الشاء يحين بأخرى وفى البقر والخيل كذلك بتحايين متباينة . وقد ذكر الأستاذ مختصر ذلك معتمدا على مانقله صاحب المنجد واما تفصيل تلك الأسنان فلم يتعرض له الأستاذ ومبحثه موجود فى الموسوعات الكبرى من معاجم العربية .

ولقد كان عرانى انكار على استبعاد الأستاذ فى توفيق معنى الجذع مايعنى به من الفتوة والشبيبة وحداثة السن فى الرجولة لأن استعمال الجذع بهذا الوجـه موجود فى كلام العرب ومما تذكرت اثناء قراءتى كلام الأستاذ حديث بدء الوحى وفيه استعمال هذه المحاورة الصحيحة فعنت لى كتابة فى تحقيق هذه الكلمـة للمذاكرة على سبيل طلب العلم والاستفادة .

أما بعد فلا أنكر ما ذكره الأستاذ من معنى الجذع المشهور ولا انكر مع ذلك تفاصيل الأسنان التى ذكرها علماء اللغة فى الجذع من كل نوع من المواشى مما هو مبين فى كتب القوم ولكنى انكر ان يكون الجذع لم يستعمل فى حق الانسان بمعنى قوته فى الشباب وفتوته فى الرجولة وحداثته فى السن فهو بلاشك استعمل بهذا

المعنى فى تعابيرهم وسنن كلامهم فكما ان الجذع لذوات الأسنان المختلفة كائن من الدواب فى كل نوع على حسب ما حددوا من اسنانها فكذلك هو للانسان الحديث السن الكائن فى شرخ الشباب بل هو اوسع من ذلك نطاقا فقد استعمل للدهر لجدته واستعمل لغير ذلك بالمعنى نفسه اذن فلا غبار على استعمال العامة هذه الكلمة فى محاوراتهم اطلاقا على الانسان اذا عنوا الفتوة الكائنة فيه وشدة امره وتكامله فى القدرة وذلك مجاز صحيح ثابت فى استعمال العرب .

والجيم والذال والعين تدل فى الاشتقاق على ثلثة اصول من المعانى وهى جنس النعم فى حلول اسنانها المحددة لكل نوع منها والاستعارة للفتوة كما ذكرنا ، وبمعنى الأصل والأساس وبمعنى الدلك ثم اذا تأمل الانسان هذه المعانى وجد لها اصلا جامعا بينها وهو الحدوث والجدة ، فالدلك يجدد فى فركه ومرسه والفتوة تجدد من القوة مالم يكن مجددا وهكذا الأمر فى بلوغ الدواب اسنانها المذكورة فى كتب اللغة ، فالجذع هو الحداثة والقوة وجدة الأمر وجدادته ومن ذلك ايضا يظهر عدم امتناع استعمال هذا اللفظ فى حق الانسان بالمعنى المراد .

وأما الحجة القائمة فى ذلك على اثبات هذا الاستعمال فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم فى قصة بدء الوحى وفيه ذكر خديجة حين انطلقت برسول الله ﷺ الى ورقة بن نوفل ليسمع منه قصته فأقر ورقة ان الناموس الذى اتاه هو جبريل كان يأتى موسى فقال يا ليتنى فيها جذع فانصرك نصرا مؤزرا اذ يخرجك قومك فقال النبى عليه السلام او مخرجى هم . فهذه هى الحجة الأولى التى ابرهن بها على استعمال هذه الكلمة فى حق الانسان بالمعنى الذى ذكرناه وهناك استعمالات اخرى ورد ذكرها فى النقول التى اسوقها وبها ينجلى كل غشاء عن هذا الاشكال الذى وقع فيه الأستاذ قال الزمخشرى فى الفائق ج ١ ص ٩٣ .

فى حديث المبعث ان ورقة بن نوفل قال ياليتنى فيها جذع اراد ليتنى فى نبوته شاب اقوى على نصرته او ليتنى ادركتها فى عصر الشبيبة وذكر حديث

على : اسلم والله ابوبكر وانا جذعمة فكيف اكون احق بمقامه قال الجذعمة هى الجذعة والميم زائدة للتوكيد كالتى فى زرقم .

وقال ابن ابى جمرة فى البهجة ج ١ ص ٢١ .

وقد تمنى ان يكون جذعا فى زمان النبوة فينصره والجذع عند العرب الشاب .

وقال الكرمانى فى شرحه ج ١ ص ٣٩ .

قوله جذع بالذال المعجمة المفتوحة يعنى شابا فتيا حتى ابالغ فى نصرتك والجذع فى الأصل للدواب ثم استعير للانسان .

وقال السيوطى فى الدرالنثير ج ١ ص ١٧٧ .

الجذع فى الدواب الشاب الفتى وقوله ياليتنى فيها جذع اى ليتنى كنت حين النبوة شابا .

وقال القاضى عياض فى المشارق ج ١ ص ١٧٩ .

قوله ياليتنى فيها جذع اى اكون فى مدة النبى ﷺ وظهور ايامه شابا قويا كالجذع من الدواب حتى ابالغ فى نصرته وقيل معناه ياليتنى اعيش الى ايامك فأكون اول من ينصرك كالجذع الذى هو اول الاسنان والمعنى الأول ابين .

وقال العينى فى عمدة القارىء ج ١ ص ٥٣ .

جذع بالذال المعجمة المفتوحة يعنى شابا قويا حتى ابالغ فى نصرتك ويكون لى كفاية تامة فى ذلك والجذع فى الأصل للدواب فاستعير للانسان قال الأزهرى والدهر يسمى جذعا لأنه شاب لايهرم .

وقال ابن الأثير فى النهاية ج ١ ص ١٧٧ .

فى حديث المبعث ياليتنى فيها جذع اى شاب يقول ياليتنى كنت شابا عند ظهورها حتى ابالغ فى نصرتها وحمايتها واصل الجذع من اسنان الدواب وهو ماكان منها شابا فتيا .

وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح ج ١ ص ٢٥ .

كأنه تمنى ان يكون عند ظهور الدعاء الى الاسلام شابا ليكون امكن لنصره .

وقال النووى فى شرح مسلم ج ١ ص ٢٣١ .

قوله : جذع يعنى شابا قويا حتى ابالغ فى نصرتك والأصل فى الجذع للدواب وهو هنا استعارة .

وقال الجوهرى فى الصحاح ج ١ ص ٥٨٠ .

الأزلم الجذع : الدهر ومن المجاز ام الجذع الداهية وهو من ذلك المجاز الدهر جذع ابدا اى جديد كانه شاب لايهرم .

وقال ابن فارس فى المقاييس ج ١ ص ٤٣٧ .

الجيم والذال والعين ثلاثة اصول احدها يدل على حدوث السن وطراوته وذكر اسنان الانعام فى حداثتها ومتى يسمى كل نوع منها جذعا ثم قال ويسمى الدهر الأزلم الجذع لأنه جديد وانشد قول الأخطل الذى سيأتى ثم قال ويقال هو فى هذا الأمر جذع اذا كان اخذ فيه حديثا ثم ذكر الأصلين الآخرين .

وقال الزمخشرى فى الأساس ج ١ ص ٥٤ .

من المجاز فلان فى هذا الأمر جذع اذا اخذ فيه حديثا واهلككم الأزلم الجذع اى الدهر وطفئت حرب بين قوم فقال احدهم ان شئتم اعدناها جذعة .

ويقال فر له الأمر جذعا اذا عاوده من الرأس وانشد بيتا سيأتى .

وقال الزبيدى فى تاج العروس ج ٥ ص ٢٩٨ .

الجذع الشاب الحديث ومنه قول ورقة بن نوفل ياليتنى فيها جذع أى ليتنى أكون شابا حين تظهر نبوته حتى ابالغ فى النصرة وقال دريد بن الصمة :

ياليتنى فيها جذع أخب فيها واضع
اقود وطفاء الزمع كأنها شاة صدع

ومن المجاز الأزلم الجذع اهلكهم اى الدهر قال لقيط الايادى :

ياقوم بيضتكم لاتفضحن بها انى اخاف عليها الأزلم الجذعا

واما قول الشاعر وهو الأخطل يمدح بشر بن مروان

يابشر لو لم اكن منكم بمنزلة   القى يديه على الأزلم الجذع

فيقال : الدهر وقولهم فلان فى هذا الأمر جذع اذا كان اخذ حديثا والجذعمة الصغير وذكر حديث على ثم قال واصله جذعة والميم زائدة وذكر كلاما نقلناه فى النصوص وذكر اشباه الميم الزائدة ولم نحتج الى ذكرها وماتكرر من كلامه .

واما كلام صاحب القاموس ففى ج ٣ ص ١٢ وهو المذكور فى تاج العروس ممزوجا بالشرح فلا داعى الى تكراره .

وقال ابن منظور فى لسان العرب ج ٩ ص ٣٩٤ .

انشد ابن الاعرابى :

اذا رأيت بازلاً صار جذع   فاحذر وان لم تلق حتفا ان تقع

فسره فقال معناه اذا رأيت الكبير يسفه سفه الصغير فاحذر ان يقع البلاء وينزل الحتف . وقال غير ابن الاعرابى معناه اذا رأيت الكبير قد تحاتت اسنانه فذهبت فانه قد فنى وقرب اجله فاحذر وان لم تلق حتفا ان تصير مثله واعمل لنفسك قبل الموت مادمت شابا وقولهم فلان فى هذا الأمر جذع اذا كان اخذ فيه حديثا . واعدت الأمر جذعا اى جديدا كما بدأ وفرّ الأمر جذعا اى بدىء وَفَرّ الأمرَ جذعا اى ابدأه . واذا طفئت الحرب بين قوم فقال بعضهم ان شئتم اعدناها جذعة اى اول مايبتدأ فيها . وتجاذع الرجل ارى انه جذع على المثل . قال الأسود :

فان اك مدلولا على فاننى   اخو الحرب لاقحم ولا متجاذع

والدهر يسمى جذعا لأنه جديد والأزلم الجذع لجدته قال الأخطل :

يابشر لو لم اكن منكم بمنزلة   القى على يديه الأزلم الجذع

اى لولاكم لأهلكنى الدهر .

وقال ثعلب الأزلم الجذع كل يوم وليلة هكذا حكاه قال ابن سيدة ولا ادرى وجهه وقيل هو الأسد وهذا القول خطأ . قال ابن برى قول من قال ان الأزلم

الجذع الأسد ليس بشيء . ويقال لا آتيك الأزلم الجذع اى لا آتيك ابدا لأن الدهر ابدا جديد كأنه فتى لم يسن . وقول ورقة بن نوفل فى حديث المبعث (ياليتنى فيها جذع) يعنى فى نبوة سيدنا رسول الله ﷺ اى ليتنى اكون شابا حين تظهر نبوته حتى ابالغ فى نصرته .

ثم قال والجذعمة الصغيرة وفى حديث على : أسلم والله ابوبكر رضى الله عنهما وانا جذعمة واصله جذعة والميم زائدة وانا جذع اى حديث السن غير مدرك فزاد فى آخره ميا كما زادوها فى ستهم وزرقم وابنم .

* * *

مجالس الواثق مع المازنى فى العربية

قال أبو تراب : جاء فى معجم الأدباء لياقوت الحموى (ج ٧ ص ١١٢) أن الخليفة الواثق بالله قال للإمام المازنى : أن ههنا قوماً يختلفون إلى أولادنا فامتحنهم فمن كان عالماً ينتفع به ألزمناهم إياه ، ومن كان بغير هذه الصفة قطعناهم عنه قال المازنى : فامتحنتهم فما وجدت فيهم طائلا ، وحذروا ناحيتى فقلت : لا بأس على أحد منكم ، فلما رجعت إليه قال : كيف رأيتهم فقلت : يفضل بعضهم بعضاً فى علوم ، ويفضل الباقون فى غيرها ، وكل يحتاج إليه . فقال الواثق : أنى خاطبت منهم رجلا فكان فى نهاية الجهل فى خطابه ونظره ، فقلت : يا أمير المؤمنين أكثر من تقدم فهم بهذه الصفة ، وقد أنشدت فيهم :

ان المعلمّ لا يزال مضعفاً ولو ابتنى فوق السماء سماء

(يريد ضعف الإدراك ووهن التصور والتفكير)

من علم الصبيان اضنوا عقله مما يلاقى بكرة وعشاء

فقال لى : لله درك ، كيف لى بك ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين إن الغنم لفى قربك ، والنظر إليك ، والأمن والفوز لديك ، ولكنى ألفت الوحدة ، وانست بالانفراد ولى أهل يوحشنى البعد عنهم ، ويضربهم ذلك ، ومطالبة العادة أشد من مطالبة الطباع ، فقال لى : فلا تقطعنا وإن لم نطلبك ، فقلت : السمع والطاعة .

وفى طبقات النحويين للزبيدى (ص ٩٢) : إن المازنى كان بحضرة الواثق يوماً قال : فقلت لابن قادم أو ابن سعدان « وقد كابرنى » كيف تقول : نفقتك ديناراً أصلح من درهم ؟ فقال : دينار بالرفع قلت : فكيف تقول : ضربك زيداً

خير لك ، فتنصب زيداً فطالبته بالفرق بينهما فانقطع . وكان الإمام ابن السكيت حاضراً فقال الواثق : سله عن مسألة فقلت له : ما وزن (نكتل) من الفعل ؟ فقال : (نفعل) فقال الواثق : غلطت ، ثم قال لى : فسره ؟ فقلت (نكتل) تقديره (نفتعل) واصله (نكتيل) فانقلبت الياء ألفاً لفتحة ماقبلها فصار لفظها (نكتال) فاسكنت اللام للجزم ، لأنه جواب الأمر فحذفت الألف لالتقاء الساكنين . فقال الواثق : هذا الجواب ، لا جوابك يا يعقوب فلما خرجنا قال لى يعقوب بن السكيت : ما حملك على هذا ، وبينى وبينك المودة الخالصة ؟ فقلت : والله ما قصدت تخطئتك ، ولم أظن أنه يعزب عنك ذلك .

قال ابو تراب : كان هذا السؤال فى قوله تعالى (فأرسل معنا اخانا نكتل) فوقع فعل (نكتل) جواباً لفعل الأمر (فأرسل) فانجزمت اللام لأجل ذلك وهو من الاكتيال على وزن (الافتعال) واصله (الكيل) ويسميه الصرفيون أجوف يائياً لكون حرف العلة مقابل عين الكلمة فى الوزن وتحليل حذفه هو انقلابه إلى الألف لانفتاح ما قبله ثم التقاء الساكنين ومثاله (لم نبتع) أصله من البيع فلما ركب على باب (الإفتعال) صار (نبتيع) فقلبت الياء ألفاً ثم لما سكنت بالحرف الجازم حذفت الألف الساكنة لاجتماع الساكنين .

والمازنى كان إماماً لا يناظره أحد إلا قطعه لقدرته على الكلام ، وكان المبّرد يقول : لم يكن بعد سيبويه أعلم من أبى عثمان المازنى بالنحو وقد ناظر الإمام الأخفش فى أشياء كثيرة فقطعه مع أنه أخذ عنه وقد برع وكان يقدمه وهو حى ، قال المبرد سألت المازنى عن قول الأعشى :

هذا النهار بدا لها من همها ما بالها بالليل زال زوالها

كيف نصب النهار ؟ فقال : نصبه على تقدير . هذا الصدود بدالها النهار واليوم والليلة والعرب تقول : زال وأزال بمعنى واحد فتقول : زال زوالها .

وللمازنى كتاب جليل اسماه « ما يلحن فيه العامة » وذكر ابن النديم من مصنفاته علل النحو ، وتفاسير كتاب سيبويه والألف واللام والتصريف والعروض

والقوافي والديباج ومعاني القرآن . وذكر الخطيب في تاريخ بغداد انه مات سنة تسع وأربعين ومئتين وقيل سنة ثمان وأربعين وقيل سنة ثلاثين .

قال أبو تراب : وذكر أبو القاسم الحريري في درة الغواص وأبو هلال العسكري في ديوان المعاني (ج ١ ص ١٢) وغيرهما : ان الامام النضر بن شميل المازني البصري قال : كنت أدخل على المأمون في سمره فدخلت عليه ذات ليلة وعليّ قميص مرقوع فقال : يا نضر ما هذا القشف ـ القشف رثاثة الهيأة ـ قال فقلت يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحر مرو شديد فأتبرد بهذه الخلقان ـ ـ مرو أشهر مدن خراسان يقال لها مرو الشاهجان ، والخلقان جمع الخلق وهو الثوب البالي ـ قال : ولكنك قشف ، فأجرينا الحديث إلى أن أخذ المأمون في ذكر النساء فقال : حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز ـ بفتح السين ـ قال فقلت : صدق يا أمير المؤمنين هشيم ، حدثنا عوف بن ابي جميلة عن الحسن بن على بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز ـ بكسر السين ـ والعوز الحاجة ـ قال وكان المأمون متكئا فاستوى جالساً فقال : يا نضر كيف قلت : سداد ؟ قلت يا أمير المؤمنين السداد ههنا لحن ، قال ويحك أتلحنني ؟ قلت : إنما لحن هشيم ـ يعني راوي الخبر ـ وكان لحانة ، فتبع أمير المؤمنين لفظه قال : فما الفرق بينهما ؟ قلت السداد القصد في الدين والسبيل ، والسداد البلغة وكل ما سددت به شيئاً فهو سداد قال : وتعرف العرب هذا ؟ قلت نعم ، العرجي يقول :

أضاعوني وأي فتى اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

قال : قبح الله من لا أدب له . قال ابو تراب : العرجي شاعر مشهور منسوب الى العرج وهي منزلة بين مكة والمدينة ، ومات في حبس محمد بن هشام المخزومي أمير مكة عن ثمانين سنة لتشبيبه بأمّه ، ويوم الكريهة هو يوم الحرب

والثغر الموضع الذى يخاف منه هجوم العدو فهو كالثلمة فى الحائط يخاف هجوم السارق منها ، ويطلق على الموضع الذى يكون حدا فاصلا بين المتعادين جمعه ثغور ، وبعد البيت المذكور :

وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت اسنتها بنحرى

وشرعت الأسنة والرماح اى تسددت ، ويقال : هم شرعوها اى سددوها فهذا الفعل لازم ومتعد . وهشيم المذكور فى الخبر هو ابن بشير السلمى ابو معاوية الواسطى نزيل بغداد الحافظ ، كان عنده عشرون الف حديث قال يعقوب الدورقى مات سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وروى عن الزهرى وحديثه فى الكتب الستة وروى عنه خلق وفيه لين عن الزهرى وغيره ومنهم عمرو بن دينار وعنه روى شعبة والثورى واحمد وابن معين وعلى بن المثنى الموصلى وفيه لين عن مغيرة بن مقسم قال ابن سعد فى حقه ثقة حجة اذا قال اخبرنا وقال العجلى ثقة يدلس واما مجالد الذى روى عنه فهو من رواة مسلم والأربعة وهو ابن سعيد بن عمير الهمدانى الكوفى ابو عمرو احد الأعيان روى عنه الثورى وابن المبارك مات سنة اربع واربعين ومئة ، واما عوف ابن ابى جميلة شيخ المازنى فهو ابو سهل الهجرى البصرى العبدى المعروف بالأعرابى روى عنه خلق ووثقه النسائى وجماعة ومات سنه ست واربعين ومئة .

* * *

محاورة بين النضر بن شميل والمأمون في اللغة

قال ابو تراب : ثم جرت محاورة بين الامام النضر بن شميل المازنى البصرى وبين المأمون فى ابواب الشعر قال له المأمون بعدها : ما مالك يا نضر ؟ فقال : أريض لى بمروأتصابّها واتمززها ـ قلت : وفى ديوان المعانى : اتمذذها وهو غلط وأريض تصغير ارض ويقال ان التصغير يعيد اليها تاء التأنيث فهى اريضة لأن الأرض مؤنث سماعى ومعنى أتصابّها أى اعيش فى بقيتها وهو مشتق من الصبابة وهى بقية ما فى القدح ومعنى اتمززها اى اتمصص شرابها ـ فقال المأمون : الا نفيدك مع ذلك مالا ؟ قال المازنى : انى الى ذلك محتاج قال فاخذ القرطاس وكتب ولا أدرى ما كتب ثم قال : كيف تقول من التراب اذا امرت ان تترّب ؟ قال اتربه قال فهو ماذا ؟ قال مترب قال فمن الطين ؟ قال طنه قال فهو ماذا ؟ قال مطين ، قال : هذه أحسن من الأولى ثم قال المأمون يا غلام أتربه وطنه ثم صلى بنا العشاء ثم قال لخادمه : تبلغ معه الى الفضل بن سهل قال المازنى : فأتيته فلما قرأ الكتاب قال يا نضر ان أمير المؤمنين أمر لك بخمسين الف درهم فما كان السبب ؟ قال : فأخبرته ولم أكذبه فقال : لحنت أمير المؤمنين ؟ قال المازنى : فقلت كلا انما لحن هشيم وكان لحّانة فتبع أمير المؤمنين لفظه وقد تبع الفقهاء قال المازنى فامر لى الفضل بثلاثين الفا فأخذت ثمانين الفا بحرف استفاده منى .

قال ابو تراب : طنه على تحقيق انه من طان يطين كباع يبيع والأمر منه (بع) ونقل الزبيدى : طين الكتاب من باب التفعيل قال : وسمعت من يقول اطن الكتاب قلت : وهذا غريب وهو من الاطانة كالاقالة وانكر الجوهرى التطيين

وقال : الصواب طنت السطح وطيَّنت خطأ ، قلت : وهو القياس اللغوى لأن التفعيل من خواصه التعدى والتكرير والتتابع ، ولا يستبعد ذلك ههنا . ومعنى ذلك الختم بالطين أما السداد الذى سبق ذكره فهو بالكسر ما يسد الثلمة والحاجة ، وهو بالفتح بمعنى الاستقامة والصواب « كالسدد » ، وغلطوا فقالوا :

اعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى

والصواب : (فلما استد) من التسدد على الرمى ، وهو الاستقامة ، نبه عليه الزمخشرى فى أساس البلاغة ، فخذوا بالعلم واحذروا الغلط فقد قال رجل للحسن البصرى : يا أبو سعيد ، ولم يقل يا أبا سعيد كما هو مقتضى المنادى بحرف النداء فقال الحسن : كسب الدراهم شغلك أن تقول : يا أبا سعيد ، تعلموا العلم للأديان ، والنحو للسان والطب للأبدان قلت : وهذا معدول به عن الحكاية كما فى قول ابى حنيفة : « فارمه بأبا قبيس » وكان الحسن كما قال الأعرابى وقد سمع كلامه « والله انه لفصيح اذا لفظ نصيح اذا وعظ » ، وقيل له : يا أبا سعيد ما نراك تلحن قال سبقت اللحن ، ويقال ان ابا العتاهية أخذ التعبير عنه فى رده على من قال له : انك تخرج فى شعرك عن العروض فقال : انا سبقت العروض والسر فى فصاحة الحسن البصرى ما أورده الحافظ أبو نعيم فى الحلية (ج ٢ ص ١٤٧) من ارتضاعه من لبن أم سلمة زوج النبى ﷺ .

قال أبو تراب : وذكر السيوطى فى بغية الوعاة فى طبقات النحاة (ص ٢٠٢) : عن المبرّد أن يهوديا بذل للأمام المازنى مئه دينار ليقرئه كتاب سيبويه ، فامتنع من ذلك فقيل له : لم امتنعت مع حاجتك وعائلتك ؟ فقال : ان فى كتاب سيبويه كذا وكذا آية من القرآن فكرهت ان اقرىء القرآن لأهل الذمة ، قال : فلم يمض على ذلك الآمُديدةٌ حتى طلبه الواثق بالله واخلف الله عليه أضعاف ما تركه لله .

* * *

الواثق يشخص المازني لإعراب بيت

وذكر ابو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني ، وياقوت في معجم الأدباء (ج ٧ ص ١١١) : عن أبي عثمان المازني قال : كان سبب طلب الواثق لي أن مخارقا غنّاه في شعر الحارث بن خالد المخزومي :

أظلوم ان مصابكم رجلا أهدى السلام تحية ظلم

فلحّنه قوم ، وصوبه آخرون . وفي بغية الوعاة : أن جارية غنت بحضرة الواثق هكذا فردّ التوزي عليها نصب (رجل) في قوله : (ان مصابكم رجلا) وقال : الصواب (ان مصابكم رجل) ظانا انه خبر (انّ) فقالت : لا أقبل هذا ولا غيره ، وقد قرأته كذا على أعلم الناس بالبصرة أبي عثمان المازني ، فاحضر من (سر من رأى) قلت : هي مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة وقد خربت ، ويقال لها سامراء ، وفيها لغات .

وفي معجم الأدباء : أن الواثق هو الذي سأل حين تنازعوا في هذا اللحن عمن بقي من رؤساء النحويين ، قال المازني : فذكرت له فأمر بحملي وازاحة عللي ، فلما دخلت على الخليفة قال لي : ممن الرجل ؟ من بني مازن ، قال : من مازن تميم ؟ أم مازن قيس ؟ أم مازن ربيعة ؟ أم مازن اليمن ؟ وفي رواية أنه قال : أم من مازن شيبان ؟ فقال المازني : أنا من مازن شيبان أو قال : من مازن ربيعة ، قال فقال لي : باسمك ؟ يريد : ما اسمك ؟ وهي لغة كثيرة في قومنا ، يبدلون الميم باء ، وعكسه ، فقلت على القياس : اسمي (مكر) أي (بكر) وفي رواية : كرهت أن أقول : (مكر) مواجهة له بالمكر فقلت : بكر بن محمد ، فضحك واعجبه ذلك الجواب وفطن لما قصدت فانني لم أجرأ أن أواجهه بالمكر

فضحك وقال لى : اجلس « فاطبئن » أى فاطمئن ـ فجلست فسألنى عن البيت المذكور فقلت : صوابه : (ان مصابكم رجلا) قال : ولم ؟ واين خبر (ان) ؟ فقلت : (ان مصابكم) مصدر بمعنى اصابتكم فأخذ التوزى فى معارضتى ـ فقلت : (ظلم) هو الخبر فى آخر البيت وهو بمنزلة قولك : « ان ضربك زيدا ظلم » فالرجل مفعول (مصابكم) وظلم الخبر ، والدليل عليه ان الكلام معلق الى أن تقول : (ظلم) فيتم ، ألا ترى انه لو قال : (أظلوم ان مصابكم رجلا أهدى السلام تحية) فكأنه لم يفد شيئا حتى يقول : (ظلم) ولو قال : (أظلوم ان مصابكم رجل أهدى السلام تحية) لما احتاج الى (ظلم) ولا كان له معنى الا أن تجعل التحية بالسلام ظلما وذلك محال ويجب حينئذ (أظلوم ان مصابكم رجل أهدى السلام تحية ظلما) ولا معنى لذلك ولا هو مراد الشاعر لو كان له وجه فقال التوزى : حسبى وفهم واستحسنه الواثق فقال : صدقت وخرج المازنى من عنده بجائزة .

قال أبو تراب : وقال الواثق بالله للامام المازنى حين استحسن تعليله للبيت الذى عرض عليه اعرابه : من خلفت وراءك ؟ قال : أخية لى أصغر منى اقيمها مقام الولد وفى رواية ياقوت : بنية بدل أخية قال الواثق : فما قالت حين خرجت مودعا ؟ قال المازنى قلت : طافت حولى وهى تبكى ، وقالت : اقول لك يا أخى كما قالت بنت الأعشى لأبيها وفى رواية : انها انشدتنى قول الأعشى :

تقول ابنتى حين جد الرحيل ... أرانا سواء ومن قد يتم

ـ أى صار يتيما ـ

أبانا فلا رمت من عندنا ... فأنا بخير اذا لم ترم

ـ أى لازلت عنا ، ولا فارقتنا ، وهى جملة دعائية ـ

ترانا اذا أضمرتك البلاد ... نجفى وتقطع منا الرحم

قال الواثق للمازنى : فما قلت لها ؟ كأنى بك قلت لها قول الأعشى أيضا :

تقول ابنتى وقد قربت مرتحلا   يا رب جنّب أبى الأوصاب والوجعا
عليك مثل الذى صلّيت فاعتصمى   يوما فان لجنب المرء مضطجعا

قال المازنى : فقلت : صدق أمير المؤمنين ، قلت لها ذلك ، وزدتها قول جرير بن الخطفى :

ثقى بالله ليس له شريك   ومن عند الخليفة بالنجاح

فقال الواثق بالله : لا جرم انها تستنجح ، وأمر لى بثلاثين ألف درهم ، وفى رواية ياقوت : بألف دينار ، وفى أخرى : خمسمئة دينار ، وأجرى عليه كل شهر مئة دينار .

هذا ولا غرابة فى أن يشخص الخليفة أبا عثمان المازنى لحل بيت من الشعر ، فان ذلك كان دأبهم ، وكانوا يعنون بتحرير اللغة من الملاحن ، ويسألون العلماء عن أسرارها ، وشاهد ذلك ما أورده أبو أحمد العسكرى فى كتاب التصحيف عن الأصمعى أنه ذكر يوما بنى أمية أو قال : بنى مروان ، وشغفهم بالعلم فقال : كانوا ربما اختلفوا وهم بالشام فى بيت من الشعر أو خبر ، أو يوم من أيام العرب فيبردون فيه بريدا الى العراق – يعنى للسؤال – وعن أبى عبيدة قال : ما كنا نفقد فى كل يوم راكبا من ناحية بنى أمية ينيخ على باب قتادة يسأله عن خبر أو نسب أو شعر ، وكان قتادة أجمع الناس . قلت : هو قتادة بن دعامة السدوسى الأكمه قال الخزرجى فى الخلاصة (ص ٣١٥) : كان من أحفظ الناس . وقال عامر بن عبد الملك المسمعى : لقد كان الرجلان من بنى مروان يختلفان فى بيت شعر فيرسلان راكبا الى قتادة يسأله ، ولقد قدم عليه رجل من عند بعض أولاد الخلفاء من بنى مروان فقال لقتادة : من قتل عمروا وعامرا التغلبيين يوم قضة – قلت : هو يوم من أيام العرب بين بكر وتغلب – فقال قتادة : قتلهما جحدر بن

ضبيعة ، ثم عاد اليه فسأله فقال : أجل قتلهما جحدر قال : ولكن كيف قتلهما جميعا ؟ فقال : اعتوراه ـ يعنى تعاونا عليه بالضرب ـ فطعن هذا بالسنان وهذا بالزج فعادى بينهما ـ قلت : عادى بينهما أى صرعهما واحدا بعد واحد يقال عادى الفارس بين صيدين وبين رجلين اذا طعنهما طعنتين متواليتين ـ وهكذا كان السؤال عن العلم فى ما مضى من الزمن ، ثم أصبح الناس اليوم لا يعرفون الكتب الا لتزيين الأرفف وتزويق الجدر .

* * *

جموع أسماء الأشهر

قال أبو تراب : ويغلط الناس فى جمع اسماء الشهور العربية والأيام فقل من يعرف منهم أن جمع رجب مثلا : أرجاب ، وجمع شوال : شواويل ، وجمع الخميس اخمساء وقد ورد علينا سؤال فى هذا المعنى وجوابنا ـ وبالله التوفيق ـ أن المحرّم يجمع على المحرّمات ، وصفر يجمع على أصفار ، والربيعان يجمعان على أربعة وأربعاء ، والجماديان على جماديات وكذلك رمضانات وشعبنات ، وشوالات ، أو شواويل ، وذوات القعدة ، وذوات الحجة .

وقد قرأت للفقيه الأصولى المفتى الشيخ علاء الدين محمد بن على الحصفكى الدمشقى النحوى المتوفى سنة **١٠٨٨** هـ وهو صاحب « افاضة الأنوار على أصول المنار » فى الفقه ، و « شرح قطر الندى » فى النحو ـ أبياتا فى هذا المطلب ونقلها محمد العنانى فى « الروضة الأدبية » (ص **٢٢١**) حيث قال رحمه الله :

ومستفيد أتانى كى أعرّفه ... جمع الشهور مع الأيام فانتفعا
وسامنى ذكرها نثرا فقلت له ... خذ ذاك نظما فإن الحق قد نصعا
محرّمات وأصفار وأربعة ... وأربعاء تجوز اللفظتان معا

قلت : الفصيح استعمال المحرّم بالألف واللام ، وصفر هو بعد المحرّم ، وقد يمنع من الصرف باعتبار وزن الفعل مع العلمية ، وهو ضعيف . والربيع عند العرب ربيعان : ربيع شهور ، وربيع زمان ، فربيع الشهور اثنان قالوا : لا يقال فيهما الا شهر ربيع الأول ، وشهر ربيع الآخر على الوصف ، وقد يضاف شهر الى ربيع ، والتزمت العرب لفظ شهر قبل ربيع تمييزا له عن ربيع الفصل .

ثم قال الحصفكي في أبياته :

وقــل شهــور ربيع ان أردت فما   اثبــت من ذاك ما اثبــت مبتدعا

واجمع جمادى اذا ما شئت أورجبا   جمــاديات وأرجابــا كما سمعا

قلت : جمادى اسم شهرين من شهور السنة العربية معرفة مؤنثة ، فإن ورد مذكرا في شعر فإنما يذهب به الى معنى الشهر ، وكان يقال جمادى خمسة الأولى ، وجمادى ستة الآخرة ، ومنه قول لبيد :

حتــى اذا سلخــا جمــادى ستة   جزءا فطــال صيامــه وصيامها

ورجب يقال له : رجب مضر لأنهم كانوا أشد تعظيما له ويقال له : رجب الفرد ، لأن الأشهر الحرم ثلاثة سرد ، ذو القعدة وذو الحجة والمحرّم وواحد فرد وهو رجب ويقال : رجبان على التغليب لرجب وشعبان . كالقمرين للشمس والقمر والجمع أرجاب ورجوب ورجاب ورجبات على صيغة جمع المؤنث باعتبار الليالى التى هو موضوع لها يقال : أجلتك الى سبعة أرجاب .

ثم قال الحصفكي فى أبياته :

وجمــع شعبــان شعبانــات نعرفها   ومثلهــا رمضانــات لمن جمعا

قلت : ويجمع على شعابين ايضا ، ويجمع رمضــان على رماضـين ايضــا وأرمضاء وأرمضة وأرمض عن بعض اللغويين ، وليس بثبت .

ثم قال الحصفكي فى أبياته :

وقــل شواويل يا هذا وربتما   وعى أخو العلم شوالات حين وعى

قلت : وشوال ربما دخلتـه الألف والـلام للمـح الصفـة فقيل : الشـوال والشواويل .

ثم قال الحصفكي :

واعلـم بأن ذوات القعـدة اشتبهت   فحــيرت وذوات الحجــة اللكعا

قلت : نص اللغويون على ذوات الحجة وذوات القعدة لأنهم كانوا يقعدون فيه عن الأسفار وقالوا : ذوات القعدات والتثنية ذوا القعدة ، وذوا القعدتين فثنوا

الاسم وجمعوه وهو عزيز لأن الكلمتين بمنزلة كلمة واحدة ، وذو القعدة بكسر القاف ـ لغة كذى الحجة ـ بكسر الحاء ـ .

قال أبو تراب : وقال الفقيه الحصفكى فى جمع الأيام من أبياته :

وقل سبوت وآحاد وبعدهما هى الاثانين واجمع جمعة جمعا
اولا فقل اسبت فيما تقلله ومثلها جمعات واتل ما شرعا
وقبلهن الثلاثاوات يعرفها والاربعاوات من نحو الصواب سعِى
واجمع خميسا اذا ما شئت أخمسة وأخمساء وكن للعلم متبعا

قلت : الثلاثاء بالمد وفتح الثاء وقد تضم ، وأشار الى ابدال الهمزة واوا بأنه هو الصواب لأن القاموس ذكر (الأربعاءات) وذكر اللغويون أن يوم الاثنين لا يثنّى ولا يجمع لأنه مثنى فان أحببت أن تجمعه كأنه صفة للواحد قلت : اثانين ، وقد نصوا على أخمساء وأخمسة فى جمع خميس ، وجمع وجمعات فى جمع جمعة وسكون ميم جمعات سماع وأسبت وسبوت فى جمع سبت ، ويوم الأحد يذكر فى مادة : (الواحد) لأن الهمزة مبدلة . وفى اشتقاق كل هذه الأسماء كلام طويل ربما ألممنا به فيما يأتى .

* * *

أسماء الشهور عند العرب

وقرأت فى كتاب لقطة العجلان للنواب محمد صديق حسن القنوجى (ص ١٩) قال : أما تاريخ العرب فانه لم يزل فى الجاهلية والاسلام يعمل بشهور الأهلة وعدة شهور السنة عندهم اثنا عشر شهرا ، الا انهم اختلفوا فى اسمائها فكانت العرب العاربة تسميها : (ناتق) نقيل وفى نسخة (ثقيل) طليق وفى نسخة (ناجر) اسخ وفى نسخة : (أسخ) و (سماح) و (أسلخ) امنح وفى نسخة : (أنخ) واميح ، احلك ، كسع وفى نسخة (كسح) زاهر ، برط ، وفى نسخة : (ثوط) و (برك) حرف ، نعس ، فناتق هو المحرّم ونقيل هو صفر وهكذا ما بعده على سرد الشهور . وكانت ثمود تسميها : موجب ، موجر ، مورد ، ملزم ، مصدر ، هوبر ، هوبل موها ، ديمر ، دابر ، حيقل ، مسبل فموجب هو المحرم وموجر صفر الا انهم كانوا يبدأون بالشهور من ديمر وهو رمضان فيكون أول شهور السنة عندهم . ثم كانت العرب تسميها بأسماء اخر وهى : مؤتمر ، ناجر ، خوان ، صوان وفى نسخة (يصان) و (بصان) حنتم وفى نسخة (خنتم) زبا وفى نسخة (ربى) الاصم ، عادل وفى نسخة (عاذل) بايق وفى نسخة (نافق) واغل هواع ، برك . ومعنى المؤتمرانه يأتمر بكل شيء مما تأتى به السنة من اقضيتها وناجر من النجر وهو شدة الحر ، وخوان على وزن فعال ـ بكسر الفاء ـ من الخيانة وصوان بكسر الصاد وضمها من الصيانة ، والزبا الداهية العظيمة المتكاثفة ، سمى بذلك لكثرة القتال فيه ، ومنهم من يقول بعد صوان الزبا وبعد الزبا البائدة ، وبعد البائدة الأصم ، ثم واغل وباطل وعادل ورنة وبرك ، فالبائد من القتال اذ كان فيه يبيد كثير من الناس ، وجرى المثل بذلك فقيل : العجب

كل العجب بين جمادى ورجب . وكانوا يستعجلون فيه ويتوخون بلوغ الثأر والغارات قبل رجب فانه شهر حرام ، ويقولون له : الأصم لأنهم كانوا يكفون فيه عن القتال ، فلا يسمع فيه صوت سلاح والواغل الداخل على شرب ولم يدعوه ، ذلك لأنه يهجم على شهر رمضان ، وكان يكثر فى رمضان شربهم الخمر لأن الذى يتلوه هو شهور الحج ، وباطل هو مكيال الخمر لكثرة استعمالهم ذلك فيه سمى به لافراطهم فى الشرب والعادل من العدل لأنه من أشهر الحج وكانوا يشتغلون فيه عن الباطل ، واما الزبا فلان الانعام كانت تزب فيه لقرب النحر وأما برك فلبروك الابل اذا حضرت المنحر أيام النحر فى الحج .

قال أبو تراب : وقد روى انهم كانوا يسمون المحرم مؤتمرا وصفر ناجرا وربيع الأول نصارا وربيع الآخر خوانا ، وجمادى الأولى حمتنا وجمادى الأخرى الرنة ورجب الأصم وشعبان عادلا ورمضان ناتقا وشوالا واغلا وذا القعدة هواعا وذا الحجة بركا ، ويقال فيه ايضا أبروك ، وكانوا يسمونه الميمون . ثم سمت العرب اشهرها بالأسماء الحاضرة واشتقوا اسماءها من أمور اتفق وقوعها عند تسميتها ، وأنت اذا تأملت اشتقاق اسماء شهور الجاهلية أولا ثم اشتقاقها ثانيا تبين لك أن بين التسميتين زمانا طويلا ، فان صفر فى احدهما هو صميم الحروب وفى الآخر رمضان ، ولا يمكن ذلك فى وقت واحد أو وقتين متقاربين . قلت : اختلفت الرواة كثيرا فى اسماء شهور عاد ، اشار الى هذا الاختلاف البيرونى فى كتاب الاثار الباقية (ص ٦٠) وساقها باختلاف ابن سيده فى المخصص (ج ٩ ص ٤٣) والمسعودى فى مروج الذهب (ج ١ ص ٢٤٨) والنويرى فى نهاية الأرب (ج ١ ص ١٥٧) وروايات فى بعض الأسماء فى لسان العرب ، ومقاييس اللغة (ج ٢ ص ٢٣١ و ج ٣ ص ٢٧٩) وصحاح الجوهرى ، وكتاب الوشاح لابن دريد ونقل فى ذلك عن ابن الكلبى وقد شك بعضهم فى صحتها ، ولا نفعل ذلك لمجرد التصحيف أو تعدد الأسماء واختلافها فان لذلك مسوغات وان كانت الرواية فى الأشهر الثمودية مضطربة جدا ، وقد بحث فى ذلك الدكتور انيس فريحة لكنه

أخطأ فى تعليل بعض التسميات ، وكأنه لم يطلع على كلام القنوجى ، وفوق كل ذى علم عليم . وفى لسان العرب : عن ابن الكلبى : كانت عاد تسمى المحرّم مؤتمرا وصفر ناجرا وربيعا الأول خُوّانا وربيعا الآخر يُصّانا وجمادى الأولى ربى وجمادى الآخرة حنينا ورجب الأصم وشعبان عاذلا ورمضان ناتقا وشوالا وعَلاً وذا القعدة وَرْنَة وذا الحجة بُرَكَ .

* * *

اشتقاق الأشهر العربية

أما اشتقاق الأشهر العربية التى تلت الأسماء الجاهلية فالمحرم سمّته العرب بهذا الاسم لأنهم كانوا لا يستحلون فيه القتال ، وأضيف الى لفظ الجلالة اعظاما له كما قيل للكعبة بيت الله . وقيل : سمى بذلك لأنه من الأشهر الحرم ، هكذا ذكره صاحب اللسان . وينعت هذا الشهر بالحرام فيقال : المحرم الحرام ، وكان يعرف فى الجاهلية بصفر الأول ، لأنه كان لهم صفران .

وحكى الجوهرى عن ابن دريد قال : الصفران شهران من السنة سمى احدهما فى الاسلام المحرم . قلت : ويرى بعض المعاصرين ان التحريم لم يكن تحريم غزو ، انما هو لأسباب زراعية ويعلل هذا بأن اسمه السابق صفر وهو لاصفرار السنابل وهذا عندى بعيد جدا والظاهر ما قاله النويرى : انهم اغاروا فيه فلم ينجحوا فحرموا فيه القتال . وأما صفر فينعت بالخير والمظفر لأنه شهر نحوسة عندهم واختلفوا فى وجه التسمية فقال البيرونى : فى الآثار الباقية (ص ٦٠) انهم سموه بذلك لامتيارهم فى فرقة تسمى (صفرية) وقال ايضا فى الآثار الباقية (ص ٣٢٥) : وسمى صفر لوباء كان يعتريهم فيمرضهم وتصفر ألوانهم .

وقال المسعودى فى تاريخه (ج ٣ ص ٣١٧) : وسمى صفر لأسواق كانت باليمن تسمى الصفرية وكانوا يمتارون فيها ومن تخلف عنها هلك جوعا .

وفى لسان العرب : عن رؤبة انه قال : سموا صفرا لأنهم كانوا يغزون فيه القبائل فيتركون من اغاروا عليه صفرا من المتاع .

وقال النويرى : سمى بذلك لصفر بيوتهم فيه منهم عند خروجهم للقتال أو لأنهم كانوا يغيرون على الصفرية وهى بلاد .

قال أبو تراب : وأما ربيعا الأول والآخر فينعت الأول بالشريف وفى الناس من يسميه الربيع الأول ، وقد ذكرنا من قبل أن للعرب ربيعين : ربيع شهور وربيع أزمنة ولا علاقة بينهما .

قال أبو الغوث : ان العرب تجعل السنة ستة أزمنة شهران منها الربيع الأول وشهران صيف وشهران قيظ وشهران الربيع الثانى وشهران خريف وشهران شتاء قلت : انما سميا بالربيع لسقوط بعض الأمطار وظهور بعض العشب .

قال البيرونى : سميا بذلك للزهر ، والأنوار ـ جمع نور بفتح النون وهو الزهر ـ .

قال : وسميا بذلك لتواتر الأندية والأمطار وهو نسبة الى طبع الفصل الذى نسميه نحن الخريف .

وقال النويرى فى علة تسمية الربيعين : لأنهم كانوا يخصبون فى الربيع بما أصابوا فى صفر ، والربيع الخصب . قلت : وأما جماديا الأولى والآخرة فكانوا يقولون : جمادى خمسة وجمادى ستة لأن الأولى هى الخامسة والآخرة تمام ستة أشهر من أول السنة .

ويقال فيها : جمدى ـ على وزن حبلى ـ والظاهر أن التسمية من جمود الماء لأنهما شهران كانا يقعان فى معظم البرد ومدار الفلك مختلف لا يتنازع فيه متناطح ، لذلك قلنا فى بحث لنا مضى يتعلق بالميزان أول السنة : ان الحمل الذى هو ابتداء الأبراج قد كان ويكون بمدار الفلك غير مبتدأ به وهذا واقع فخريطةُ بطليموس لا شيء وانما العمدة على الرصد المتجدد وبعض وقائع التاريخ من أيام الرسول عليه الصلاة والسلام يختلف عندى ميزان تاريخها لأجل هذا الاعتبار .

وقال أبو حنيفة : جمادى عند العرب الشتاء كله فى جمادى كان الشتاء أو فى غيرها . وهذا فى تحليل التسمية بالجمود .

وأما رجب فينعت بالمرجب ـ أي المهذّب ـ وينعت بالفرد والوسط لأن الأشهر الحرم متتابعة الاه فهو منفرد بين جمادى وشعبان .

قال البيروني : ورجب سمى بذلك لاعتمادهم الحركة فيه لا من جهة القتال والرجبة العماد ومنه قيل : « عذق مرجب » . وقال ايضا : سمى به لأنه قيل فيه « أرجبوا » أى كفوا عن القتال والغارات لأنه شهر حرام . وقيل بل لاستعجالهم قبله كانوا يخافونه ويقال : رجبت الشيء أى خفته . وفى صحاح الجوهرى : رجبته أى هبته فهو مرجوب ومنه سمى شهر رجب ويقول آخرون : انه من الرواجب وهى أصول الأنامل وخطوط مفاصلها وقيل : ان العود رجب النبات فيه أى أخرجه . ورجبان مثنى تغليب وأما شعبان فينعت بالمعظم والشريف ، وسمى به لتشعب القبائل الى المناهل والغارات . وقال ثعلب : لأنه شعب أى ظهر بين رمضان ورجب ، ويقال : لتشعب العود وأما رمضان فينعت بالمبارك والأصم لعدم صوت السلاح فيه كرجب وهو لقب الصق به وسمى رمضان للحجارة ترمض فيه لأنه وافق ايام شدة الحر .

وأما شوال فينعت بالمكرم وسمى به لارتفاع الحر وادباره . قال البيرونى : لأنه قيل فيه شولوا ، أى ارتحلوا وقيل : لأن الابل كانت تشوّل فيه أذنابها . وفى لسان العرب سمى بتشويل ألبان الابل وهو ادبارها . وقال الفراء : لشولان الناقة فيه بذنبها .

واما ذو القعدة فسمى للزومهم منازلهم أو لما قيل فيه : اقعدوا أو كفوا عن القتال ، وقال فى اللسان : لقعودهم فى رحالهم عن الغزو والميرة وطلب الكلأ . وفى المصباح (ص ١٤٨) : ذو القعدة لما ذبلوا القعدان (اى الابل القلاص) قلت : لعله لاستعدادهم للحج وتسمية ذى الحجة واضحة وقال النويرى فى النهاية (ج ١ ص ١٥٨) انما وضعوا هذه الأسماء على هذه الشهور لاتفاق حالات وقعت كل شهر فسمى الشهر بها عند ابتداء الوضع .

* * *

معانى حروف المعجم

قال أبو تراب : قال الشيخ أبو عبد الله الأندلسى الهوارى فى تسمية حروف المعجم (وانظر أيضا بصائر ذوى التمييز للفيروزابادى) .

(الألف) الواحد من كل شيء والرجل الذى لا زوجة له وفعل ماض

لا تركنن من الدنيا الى ألف　　فمن يصاحب حقيرا هان فى الزمن

(الباء) الشيخ الكثير المباشرة .

واحرص على المجد حرص الباء حين يرى　　غدرا تفتنه بالمنظر الحسن

(التاء) الآنية التى تحلب فيها الناقة .

وكن جوادا كريم الكف ذاهبة　　كالتاء فى النوق يروى القوم باللبن

(الثاء) اللين من كل شيء .

وابحث عن الثاء فى كل الأمورفمن　　رأى الحقائق أمسى وهو ذو فطن

(الجيم) الجمل الكبير .

وكن لدى الخطب مثل الجيم جدّ به　　طول المسير فلم يتعب ولم يهن

(الحاء) المرأة المسنة والحاء قبيلة من مذحج قال الشاعر

(طلبن الثأر فى حكم وحاء)

لا تخدعنك حاء لا حياء لها　　فانما هى كالخضراء فى الدمن

(الخاء) شعر العورة ، وعرف الديك ، وفعل أمر معناه عجِّل ، قال الكميت :

لا خير فيمن لها وجه يرى سفها　　كخائها فمتى أمنتها تخن

(الدال) المرأة السمينة .

وانما الحسن فى دال منعّمة حبيبة زانها صمت على لسن

(الذال) عرف الديك .

لا تخل نفسك من مجد تماز به فالديك لولا وجود الذال لم يبن

(الراء) القراد الصغير يكون مع الذباب ، وجمعه راه وهى شجر .

ولا تكن مثل راء فى الذباب له ضروان رمت منه النفع لم يكن

(الزاى) الرجل الكثير الأكل .

واقنع ولاتك مثل الزاى من رجل اذا رأى الأكل يسعى سعى مفتتن

(السين) الرجل الكثير الشحم واللحم .

وان بصرت بسين لا ذكاء له فلا يغرنك عظم الخلق والبدن

(الشين) الرجل الذى لا يمل النكاح .

وانهض الى الخير مثل الشين لاح له وجه وقد كمثل البدر والغصن

(الصاد) الديك اذا تمرغ فى التراب والفرخ ايضا وقدر النحاس قال حسان :

(رأيت قدور الصاد حول بيوتنا)

وكن مع الدهر مثل الصاد يقنعه عفو التراب ولقط الحب فى الدمن

(الضاد) الهدهد والمرأة الكبيرة الثديين .

واطلب لنفسك عذرا فهو اخلص من يدى سليمان ضاد الطير من محن

(الطاء) الرجل اذا شاب ولا يشبع من الوقاع وسنام البعير ومهبط الوادى .

واحذر فؤادك من حب النساء فكم جلبن للطاء ما يخشى من الفتن

(الظاء) المرأة العظيمة الثديين والابل المقطرة .

ولا تغـــرّ بظــاء قام ناهده بصــدر عذرا تدُعُ القلـــب للشجن

(العين) اسم سنام الابل .

وكن من الناس مثل العين فى ابل أعلى واطيب ما فيهــا فلا تهن

(الغين) الابل والغيم قال الشاعر : (اصاب حمامة فى يوم غين) .

لا تطـردن عن الأبـواب من طمع كالغين ان شردت يومـا ولـم تكن

(الفاء) زبد الماء .

ولا تكونـــن فى دنياك ذا عمل كالفاء فى البحـر لا يبقـى لممتحن

(القاف) المستغنى عن الناس .

والزم غنى النفس ان القاف شرفه غنـاه عما بأيدى النـــاس من منن

(الكاف) الرجل المصلح بين الناس .

ما أسعد الـكاف بـين النـاس من رجل يراقـــب الله فى سر وفى علن

(اللام) الشجر اذا قطر وقيل : اذا تقطر ايام الـربيع وقيل الجمـل ذو السنامين .

وأيمـــا عمــل لله مقصــــده يكن كلام غضيض النبـــت والغضن

(الميم) ويقال ميم الرجل اذا اصابه الموم وهو البرسام .

فان دنياك مثـل الميم تســكن من صبـا اليهـا وان أمسى أخـا فطن

(النون) الحوت المذكر والدواة والقلم والسيف .

والنون فى البحر نجـى عبـد خالقه من الملـــوك ولاة الأمـــر فى الزمن

(الهاء) اثر اللطمة فى خد الصبىّ .

وأدب النفس لولا اللطـــم فى أدب لم يزه بالهـــاء خد الشـــادن الحسن

(الواو) الجمل اذا كان ذا سنامين ، وعمود الخيمة ، قال الشاعر :

نَبْنــى البيــوت على واو ونهدمها وأكثـر النــاس لا يــدرون ما الواو

ولا تكونــن مثــل الــواو ذا كبر بغــير عقــل وجنــب كل ممتهن

(اللام ألف) : شراك النعل وهو الشسع :

واصبر على الجهد صبر اللا يصلب إن وطيتــه ومتــى جاذبتــه يلن

(الياء) اسم لما فضل من اللبن فى ضرع الشاة (ويا) كلمة نداء وتلهف وتعجب .

لا تركنــن بياء لا أمــان به واطلـب جنـاب كريم النفس مؤتمن

* * *

عيوب المعانى

قال أبو تراب :

ومن عيوب المعانى أن ينسب الشىء الى ما ليس منه . ومما أخذ النقاد على الشعراء من هذا القبيل قول خالد بن صفوان :

فان صورة راقتــك فاخبــر فربما أمـر مذاق العــود والعــود أخضر

قال قدامة والمرزبانى : (كأنه يومىء الى أن سبيل العود الأخضر فى الأكثر أن يكون عذبا أو غير مرّ وهذا ليس بواجب لأنه ليس العود الأخضر بطعم من الطعوم أولى منه بالآخر .

ومن عيوب المعانى قول الحكم الخضرى نقله فى أوهام الشعراء :

كانــت بنــو غالــب لأمتها كالغيث فى كل ساعــة يكف

وليس فى المعهود أن يكون الغيث واكفا فى كل ساعة ومنها قول الحطيئة .

ومــن يطلــب مساعــى آل لأى تُصعِّــدُه الأمــور الى علاها

قال أبو هلال العسكرى : كان ينبغى أن يقول : من طلب مساعيهم عجز عنها وقصر دونها ، فأما اذا تناهى الى علاها فأى فخر لهم ، فان قيل : انه اراد به أنه يلقى صعوبة كما يلقى الصاعد من أسفل الى علو فالعيب أيضا لازم لأنه لم يعبر عنه تعبيرا مبينا . ونحوه فى الموشح للمرزبانى . قال فى أوهام الشعراء : البيت على القول الأول أشبه بالهجاء منه بالمدح لأنه أراد أن يعظم شأنهم فصغّره وحقّره وقد وقع الأخطل فى ما يشبهه فانه أراد مدح سماك الأسرى وكان قومه يلقبون بالقيون ويعيرون بذلك فقال :

قد كنــت أحسبــه قينــا وأنبؤه فاليوم طــيرّ عن اثوابــه الشرر

أى فاليوم نفى ذلك عن نفسه ، وذهب عنه هذا اللقب ، فنبه فى مدحه له على شىء يعيرّ به وكان له فى ضروب الممادح متسع ، ويروى أنه لما أنشده سماكاً قال له : أردت أن تمد حنى فهجوتنى كان الناس يقولون قولا فحققته . وأراد الأخطل أن يهجو سويد بن منجوف فاتى بما يدل على مدحه فى قوله :

وما جذع سوء خرّب السوس أصله لماحملّتــه وائــل بمطيق

فجعله لايطيق ما حملّته وائل من أمورها فأثبت له نباهة وسؤددا وجعله ممن تعصب به الحاجات . وفى الأغانى : أنه لما هجا سويدا بهذا الشعر قال له : يا أبا مالك ما تحسن تهجو ولا تمدح لقد أردت مدح الأسرى فهجوته يعنى قوله : (قد كنت أحسبه قينا وأنبؤه) وأردت هجائى فمدحتنى جعلت وائلا حملتنى أمورها وماطمعت فى بنى تغلب فضلا عن بكر قال أحمد تيمور : وقد سبقه زهير إلى المدح بما يشبه الهجاء فى بيت لم نر من تنبّه لما فيه غير ابن اشرف القيروانى فقال عنه مانصه (وقال زهير وهو من أطيب شعره وأملحه عند العامة وكثير من الخاصة . فهاهنا تحفظ وتأمل ولا يهلك ذلك منهم فالحقُّ أبلج قال :

تراه إذا ما جئتــه متهللا كأنـك تعطيـه الـذى أنـت سائله

(حاشية) وفى طبقات الشعراء لابن قتيبة : إن عبد الملك بن مروان سأل قوماً من الشعراء عن أى بيت أمدح فاتفقوا على بيت زهير هذا .

ونقده ابن شرف القيروانى فقال (مدح به شريفـاً أى شريف فجعـل سروره بقاصده كسروره بمن يدفع شيئاً من عرض الدنيا إليه وليس من صفات النفوس العازفة السامية والهمم الشريفة الحالية اظهار السرور إلى أن تتهلل وجوههم ، وتسر نفوسهم بهبة الواهب ولا شدة الإبتهاج بعطية المعطى بل ذلك عندهم سقوط همة ، وصغر نفس إلى أن قال : هذا نقض البناء ، ومحض الهجاء ، والفضلاء يفخرون بضد هذا) .

قال أبو تراب : وعابوا على النابغة الذبيانى قوله :

مافى الجبان أخى صبر إذا نزلت   حرب يوائل منها كل تنبال

(يوائل) يطلب الموئل وهو الملجأ ، و (التنبال) القصير أو الجبان . وذكره هنا مفسد لمعنى البيت . قال أبو هلال العسكرى : ليس القصير بأولى بطلب الموئل من الطويل وان جعل التنبال الجبان فهو أبعد من الصواب لأن الجبان خائف وجل اشتدت الحرب أم سكنت .

ومثله فى الموشح للمرزبانى باختلاف فى العبارة . وقال النابغة أيضاً يصف ناقته وقال بعضهم انه وصف ثورا ورواه (يحيد) :

تحيد عن أَستن سود أسافله   مشى الاماء الغوادى تحمل الحزما

(الاستن) بوزن أحمر شجر إذا نظر الناظر إليه من بعد شبهه بشخوص الناس كذا فى اللسان .

وقال الأعلم الشنتمرى فى شرح الديوان : شبه الاستن فى سداد أسافله وطوله باماء سود يحملن الحزم ، وأوقع التشبيه فى اللفظ على المشى لأنه السبب فى ظهور أسافلهن وتبين سوادهن ، وانما خص اللواتى تحمل الحزم لأنهن إذا كانت عليهن الحزم مددن ايديهن فكان أطول لهن .

وفى شرح الوزير أبى بكر البطليوسى « شبه سواد أسافل هذا الشجر وما فوق ذلك من فروعه اليابسة باماء سود على رؤسهن حطب ، لأن لون هذا الشجر إذا كان أسفله أسود وأعلاه يابس الاغصان فكأنه حطب على رؤس اماء سود » .

والذى عيب عليه فى هذا البيت من فساد المعنى قوله (الغوادى) لأن الاماء تحمل الحطب بالعشى وهن روائح ، وأما إذا غدون إلى الصحراء فانهن مخفات ، قالوا والجيد قول التغلبى :

تظل بها ربد النعام كأنها   اماء تزجى بالعشى حواطب

وقد شبه النعام بالاماء الحواطب لأن النعامة إذا خفضت عنقها ومشت كانت

أشبه بماش وعلى ظهره حمل ، وقال أبو هلال العسكرى ، فى بيت النابغة : (وقد روى : مثل الاماء ، وإذا صحت الرواية سلم المعنى)

قال أحمد تيمور : لم يظهر لنا وجه سلامة المعنى على هذه الروايـة لأن أبا هلال لم يعب عليه قوله : (مشى الاماء) بل عاب عليه كغـيره قولـه : (الغوادى) وتغيير (مشى) بمثل لا يجعل تلك الاماء روائح حتى يسلم المعنى به وانما الذى ينتصر للنابغة يقول : أراد أن الاماء تغدو لتحمل الحطب رواحاً .

وقال على بن حمزة البصرى فى التنبيهات : كان أبو عبيدة يقول : لم يقله النابغة إلا (عشاء) تحمل الحزما . وعلى هذه الرواية ينتفى الاعتراض عليه .

وقال النابغة أيضاً يصف ثوراً :

من وحش وجـرة موشى أكارعه طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد

قال أبو هلال : « أراد بالفرد أنه مسلول من غمـده » فلم يبـن بقولـه (الفرد) عن سلّه بياناً واضحاً . والجيد من قول الطرماح وقد أخذه منه :

يبـدو وتضمـره البـلاد كأنه سيف على شرف يسـل ويغمد

وهذا غاية فى حسن الوصف ومثله فى طبقات الشعراء لابن قتيبة . ومما خطأوا فيه النابغة أيضاً قوله :

ألكنـى ياعيـين إليـك قولا ستحملـه الـرواة إليـك عنى

(ألكنـى) أى كن رسـولى وبلـغ ألوكتـى أى رسالتـى ، وفسره أبو هـلال بـ (أرسلنى) فقال منتقداً البيت : « وليس من الصواب أن يقال : أرسلنى إلى نفسك ثم قال « ستحمله الرواة إليك عنى » وقال الآمدى قالوا : ألكنى ـ أى كن لى رسولا فكيف يكون ألكنى اليك عنى فأعتذر له الأصمعى وقال : أهذا مما حملته الرواة عن النابغة كأنه يدفع ألا يكون قاله . ولأحمد تيمور تعليق على هذا الكلام فى أوهام الشعراء فليراجع .

قال أبوتراب : ومما أدرك على أبى نواس فى وصف الأسد قوله :

كأنمـا عينـه إذا التفتت بارزة الجفـن غـير مخفوق

(حاشية) رواية العقد الفريد - « والصناعتين » و« سر الفصاحة » : « نظرت » بدل التفتت ، وفى الحيوان « للجاحظ » : (تهبت) .

والانتقاد أن عين المخنوق تكون جاحظة ، والأسد لا يوصف بجحوظ العين بل يوصف بغؤورها ، كما قال أبوزبيد :

كأن عينيه فى وقبين من حجر قيضا اقتياضاً بأطراف المناقير

(حاشية) « الوقب » النقرة فى الحجرة ، و« قيضا » نقرا ، و« المناقير » جمع منقار وهى حديدة ينقر بها .

ومن أوهام أبى نواس ماروأه المرزبانى فى الموشح ، قال : حدثنى المظفر بن يحى قال : غلط أبو نواس فى قوله يصف الكلب :

كأنما الاظفور من قنابه موسى صناع ردّ فى نصابه

(حاشيه) « القناب » بكسر الأول ما يدخل فيه الأسد مخالبه من يده ، و« الصناع » بفتح أوله الحاذق فى الصنعة أى كأنَّ ظفر هذا الكلب إذا أدخله فى قنابه موسى رجل صناع طوى فى نصابه .

والانتقاد الوارد أنه ظن أن مخلب الكلب كمخلب الأسد والسنور الذى يستتر إذا أرادا حتى لايتبين ، وعند حاجتهما تخرج المخالب حجناً محددة يفترسان بها والكلب مبسوط اليد أبدا غير منقبض . ومما ادركت على أبى نواس أيضاً قوله يصف الديار

كأنها إذا خرست جارم بين يدى تفنيده مطرق

قال الجاحظ فى « الحيوان » : عابوه بذلك وقالوا : لا يقول أحد : لقد سكت هذا الحجر ، كأنه إنسان ساكت وإنما يوصف خرس الإنسان بخرس الدار ويشبه صممه بصمم الصخر » قال أحمد تيمور : الذى عندنا فى البيت أنه من التشبيه المقلوب والتخيل فيه بديع فلا وجه لما ذكروه من التنقيد والاستدراك . ومما وهم فيه أبو تمام قوله :

ألذ من الماء الزلال على الظما وأطرف من مرّ الشمال ببغداد

قال القاضي الجرجاني في « الوساطة » جعل الشمال طرفة ببغداد وهي أكثر الرياح بها هبوباً وقد رواه بعض الرواة « أظرف » ولا أعرف معنى الظرف في الريح » .

انتهى كلام الجرجاني . وعابوا عليه قوله :

ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسعه لم يضق عن أهله بلد

قال في الوساطة : وهذا المعنى فاسد لأنه جعل البلاد انما تضيق بأهلها لضيق الأرض وأنها لو اتسعت اتساع صدره لم تضق البلاد ، ونحن نعلم أن البلاد لم تخطط في الأصل على قدر سعة الأرض وضيقها وأن الأرض تتسع لبلاد كثيرة ولاتساع مافيها من المدن أيضاً وهي على حالها وانما تؤسس وتبتدىء على قدر الحاجة إليها فاذا استمر بها الزمان وكثرت العمارة وظهر فيها ما يستدعي الناس اليها ضاقت فان جاورتها فسح وعراص وسعت وإلا احتمل لها بعض الضيق فلو اتسعت الأرض حتى امتدت إلى غير نهاية وأمكن ذلك لم تزد البلاد التي تنشأ فيها على مقاديرها » .

وقد خطأه أبو هلال أيضاً فقال في الصناعتين « وذلك أن البلدان التي تضيق بأهلها لم تضق بأهلها لضيق الأرض ومن اختط البلدان لم يختطها على قدر ضيق الأرض وسعتها وانما اختطت على حسب الاتفاق ولعل المسكون منها لا يكون جزءاً من ألف جزء فلأي معنى تصييره ضيق البلدان الضيقة من أجل ضيق الأرض والصواب أن يقول : ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسعه لم يسعها الفلك أو لضاقت عنها السماء أو يقول : لو أن سعة كل بلد كسعة صدره لم يضق عن أهله بلد والجيد في هذا المعنى قول البحتري :

مفازة صدر لو تطّرق لم يكن ليسلكها فرداً سليك المقانب

أي لم يسلكها إلا بدليل لسعتها على أن قوله « مفازة صدر » استعارة بعيدة انتهى قلت : سليك المقانب من العدائين المشاهير .

* * *

عُنِى به

قال ابو تراب :

ومن مسائل الأمام المازنى ما حدث عنه تلميذه المبرد النحـوى قال قال المازنى كنت عند ابى عبيدة فسأله رجل فقال له : كيف تقول : عنيت بالأمر ؟

قال : كما قلت : عنيت بالأمر ، قال : فكيف آمر منه ؟ ـ يعنى أركب منه فعل الأمر ـ

قال المازنى : فغلط وقال : اعن بالأمر فأومأت الى الرجل : ليس كما قال ، فرآنى ابو عبيدة فأمهلنى قليلا فقال : ما تصنع عندى ؟ قلت : ما يصنع غيرى قال : لست كغيرك ، لا تجلس الى قلت : ولم ؟ قال : لانى رأيتك مع انسان خوزى سرق منى قطيفة ـ قلت : الخوزى نسبة الى سكة الخوز بأصبهان ، وفى بغية الوعاة للسيوطى : الحورى وهو غلط ـ قال المازنى : فانصرفت ، وتحملت عليه باخوانه ، فلما جئته قال لى : ادب نفسك أولا ثم تعلم الأدب .

قال المبرد : الأمر من هذا الفعل ـ يريد عنى ويعنى به ـ باللام لا يجوز غيره ، لأنك تأمر غير من بحضرتك ، كأنه ليفعل هذا ، قلت : يريد أن تقول فى الأمر : ليعن به ، وعنى بالضم عناية يستعمل على صيغة المجهـول وورد فى الاستعمال عنى كرضى قليلا ، وفى اسم الفاعل يقال : هو به عن لأن هذا الفعل يسمى ناقصا يائيا لاعتلال لام الكلمة فيه ، وهى تحذف فى حالة الرفع والجر والقصة أوردها ياقوت فى معجم الأدباء والسيوطى فى بغية الوعاة .

* * *

تعليل "البغى"

وفى طبقات الزبيدى : قال المازنى حضرت يوما عند الواثق وعنده نحاة الكوفة فقال لى الواثق : يا مازنى هات مسألة ؟ فقلت : ما تقولون فى قوله تعالى : «وما كانت أمك بغيا » لم لم يقل بغية وهى صفة لمؤنث ، فأجابوا بجوابات غير مرضية فقال الواثق : هات ما عندك ؟ فقلت : لو كانت بغى على تقدير فعيل بمعنى فاعلة لحقتها الهاء مثل : كريمة وظريفة وإنما تحذف الهاء إذا كانت فى معنى مفعولة نحو : المرأة قتيل ، وكف خضيب وبغى ههنا ليس بفعيل ، إنما هو فعول ، وفعول لا تلحقه الهاء فى وصف التأنيث نحو : امرأة شكور ، وبئر شطون ، إذا كانت بعيدة الرشاء ، وتقدير بغى بغوى ، قلبت الواو ياء ثم أدغمت مع الياء فصارت ياء ثقيلة نحو سيد وميت ، فاستحسن الجواب .

قلت المرأة قتيل بمعنى مقتولة ، وكف خضيب بمعنى مخضوبة ، والكف من المؤنثات السماعية ، وسيد وميت أصلهما سيود وميوت أبدلت واواهما ياءين ثم أدغمتا فى الياءين الأخريين ، والبغى صيغة مصدر يائية ، ركب منها فعول فكانت بلفظ بغوى ، ثم قلبت الواو ياء وأدغمت فى اختها الأصلية من المصدر فلهذا لم تلحقها ياء التأنيث التى تنقلب هاء فى السكت ، لأنها ليست بمعنى المفعول ، بل هى مبالغة من صيغ اسم الفاعل ، ولهذا السر لا يقال للمرأة : لعوبة ، بل هى لعوب ، وإنما تلحق التاء صيغة فعيل إذا كانت بمعنى فاعلة فى التأنيث .

هذا ويحسن بنا ان نذكر للأصحاب نصح المأمون لبعض ولده أورده الحصرى فى زهر الآداب (ج ٢ ص ٧١٩) قال وقد سمع منه لحنا : ما على

أحدكم ان يتعلم العربية ، فيقيم بها أوده ، ويزين بها مشهده ، ويفل حجج خصمه ، بمس كتاب حكمه ، ويملك مجلس سلطانه ، بظاهر بيانه ، ليس لأحدكم ان يكون لسانه كلسان عبده أو أمته ، فلا يزال الدهر اسير كلمته .

* * *

سُقِطَ فى يده

قال أبو تراب :

والأفعال التى جاءت فى العربية على لفظ مالم يسم فاعلة كثيرة وقد عقد لها ابن قتيبة بابا فى (أدب الكاتب) وفى (صحاح) الجوهرى وكتاب (الفصيح) لثعلب مالم يذكره ابن قتيبة ، وفى (المزهر) للسيوطى مبحث فى هذا غير مشروح وكثر التصحيف فيه ، وقد شرحت منه جملة صالحة فى كتابى : (كبوات اليراع) ومن تلك الأفعال قوله تعالى : « سقط فى أيديهم » نقل المطرزى فى شرح المقامات عن الزجاجى قال : هذا نظم لم يسمع قبل القرآن ، ولا عرفته العرب ، ولم يوجد ذلك فى أشعارهم ، والذى يدل على ذلك أن شعراء الإسلام لما سمعوه واستعملوه فى كلامهم خفى عليهم وجه الاستعمال لأن عادتهم لم تجربه فقال الحسين بن هانىء : (ونشوة سقطت منها فى يدى) وهو العالم النحرير فأخطأ فى استعماله ، وكان ينبغى أن يقول : (سقط) وذكر أبو حاتم : (سقط فلان من يده) وهذا مثل قول ابن هانىء ، وكذا قول الحريرى : (سقط الفتى فى يده) وقال الزمخشرى فى قوله تعالى : « ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا : لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين » يعنى لما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل ، لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غما ، فتصير يده مسقوطاً فيها ، لأن فاه قد وقع فيها ، و (سقط) مسند إلى : فى أيديهم وهو من باب الكنية ، وقرأ أبو السميفع : (سقط فى أيديهم) على تسمية الفاعل ، أى وقع العض فيها ، وقال الزجاج : معناه سقط الندم فى أيديهم أى فى قلوبهم وأنفسهم ، كما يقال : حصل فى يده مكروه ، وإن كان محالا أن

يكون فى اليد ، تشبيهاً لما يحصل فى القلب وفى النفس بما يحصل فى اليد ويرى فى العين .

أما ما وقع فى مقامات الحريرى من قوله : (فسقط الفتى فى يده ، ولا ذبحقو والده) فهو فى المقامة الصعدية السابعة والثلاثين وهى منسوبة إلى صَعْدَةَ من بلاد اليمن .

قال ابن الخشاب فى كتاب الاعتراض : أخطأ الحريرى فى قوله هذا ، ولم يعلم حقيقة هذا الكلام كيف تستعمله العرب ، وبيانه : يقال : سقط فى يد فلان إذا ندم ولا يقال سقط فلان فى يده قال الله تعالى : « ولما سقط فى أيديهم » ولم يقل : سقطوا فى أيديهم ، وهذا الكلام جار مجرى المثل ، وفاعل (سقط) مضمر لا يظهر معناه الندم فكأنه والله أعلم سقط الندم فى يد فلان وليس المعنى : سقط فلان فى يد نفسه ، هذا محال لا يجوز عليه ، ولا يعطيه لفظ هذا الكلام ولا معناه ، وهذا الغلط من فاحش غلط الحريرى فى مقاماته ويدل عليه دلالة قاطعة قول الله تعالى : « ورأوا أنهم ضلوا » أى فى الثانى وهو (ضلوا) وهو ضمير المذكورين فى أول الآيات ، ولم يأت به فى الأول وهو (سقط) لأن فاعله غيرهم ، وهو ضمير الندم على مابين أهل اللغة العربية وهو الصواب .

وقال ابن برى فى كتاب الانتصار .. قول ابن الخشاب أن فى (سقط فى يده) ضميراً لا يظهر ، معناه الندم ، غلط فيه ، لأن (سقط) فعل غير متعد ، انما ذلك فى قراءة من قرأ قوله تعالى : « سقط فى أيديهم » وهى قراءة حكاها الأخفش ، وقال : تقديره : ولما سقط الندم فى أيديهم . وإذا ثبت أن الندم فاعل لـ (سقط) لم يجز أن يكون مفعولا لم يسم فاعله ، وإنما يكون غيره وهو قوله (فى أيديهم) وكذلك (سقط فى يده) الجار والمجرور فى موضع المفعول الذى لم يسم فاعله ، وظاهر كلام ابن الخشاب يقتضى أن القراءة المشهورة (ولما سقط فى أيديهم) بفتح السين ، وذلك غلط على أن القراء كلهم مجمعون على (سقط) بضم السين وهو من الأفعال المبنية لما لم يسم فاعله ، ولم يقرأ أحد (سقط)

إلاّ أبو السميفع فى الشواذ من القراءات وذلك غير معروف عند أهل اللغة وكذلك ذكر ابن الحريرى : فَسُقط الفتى فى يده ، ولم يروأحد عنه : (فسقط الفتى) بالفتح ولا يصح كلام ابن الخشاب إلاّ على (سقط) بالفتح وهو خلاف ما روى عن ابن الحريرى ، ويقال أن ابن الحريرى غلط بذكر الفتى وصوابه : (فسقط فى يده) من غير ذكر (الفتى) أو يقول : (فاذا الفتى ساقط فى يده) ولا يكون فى (سقط) ضمير الفتى لأنه فعل غير متعد ، والجار والمجرور فى موضع رفع به ، فان قال قائل : فلعل هذا من غلط الكاتب على ابن الخشاب لأن مثل هذا لا يخفى عليه أعنى أن القراءة المجمع عليها على ما لم يسم فاعله قيل له : كلامه فى (ضلوا) نص على أنه يعنى (سقط) بالفتح .

قال ابو تراب :

والزم ابن برى فى كتاب الانتصار ابن الخشاب وقال : ليس هو من غلط الكاتب عليه ، لأن كلامه يقتضى انه انما قال (سقط) بفتح السين ، ألا تراه قال وفاعل (سقط) المضمر لا يظهر ، ومعناه الندم ، ثم قال بعد هذا : ويدل عليه دلالة قاطعة ـ اى على الندم مضمر فى سقط قوله تعالى : « ورأوا انهم قد ضلوا » وهو ضمير المذكورين فى أول الآيات إلخ . وقد أثبت ان القراءة (سقط) بالفتح ، فظهر غلطه ، لأنه يرى ان الفاعل لم يظهر فى سقط كما ظهر في (ضلوا) لكن فاعل (سقط) عين فاعل (ضلوا) وهو الندم ، اللهم إلا ان يكون الناقل عنه قد غير الكلام عليه ، وان الذى قاله : ان (سقط) فى يده فعل مبنى على المفعول ، وكان الفعل قبل ان يبنى عليه (سقط) فى يده بالفتح اى (سقط) الندم فى يده ، ثم حذف الفاعل ، واقيم الجار والمجرور مكانه والدليل على صحة ذلك (سقط) فى أيديهم ، فحينئذ يكون الكلام مستقيما والرد صحيحا ، وفى لسان العرب ، سقط فى يد الرجل ، زل وخطأ ، وقيل : ندم قال الزجاج ، يقال للرجل النادم على ما فعل ، الحسر على ما فرط منه : قد سقط فى يده واسقط ، وقال ابو عمرو لا يقال اسقط بالألف على ما لم يسم فاعله .

وفى التنزيل « ولما سقط فى أيديهم » قال الفارسى : ضربوا بأكفهم على اكفهم من الندم ، فان صح ذلك فهو اذا من السقوط ، وقد قرىء (سقط فى أيديهم) كأنه أضمر الندم ، اى سقط الندم فى أيديهم ، كما نقول لمن يحصل على شيء وان كان مما لا يكون فى اليد ، قد حصل فى يده من هذا مكروه فشبه ما يحصل فى القلب وفى النفس بما يحصل فى اليد ويرى بالعين .

وقال الفراء فى قوله تعالى : « ولما سقط فى أيديهم » يقال : سقط فى يده واسقط من الندامة ، وسقط أكثر وأجود ، وخبر فلان خبرا فسقط فى يده واسقط قال ابو منصور ، وانما حسن قولهم ، سقط فى يده بضم السين . غير مسمى فاعله الصفة التى هى فى يده ومثله قول امرىء القيس :

فدع عنك نهبا صيح فى حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل

اى صاح المنهب فى حجراته وكذلك المراد سقط الندم فى يده .

وفى أساس البلاغة سقط فى يده وأسقط وسقط على المبنى للفاعل ندم وهو مسقوط فى يده وساقط فى يده : نادم . وفى تاج العروس ومن المجاز سقط فى يده واسقط فى يده مضمومتين أى زل وأخطأ وقيل ندم كما فى الصحاح . وزاد فى العباب : وتحير ، قال الزجاج : يقال للنادم على ما فعل تحسر على ما فرط منه : قد سقط فى يده واسقط ، وقال ابو عمرو لا يقال : اسقط بالألف على مالم يسم فاعله ، وقال احمد بن يحيى مثله ، وجوزه الأخفش كما فى الصحاح وفى العباب فى قوله تعالى « ولما سقط فى أيديهم » هذا نظم لم يسمع قبل القرآن ، ولا عرفته العرب ، والأصل فيه نزول الشيء من أعلى إلى أسفل ووقوعه على الأرض ، ثم اتسع فيه فقيل للخطأ من الكلام سقط ، لأنهم شبهوه بما لا يحتاج إليه فيسقط ، وذكر اليد لأن الندم يحدث فى القلب وأثره يظهر فى اليد كقوله تعالى « فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها » ولأن اليد هى الجارحة العظمى فربما يسند اليها مالم تباشره كقوله تعالى « ذلك بما قدمت يداك » .

قال ابو تراب : ومما يذكر فى هذه المادة كذيل: سقط المتاع وهو الردىء قال الشاعر :

وما للمـــرء خــير فى حياة إذا ما عــد من سقــط المتاع

والسقيط ما سقط من الندى على الأرض ، قال أبو بكر ابن اللبانة :

بكت عند توديعى فما علـم الركب أذاك سقيـط الطـل أم لؤلـؤ رطب

والسقاط العثرة والزلة ، قال سويد بن ابى كاهل اليشكرى :

كيف يرجــون سقاطــى بعــد ما جلل الــرأس مشيــب وصلع

وسقط الزند بتثليث السين ما يسقط عند القدح قال ذو الرمة :

فلما تمشى السقط فى العـود لم يدع ذوابــل مما يجمعــون ولا خضرا

وسقاط الحديث بان يتحدث الواحد وينصت له الآخرون قال ذو الرمة :

ونلنــا سقاطــا من حديــث كأنه جنــى النحـل ممزوجا بمـاء الوقائع

وسقط النجم والقمر أى غابا قال عمر بن ابى ربيعة :

هلا دسســت رســولا منـك يعلمنى ولم يعجــل الى ان يسقــط القمر

وتسقط الحديث قال جرير :

ولقـد تسقطنـــى الوشـــاة فصادفوا حصرا بسرك يا أميــم ضنينا

* * *

فِعالة وفَعالة وفُعالة

قال أبو تراب :

ومّا لم يفرقوا فيه بين الفتح والكسر لفظ (الدلالة) و (الوكالة) و (الولاية) وأشباهها ، فهى بكسر الأول باعتبارها صيغ الصنائع ، والمصادر تأتى علىَ وزن (كتابة) كما نص عليه ابن الحاجب فى الشافية ، وفتح أولها يخالف هذه القاعدة .

قال الرضى فى شرح الشافية (ج ١ ص ١٥٣) : الغالب فى الحرف وشبهها من أى باب كانت (الفعالة) بالكسر كالصياغة ، والحياكة ، والخياطة ، والتجارة والامارة ، وفتحوا الأول جوازاً فى بعض ذلك كالوكالة والدلالة والولاية .

وفى كتاب الأبنية من أدب الكاتب لأبن قتيبة (ص ٥٦٠) : ممّا فيه لغتان (فعالة وفعالة) الرّطانة والرطانة والوقاية والوقاية ، والوكالة والوكالة ، ودليل بين الدلالة والدلالة ، ومهرت الشيء مهارة ومهارة ، والوصاية والوصاية ، والجراية والجراية ، والبداوة والبداوة ، والحضارة والحضارة ، والولاية والولاية من الموالاة ، والوزارة والوزارة ، والكسر أجود ، والرّضاعة والرضاعة ، والخلالة والخلالة مصدر خليل ، ويقال أيضاً : الخلولة ، وقد نوت الناقة تنوى نواية ونواية إذا سمنت ، والجداية والجداية الرشأ ، والخبازة والخبازة .

قلت : وقال فى تقويم اللسان : ولا يقال : لقاءة بالفتح ، فى (لقيت فلاناً لقاءة واحدة) ويقال أيضاً : لقية واحدة وهى الجنازة بكسر الجيم .

وقال الدكتور مصطفى جواد : قل المساحة والزراعة والصناعة ، ولا تقل لمسَاحة والزّراعة والصّناعة ، وكذلك لأن المساحة حرفة من الحرف أو مهنة من المهن ، فهى تحتاج إلى مزاولة طويلة ومعاناة غير قليلة ، وإذا زاد الفعل زادت

أحرف مصدره ، فطول المصدر يدل على طول المعاناة والمعالجة ، ويكون على وزن فعالة بكسر الأول كالتجارة والبقالة والعمالة والحدادة والزراعة والصناعة والمساحة وإلى هذا الوزن تقلب الحرف وأشباه الحرف كالإمارة والنقابة والوزارة والوكالة ـ أى المحاماة ـ هذا مع وجود النقابة والوزارة والوكالة فى اللغة فاذا أريدت الحرفة والصنعة فهى مكسورة الأول ، وإذا أريد مجرد الأسم فهى مفتوحة الأول ، فكثرة الخَطابة تؤدى إلى الخِطابة ، وكثرة النَّقابة تؤدى إلى النِقابة وكثرة الوكالة تؤدى إلى الوكالة .

قال ابو تراب : وعلى هذا قاسوا (الصِّحافة) وهى مولدة بمعنى مهنة جمع الأخبار والآراء ونشرها فى صحيفة أو مجلة ، وقد أثبتها المعجم الوسيط الذى أخرجه مجمع اللغة بالقاهرة ، فمن يقل (الصَّحافة) فقد رجع بها إلى الأسمية لا الصنعة .

ومن هذا الباب ما جاء على فِعالة وفُعالة بالكسر والضم نحو : بشارة وبشارة وقال الأصمعى : الكسر وحده لاغير ، وروى الكسائى : الزيارة والزّوارة ، ودواية اللبن ودُوَايته ، للجلدة الرقيقة التى تعلوه ، وهى الخِفارة والخفارة ، والفتاحة والفتاحة ، وهى المحاكمة .

ومما جاء على فعالة وفعالة بالفتح والضم : فى صوته رفاعة ورفاعة ، أى علو وعليه طلاوة من الحسن وطلاوة ، وفى ذكر ابن قتيبة فى تقويم اللسان (ص ٣٨٩) : إن فتح طلاوة تحريف ، وذكر أيضاً فى كتاب الأبنية (ص ٥٦١) إن فى طلاوة لغتين فتناقض قوله .

ومما جاء على فعالة وفعولة بالفتح والضم : فسالة وفسولة ، ورذالة ورذولة وفراسة وفروسة ، وكثاثة وكثوثة ، وجلادة وجلودة ووحافة ووحوفة ، وجعادة وجعودة وجثالة وجثولة .

أما وزن فعالة بالضم فكثر فى العربية عقد له ابن سيده فى المخصص بابا والسيوطى فى المزهر ، وفى الأبنية شواذ لا يقاس عليها .

تسعة أغلاط فى بيت شاهد

قال أبو تراب :

أنشد الأمام الجوهرى فى مادة سلع قول الشاعر :

أجاعــل أنــت بيقــوراً مسلعة ذريعــة لك بــين الله والمطر

وقال المجد : ان فى البيت تسعة أغلاط ، ولم يبينها لا هـو ولا شارحـه وتعّرض لها أحمد تيمور فى المختارات وأوهم كأنه هو الذى تتبعها وليس كذلك كما سنبين وإليك بيانها :

(الأول) إدخال الهمزة على غير محل الانكار ، وهو (جاعل) والواجب ادخالها على (مسلعة) لأنها محل الإنكار نحو : « أفغير دين الله يبغون » .

(الثانى) تقديم المسند وهو (جاعل) على المسند إليه وهو (أنت) وهو خلاف الأصل ، فلا يرتكب إلاّ لسبب ، وكان الواجب تقديم (مسلعة) وادخال الهمزة عليها ، وترك التقديم بأن يقال : (أمسلعة أنت جاعل ذريعة) .

(الثالث) ان ترتيب البيت على ماقبله يقتضى أنه قصد الالتفات من المغيبة إلى الخطاب قطعاً ، وأنه بعد أن حكى حالهم الشائعة التفت إلى خطابهم ومواجهتهم بالتوبيخ حتى كأنهم حاضرون يستمعون ، وحينئذ يكون قد أخطأ فى إيراد أحد اللفظين بالجمع والآخر بالأفراد ، ولاشك أن شرط الالتفات الاتحاد وقبل البيت المذكور قوله :

لادَرَّ دَرُّ أنــاس خاب سعيهم يستمطرون لدى الأزمـآت بالعشر

وكانت العرب فى الجاهلية الأولى إذا احتبس عنهم المطر يجمعون البقر ويعقدون فى أذنابها وعراقيبها (السلع والعشر) وهما نباتان ، ويصعدونها فى الجبل الوعر ،

ويشعلون فيها النار ، وكانوا يسمونها (نار الأستمطار) وهى من نيران العرب الاثنتى عشرة الشهيرات ، وكانوا يزعمون أن ما يفعلون من أسباب المطر وذكرها أمية بن أبى الصلت فى شعره فقال :

سنة أزمة تخيل بالنا س ترى للعضاه فيها صريراً
لأعلى كوكب ينوء ولا ريح جنوب ولا ترى صخروراً
ويسوقون باقر السهل للطو د مهازيل خشية أن تبوراً
عاقدين النيران فى ثكن الاذ ناب منها لكى تهيج البحورا
سلع ما ومثله عشر ما عائل ما وعالت البيقورا

أى على السنة المجدية اثقلت البقر بما حملت من السلع والعشر ، قال الجوهرى : وانما كانوا يفعلون ذلك فى السنة الجدبة ، فيعمدون إلى البقر فيعقدون فى أذنابها السلع والعشر ، ثم يضرمون فيها النار وهم يصعدونها فى الجبل . هذا ورجع الكلام إلى تعداد أغلاط البيت الذى كنا بصدده فنقول :

(الرابع) إن الجاعلين الذين حكى عنهم فى البيت الأول هم العرب فى الجاهلية ، فلا وجه لتخصيص واحد منهم بالانكار عليه دون البقية . ولا يقال هذا الوجه داخل فى الذى قبله ، لأنّا نقول هذا وارد بقطع النظر عن كون الكلام التفاتاً أو غير التفات من حيث أنه نسب أمراً إلى جماعة ثم خص واحداً منهم بالانكار من غير التفات إلى الالتفات أصلا .

(الخامس) تنكير المسند ، إذ لا وجه له مع تقدم العهد ، إذ قد علم أن مراده بالجاعل هم الأناس المذكورون فى البيت الأول فكان حق الكلام أن يقال : (أمسلعة أنتم الجاعلون) .

(السادس) البيقور اسم جمع كما فى القاموس واسم الجمع وإن كان يذكر ويؤنث ـ لكن قال الرضى فى بحث العدد ما محصله : ان اسم الجمع إن كان مختصاً بجمع المذكر كالرهط والنفر بمعنى الرجال فيعطى حكم المذكر فى التذكير فيقال : (تسعة رهط) لا (تسع) كما يقال : (تسعة رجال) لا (تسع) وإن

كان مؤنثاً فيعطى حكم جمع الإناث نحو ثلاث مخاض لأنها تقع على الـذكور والإناث فان خصصت على أحد المحتملين فان الاعتبار بذلك النص انتهى ، فقد صرح بأنها إذا استعملت مراداً بها الذكور تعطى حكم الذكور . وقد نص صاحب القاموس وغيره على أنهم كانوا يعلقون السلع على الثيران فبهذا الاعتبار لا يجوز وصف البيقور بالمسلعة .

والوجه (السابع) إيراد (المسلعة) صفة جاريـة على موصـوف مذكر ، والذى يظهر من عبارة صاحب الصحاح : إنها اسم للبقرة المعلق عليها السلع للإستمطار ، لاصفة محضة ، حيث قال : ومنه المسلعة .. إلخ ولم يقل : ومنه البقرة المسلعة . وقال السيوطى فى شرح شواهد المغنى نقلا عن أئمة اللغة : إن السلعة ثيران وحش علق فيها السلع فحينئذ لا يجرى على موصوف ، كما أن لفظ (الركب) اسم لركبان الأبل مشتق من الركوب ، ولم يستعمـل جاريـاً على موصوف فلا يقال : جاءتنى رجال ركب ، بل جاءنى ركب .

(الثامن) إن المنصوص عليه فى كتب اللغة ان الذريعة بمعنى الوسيلة لاغير وأن الوسيلة مستعملة فى التعدية (بالى) فى استعمال الذريعة فيها بدون (إلى) مع لفظ (بين) مخالف لوضعها واستعمالها المنصوص عليه ، وأما (اللام) فى (لك) فانها للاختصاص فلا دخل لها فى التعديـة كما يقـال : أرسلـت هذا الكتاب تحفة لك .

(التاسع) قوله : (بين الله والمطر) لا معنى له ، والصواب (بينك وبين الله لأجل المطر) وذلك لأنهم كانوا يشعلون النار فى السلع والعشر المعلقة على الثيران ليرحمها الله تعالى وينزل المطر .

انتهى محصل ما ذكروه من تلك الأغلاط . قال أحمد تيمور وظاهر إنهـا أو معظمها ليس من الغلط فى شىء .

قال ابو تراب : ذكر السيوطى فى شرح شواهد المغنى أن البيت لامية بن أبى الصلت ، وكذا أورده أبو على القمى فى كتاب الأمثال ، وقال : السلع نبت مرّ كان أهل الجاهلية إذا أسنتوا علقوه مع العشر بثيران الوحش وحدورها من الجبال واشعلوا فى ذلك السلع والعشر ناراً يستمطرون بذلك ، وفى استقائهم فى هذا الفعل قال شاعر العرب ذلك .

قال ابو تراب : وفى شرح الزبيدى أن البيتين لوداك الطائى ، وقيل : كانوا يوقرون ظهورها من حطبها ثم يلقحون النار فيها ، يستمطرون بلهب النار المشبه بسنا البرق ، ثم رأيت العلامة الشيخ عبد القادر بن عمر البغداى قد تكلم على البيت الذى أنشده الجوهرى فى شرح شواهد المغنى ، وقال صاحب القاموس : وفى البيت الذى استشهد به ـ وهو قول وداك الطائى ـ تسعة أغـلاط ، قال الزبيدى : قال شيخنا : هو بيت مشهور استدل به أعلام اللغة والنحو وغيرهم ، ونبهوا على أغلاطه كما فى شروح المغنى ، وشروح شواهده فليست من مخترعات حتى يتبجح بها ، بل هى معروفة مشهورة ، وقد أوردها عبد القادر البغدادى مبسوطة ، وساقها أحسن مساق رحمه الله .

قال ابو تراب : وشرح أبيات مغنى اللبيب الذى صنفه عبد القادر بن عمر البغدادى طبع بدمشق بتحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق وله ثلاث نسخ أحداهما فى ايا صوفيا بالقسطنطينية وثانيتها فى مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة وثالثتها فى دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وهو يشتمل على ستة وأربعين وتسعمئة بيت نحوى مشروح مما استشهد به ابن هشام الانصارى فى المغنى والمراجع التى اعتمد عليها البغدادى فى شرحه هذا هى المصادر المعتمد عليها عنده فى شرح شواهد المغنى للسيوطى وهى أقدم منه إلاّ أنه أسقط منها سبعة وستين بيتاً ، ومال إلى الاختصار ، وتوفى البغدادى سنة ١٠٩٣هـ وأتم تأليفه قبل موته بسنتين واستغرق من الوقت تسعة عشر شهراً ، وهو معروف بسعة الاطلاع وغزارة المادة واستحضار الأمثال والشواهد .

نيران العرب

قال أبو تراب :

ذكرنا من نيران العرب الاثنتى عشرة (نار الاستمطار) فاستدعى الاستطراد استيفاءها فمنها : (نار القرى) وهى نار كانت توقد لاستدلال الاضياف بها على المنزل ، قالوا : وأول من أوقدها بالمزدلفة حتى يراها من دفع من عرفة قصى بن كلاب .

ومنها نار التحالف ، كانوا إذا أرادوا الحلف أوقدوا ناراً وعقدوا حلفهم عندها ، ودعوا بالحرمان والمنع من خيرها على من ينقض العهد ، ويحل العقد .

و (نار الطرد) كانوا يوقدونها خلف من يمضى ولا يشتهون رجوعه .

و (نار الأهبة للحرب) كانوا إذا أرادوا حرباً ، وتوقعوا جيشاً أوقدوا ناراً على جيلهم ليبلغ الخبر فيأتوهم .

و (نار الصيد) وهى نار كانت توقد للظباء لتعشى إذا نظرت ، ويطلب بها أيضاً بيض النعام .

و (نار الأسد) وهى نار كانوا يوقدونها إذا خافوه ، وهو إذا رأى النار استهالها فشغلته عن السابلة ، وقال بعضهم : إذا رأى الأسد النار حدث له فكر يصده عن ارادته ، والضفدع إذا رأى النار تحير وترك النقيق .

ومنها (نار السليم) كانت توقد للملدوغ إذا سهر وللمجروح إذا نزف وللمضروب بالسياط ، ولمن عضه الكلب الكلب ، لئلا يناموا فيشتد بهم الأمر ويؤدى إلى الهلاك .

و (نار الفداء) وذلك أن الأقيال إذا سبوا القبيلة خرجت إليهم السادة للفداء فكرهوا أن يعرضوا النساء نهاراً فيتفضحن وفى الظلمة يخفى قدر ما يحسبون لأنفسهم فيوقدون النار ليعرضن .

و (نار الوسم) قرب بعض العرب اللصوص ابلا للبيع فقيل : ما نارك ؟ وكان أغار عليها من كل وجه ، وانما سألوه عن ذلك لأنهم يعرفون ميسم كل قوم وكرم أبلهم من لؤمها فقال :

تسألنى الباعة أين نارها　　إذ زعزعتها فسمت أبصارها

كل نجار أبل نجارها　　وكل نار العالمين نارها

ومنها (نار الحرتين) كانت فى بلاد عبس فاذا كان الليل فهى نار تسطع وفى النهار دخان يرتفع ، وربما بدر منها عنق فأحرق من مرّ بها فحفر لها خالد بن سنان فدفنها ، فكانت معجزة . ولخالد هذا مسألة فى النبوة فى الاصابة لابن حجر

و (نار السعالى) وهى شىء كان يراه المتغرب والمتقفر قال أبو المضراب عبيد بن أيوب :

ولله در الغول أى رفيقه　　لصاحب دو خائف متقفر

أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت　　حوالى نيرانا تبوخ وتزهر

وأما (نار الحباحب) فكل نار لا أصل لها مثل ما يقتدح من نعال الدواب وغيرها .

وأما (نار اليراعة) فهى طائر صغير إذا طار فى الليل حسبته شهاباً ، وضرب من الفراش إذا طال فى الليل حسبته شراراً ، وأول من أورى نارها حباحب بن كلب القضاعى فقالوا نار أبى حباحب ، وكان بخيلا لا توقد له نار بليل مخافة أن يقتبس منها ، فان أوقدها ثم أبصرها مستضىء أطفأها فضربت العرب به المثل فى البخل والخلف فقالوا : أخلف من نار أبى حباحب ، وقيل : كان لا ينتفع بماله لبخله ، فنسب إليه كل نار لاينتفع بها فقيل لما تقدحه حوافر الخيل على الصفا نار الحباحب .

و (نار الغدر) كانوا إذا غدر الرجل بجاره أوقدوا له ناراً بمنى أيام الحج ثم صاحوا هذه غدرة فلان ، وكانت لهم نار باليمن لها سدنة فاذا تفاقم الأمر بين القوم فحلف بها انقطع النزاع وكان اسمها (الهولة والمهولة) وكان سادنها إذا أتى الرجل هَيَّبه من الحلف بها ، ولها قيم يطرح فيها الملح والكبريت فاذا وقع فيها استشاطت وتنغضت ، فيقول : هذه النار قد تهددتك ، فان كان مريباً نكل وإن كان بريئاً حلف ، قال أوس :

إذا استقبلتـه الشـمس صد بوجهه　　كما صد عن نار المهولـة حالف

وقال الكميت :

همـو خوفونـا بالعمـى هوة الردى　　كما شب نار الحالفـين المهول

وكانوا فى نار الأهبة إذا جدوا وأعجلوا أوقدوا نارين ، قال الفرزدق :

ضربـوا الصنائـع والملـوك وأوقدوا　　نار يـن أشرفتـا على النيران

* * *

غُصَّ به

قال أبو تراب :

يقول أكثر الناس (غُص المكان بالزوار أو يُغص المكان بهم) وهذا غلط ، والصواب غَص المكان بهم ، ويغص بهم غصصاً .

لأن (غص) من الأفعال اللازمة التى تحتاج إلى فاعل ولا تحتاج إلى مفعول به ولذلك يمتنع بناؤها للمجهول إلا مع الظرف أو الجار والمجرور والمصدر ، وهو من التعابير النادرة .

وهذا الفعل من باب (فرح) على اللغة المشهورة الفصيحة ، قال الجوهرى فى الصحاح : الغصص مصدر قولك : غصصت يا رجل ، تغص فانت غاص بالطعام ، وغصان . والنزل غاص بالقوم أى ممتلىء بهم . وفى مختار الصحاح الغصص بفتحتين مصدر قولك : غصصت بالطعام ، أغص غصصاً ، فأنا غاص به وغصان . والنزل غاص بالقوم ممتلىء بهم .

وفى هذا لغة أخرى غير فصيحة وهى (غص يغص) بكسر الغين . قال فى لسان العرب :

والغصص مصدر قولك غصصت يا رجل ، تغص فأنت غاص بالطعام وغصان وغصصت وغصصت ـ بفتح الصاد وكسرها ـ أغص وأغص بها ـ بفتح الغين وضمها ـ غصاً وغصصاً . شجيت ، وخص بعضهم به الماء يقال : غصصت بالماء ، أغص غصصاً إذا شرقت به أو وقف فى حلقك فلم تكد تسيغه . قال أبوعبيد . غصصت لغة الرباب ، يعنى أنها لغة قبيلة واحدة ـ وهى بفتح الصاد ـ ويؤيد اختصاصه بالشراب قول الشاعر :

وساغ لى الشراب وكنت قبلا أكاد أغص بالماء الفرات

ومن أسرار العربية أنه جاء على وزن فعل - بكسر العين - يفعل - بفتحها - لأنه من أفعال التغيير الظاهر نحو : عطش يعطش فهو عطش وعطشان ووسن يوسن فهو وسن ووسنان . قال الليث : والغصة شجا يغص به فى الحرقدة قلت : الحرقدة عقدة الحنجور ، والحرقوة أعلى اللهاة من الحلق ، ويقال : غصصت باللقمة كما يقال : غصصت بالماء ، كلاهما مسموع والجمع الغصص .

وفى غريب الحديث لابن الأثير فى قوله تعالى « لبنا خالصا سائغا للشاربين » .

قيل : انه من بين المشروبات لايغص به شاربه ، يقال : غصصت بالماء غصصا فأنا غاص وغصان اذا شرقت به أو وقف فى حلقك فلم تكد تسيغه ورجل غصان غاص قال عدى بن زيد :

لو بغير الماء حلقى شرق
كنت كالغصان بالماء اعتصارى

ويقال : أغصصته انا ، والغصة ما غصصت به ، ومنه غصص الموت ، وغص المكان بأهله ضاق ، والمنزل غاص أى ممتلىء بهم ، وأغص فلان الأرض أى ضيقها فغصت بنا ، أى ضاقت ، قال الطرماح :

أغصت عليك الأرض قحطان بالقنا
وبالهندوانيات والقرح الجرد

قلت :القنا جمع قناة وهى الرمح ويقال قنوات وقنى وقنيات والهندوانيات السيوف وقد تكسر الهاء ، وهى نسبة شاذة على غير قياس الى الهند والقرح هى الأفراس فى جبهتها بياض بقدر الدرهم أو دونه ، وفى الحديث « خير الخيل الأقرح الحجل » ومن قولهم صبح أقرح لأنه ذو بياض وسواد وكذلك قولهم (تفرى الليل عن وجه أقرح) أى عن الصباح والجرد نعت للخيل محمود .

وهو قصر شعر الجلد فى الفرس . قال أبوالمناصف :

والفــرس القصــير شعــر الجلد
بــرقــة أجــرد نجــل جــرد

وفى أساس البلاغة من قولهم : المسجد غاص بأهله ومغتص وفلان أغص الأرض علينا فغصت بنا ، وأغصه بريقه أى أضجره .

قال الأخطل :

ولقــد أغص أخــا الشقــاق بريقه
فيصــد وهــو فى الحفــاظ سؤوم

قال ابن فارس : الغين والصاد ليس فيه الا الغصص بالطعام ويقال : رجل غصان وانشد بيت عدى بن زيد العبادى الذى ذكرناه من قبل .

قلت : أما بيت الأخطل الآنف الذكر فهو من قصيدة مطلعها :

صرمــت جبــالك زينــب ورؤوم
وبــدا المجمجــم منهمــا المكتــوم

قال صاحب الأغانى انها فى مدح الحجاج ، والصواب ماقال البغدادى فى الخزانة أنها فى رجل إسمه جميع ، ولعل ابا الفرج توهم قصيدته :

صرمــت جبــالك زينــب وقــذور
فتلك هى التــى مدح بهــا الحجاج

* * *

الشئ الآنف الذكر

قال ابوتراب :

ومن الأخطاء الشائعة قولهم : (الشيء الآنف الذكر) والصواب ان يقال : الشيء الذى ذكرته آنفا أو سالفا ، جاء فى مختار الصحاح : وقـال كذا آنفـا وسالفا ، وهو اسلوب القرآن الكريم قال تعالى « ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا » فالصواب المذكور آنفا ، والمذكور سلفا ، وهو أدل على المعنى اذا أريد زمن مضى الشيء .

قال الراغب الاصبهانى فى مفردات القرآن (ص ٣٨) : واستأنف الشيء أخذت آنفه أى مبدأه ، ومنه قوله عز وجل : « ماذا قال آنفا » أى مبتدأ .

وجاء فى كليلة ودمنة (ص٩٢) وعجزت رأيى فى سيرتى مما تكلمت به آنفا .

وذكر ابوالفرج فى الأغانى (ج ٣ ص ٣٦٧) فى ذكر زيد بن عمرو بن عثمان زوج سكينة بنت الحسين انه قال لاشعب غننى ويحك غير هذا ، فان اصبت مافى نفسى فلك حلتى هذه وقد اشتريتها آنفا بثلاث مئة دينار .

وقال ابن فارس فى مقاييس اللغة : الهمزة والنون والفاء اصلان منهما تتفرع مسائل الباب كلها ، أحدهما أخذ الشيء من أوله ، والثانى انف كل ذى انف وقياسه التحديد ، فأما الأصل الأول فقال الخليل : استأنفت كذا اى رجعت الى اوله ، وائتنفت ائتنافا ، ومؤتنف الأمر مايبتدأ فيه ، ومن هذا الباب قولهم فعل كذا آنفا كأنه ابتدأه .

قال ابو تراب : فى الحديث انزلت على سورة آنفا ، اى الآن ، وقد تكررت هذه اللفظة فى الأحاديث .

وفي الحديث ايضا : لكل شيء انفة ، وانفة الصلاة التكبيرة الأولى ، قال ابن الأثير في غريب الحديث : آنفة الشيء ابتداؤه ، هكذا روى بعضهم بضم الهمزة ، وقال الهروى : الصحيح بالفتح .

وفي حديث ابن عمر : انما الأمر آنف اى مستأنف استئنافا من غير ان يكون سبق به سابق قضاء وتقدير ، وانما هو على اختيارك ودخولك فيه .

قال الأزهرى : استأنفت الشيء اذا ابتدأته ، وفعلت الشيء آنفا اى فى اول وقت يقرب منى ، قلت : ومن هذا المعنى قولهم من المجاز : فلان انف قومه ، وهم انف الناس قال الحطيئة : (قوم هم الأنف والأذناب غيرهمو) .

وأنف الجبل وأنف اللحية ، وهذا أنف عمله ، وسار فى أنف النهار ، وكان ذلك على أنف الدهر ، وخرجت فى أنف الخيل ، كل ذلك بمعنى المقدمة والابتداء .

قال فى أساس البلاغة ، أتيته آنفا ، ومضيت انفة الشباب وهو يتأنف الاخوان اى يطلبهم آنفين لم يعاشروا احدا ، ويقال : استأنف الشيء وائتنفه .

وقال فى اللسان : أضاع مطلب أنفه ، اى الرحم التى خرج منها ، وأنشد ثعلب :

واذا الكريم أضاع موضع أنفه
أو عرضه لكريهة لم يغضب

وأنف كل شيء طرفه وأوله ، وانشد ابن برى للحطيئة :

ويحرم سر جارتهم عليهم
ويأكل جارهم انف القصاع

قال ابن سيدة : ويكون فى الأزمنة ، واستعمله ابوخراش فى اللحية سمى مقدمها آنفا فقال :

تخاصم قوما لاتلقى جوابهم
وقد أخذت من أنف لحيتك اليد

وأنف الناب طرفه حين يطلع ، وأنف البرد اوله واشده ، وانف المطر اول ما أنبت .

قال امرؤ القيس : (قد عدا يحملنى فى أنفه) وهذا أنف عمل فلان اى اول ماأخذ فيه واستأنف الشيء وائتنفه اخذ أوله وابتدأه وقيل : استقبله ، وانا آتنفه ائتنافا ، وهو من باب الافتعال ، واستأنفه بوعد ابتدأه به من غير أن يسأله اياه انشد ثعلب :

وأنـت المنـى لو كنـت تستأنفيننا بوعـد ولـكن معتفـاك جديب

والمؤتنفة من النساء التى استؤنفت بالنكاح .

وحكى الأزهرى عن ابى تراب اللغوى المتوفى سنة **٢٤٥**هـ وجاءوا أنفا أى قبيلا ، وقال الليث أتيت فلانا آنفا كما تقول من ذى قبل وفعله بأنفة وآنفا ، اما قوله تعالى : (ماذا قال آنفا) فقال الزجاج معناه ماذا قال الساعة فى أول وقت يقرب منا وقال ابن الاعرابى : اى مذ ساعة وقد نزلـت فى المنافقـين كانـوا يستمعون لخطبة الرسول فاذا خرجوا سألوا استهزاء واعلاما بأنهم لم يلتفتوا الى ما قال .

❋ ❋ ❋

الهام والمهم

قال أبوتراب :

يقولون : أمر هام ، ولايهمنا هذا ـ بفتح ياء المضارع ـ وقد همه الأمر وكل ذلك خطأ والصواب : أمر مهم ، وقد أهمه الأمر ولايهمنا ـ بضم ياء المضارع .

قال الراغب الاصبهانى فى مفردات القرآن : وأهمنى كذا اى حملنى على أن أهم به قال تعالى :« وطائفة قد أهمتهم أنفسهم » فالأنفس مهمة إذن لا هامة فالشيء المهم هو الذى يبعث الهمة فى الانسان ويجعله يهم ، ويقلقه احيانا ونقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية فقيل له : المهم ، وجمع على المهام تكسيرا وعلى المهمات تصحيحا وهو (بالبداية) اسم فاعل من أهمه يهمه اهماما .

والهام هو المحزن ، وهو من همه اى احزنه حزنا يذيب الجسم ولامحل له فى تلك الجملة ، ذكره مصطفى جواد فى كتابه متأيدا بكلام الراغب وقال ابن السكيت وهو الدليل الخريت فى اللغة العربية فى كتابه اصلاح المنطق .

ويقال : قد أهمنى الأمر اذا اقلقك واحزنك ، ويقال : قد همنى المرض ، اى اذابنى ، ويقال : همك ماأهمك .

وجاء فى لسان العرب : ويقال : همك ماأهمك ، جعل (ما) نفيا فى قوله : (ما أهمك) اى لم يهمك همك ، ويقال معنى (ما أهمك) اى ماأحزنك او ما أقلقك او ما أذابك ، يريد ان (ما) فى الوجه الثانى تكون اسما موصولا قال : ومرادنا من ايراد هذه الجملة المبهمة هو فعلها الرباعى : (أهمك يهمك اهماما) فهو المستعمل عند العرب فى مثل هذا المعنى .

وجاء فى لسان العرب مايلبس المعنى على القارىء غير الفطن قال : (الهم الحزن ، وجمعه هموم ، وهمه الأمر هما ومهمة ، واهمه فاهتم ، واهتم به) أراد بقوله : همه الأمر احزنه لأنه بدأ المادة بتفسير الهم مع ان قولنا : اهمنى الأمر يهمنى يعنى جعلنى اهم به بدلالة مانقل صاحب اللسان بعد ذلك قال : (وفى حديث سطيح : (شمر فانك مافى الهم شمير) اى اذا عزمت على شىء امضيته ، والهم ماهم به الانسان فى نفسه ، تقول : أهمنى هذا الأمر) .

قال مصطفى جواد : ولو صحت دعوى ان (همه الأمر) بمعنى اهمه الأمر ـ الذى اشتق منه (المهم) وجمعه المهام والمهمات ـ لسمت العرب (المهم) باسم (الهام) ولجمعته فى هوام وهامات ، ولكن هذا لم يكن ، ولم يصر اليه قط ، فالهام لم يرد فى اللغة ، بمعنى المهم ، ثم ان (هم) بهذا المعنى لو كان فصيحا لاستعمله الفصحاء فى كلامهم وخطبهم ورسائلهم ، ولورد فى القرآن الكريم .. فالوارد فيه هو الرباعى ، قال تعالى فى سورة آل عمران : « وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شىء » .

نضيف الى ذلك ان (هم) لو صح بمعنى (أهم) فى المعناة المشار اليها لفضله الفصحاء على الرباعى ، لأن قاعدة الفصاحة العامة فى ذلك تفضيل الثلاثى على الرباعى اذا كانا بمعنى واحد ، الا اذا نبه على العكس بالنص والتصريح فنعته افصح من انعته ، ورجعه افصح من ارجعه ، ووقفه افصح من اوقفه ونقصه افصح من انقصه ، وعاقه افصح من اعاقه ، ونتجه افصح من انتجه ، وغاض الماء يغيضه افصح من اغاض الماء .

أما الشواهد على رجحان (أهمه يهمه فهو مهم ، على قولهم : (همه يهمه فهو هام) بعد شاهد القرآن الكريم فكثيرة ، كقول ابن المقفع فى كليلة ودمنة : ويرتاح اليه فى جميع ماأهمه ، وقوله : (فأهمه ذلك) وقال ماكان للأسد ان يغدر بى) وجاء فى نهج البلاغة : (ماأهمنى أمر أمهلت بعده حتى اصلى ركعتين

وأسأل الله العافية) وقال ابوزينب بن عوف يخاطب عمار بن ياسر : (ماأحب ان لى شاهدين من هذه الأمة شهدا لى عما سألت من هذا الأمر الذى اهمنى مكانكما) ذكر ذلك نصر بن مزاحم فى أخبار صفين ، وقال البراص على رواية الفصحاء :

وداهيــة تهــم النــاس قبلى | شددت لهــا بنــى بكر ضلوعى
هددت بهــا بيــوت بنــى كلاب | وارضعــت الموالى بالضروع

* * *

وزع بينهم وفيهم

قال أبوتراب :

ويجب ان يقال فلان وزع بينهم الجوائز ووزعها فيهم اذا اعطاهم اياها متفرقة ، وهم يخطئون اذ يقولون : وزع عليهم الجوائز ، وهذا مما ذكره ايضا مصطفى جواد فى كتابه ، وذلك لأن وزع بمعنى فض وفرق وقسم فاذا استعملنا حرف الجر « على » معه وهى للأذى والتسلط ، والتكليف والاستعلاء كان معنى وزع عليهم جعل عليهم ضريبة واتاوة وتكليفا كما فى كتاب (قل ولاتقل) ومن المعلوم ان الجائزة ليست ضريبة ، اى انها يعطيها المجيز غيره مستحقيها ولا يأخذها يضاف الى ذلك ان مراد القائل : وزع عليهم الجوائز هو انه اعطاهموها لا أخذها منهم ولا ضربها عليهم ، ثم ان المسموع من فصحاء العرب والمذكور فى كتب اللغة هو ان يقال وزع الأشياء بينهم وفيهم ، اذا اريد انه فرقها فيهم واعطاهم اياها مفضوضة ، جاء فى لسان العرب : التوزيع القسمة والتفريق ووزع الشىء قسمه وفرقه ، يقال وزعنا الجزور فيما بيننا وفى الحديث انه عليه السلام حلق شعره فى الحج ووزعه بين الناس ، اى فرقه وقسمه بينهم ، وزع يوزعه توزيعا . وقد نقل ابن منظور من اقوال العرب « وزعه بينهم » و« وزعه فيما بينهم » لأن المراد الاعطاء .

وقال جار الله العلامة محمود الزمخشرى فى اساس البلاغة وزع المال والخراج توزيعا قسمه ، وقال ايضا خيف المال بينهم وزع . اما شاهد وزعه فيهم بمعنى اعطاهم اياه مفرقا فما رواه الواقدى فى مغازيه قال : قال خفاف بن ايماء بن رحضة : كان أبى ليس شىء أحب اليه من اصلاح بين الناس وكان موكلا بذلك فلما مرت به قريش ارسلنى بجزائر عشر ـ جمع جزور ـ هدية لها فأقبلت اسوقها

وتبعني ابى فدفعها الى قريش فقبلوها ووزعوها فى القبائل . قال : وزعوها فى القبائل لاعليها واذا قال القائل : وزع فلان عليهم مالا فمعنى ذلك وضعه عليهم ضريبة او عقوبة او اتاوة أو خراجا وأوجب عليهم دفعه اليه وذلك كما يقال وظف عليهم وظيفة وضرب عليهم مالا وأوجب عليهم مالا وشاهده ماورد فى مغازى الواقدى ايضا قال قال خفاف بن ايماء : مرابى على عتبة بن ربيعة وهو سيد الناس يومئذ فقال له : ياأبا الوليد ماهذا المسير ؟ قال : لا أدرى والله غلبت قال ابى فأنت سيد العشيرة فما يمنعك ان ترجع بالناس وتحمل دم حليفك ؟ وتحمل العير التى اصابوا بنخلة فتوزعها على قومك ، فوالله لايطلبون قبل محمد الا هذا قال : انه قال : فتوزعها على قومك اى يؤدوها الى مستحقيها مفرقة عليهم .

قلت خفاف بن ايماء جده رحضة وقد جاء فى بعض النسخ رخصة وهو غلط وكان خفاف امام بنى غفار وخطيبهم له خمسة احاديث فى السنن منها حديث دعائه عليه السلام على رعل وذكوان ولحيان وهى قبائل كان منها عداء للاسلام .

واما التوزيع فهو كما ذكرنا يعنى التقسيم والتفريق ومنه قولهم : لها اوزاع من الناس واوشاب اى ضروب متفرقة وتقول « ذهبت نفسه شعاعا ولحمه اوزاعا » قال يزيد بن الحكم الثقفى :

فرددت عادية الكتيبة عن فتى ... قد كاد يترك لحمه اوزاعا

ويقال ماهم الا اوزاع من الصرم - جمع صرمة - وهى القطعة من الابل قال :

فاستدبروا كل ضحضاح مدفئة ... والمحضات وأوزاعا من الصرم

استدبروا اى استاقوا ، والضحضاح هنا الابل الكثيرة ومن المجاز قولهم توزعه الأفكار وهو متوزع القلب وهذا كقولهم فلان شتيت الذهن ومن هذه المادة قوله :

اذا لم ازع نفسى عن الجهل والصبا ... لينفعها علمى فقد ضرها جهلى

عضوة وعضو

قال ابوتراب :

فى « الغلط والفصيح » : من غريب ماسمعناه انهم قالوا : (هى عضوة فى لجنة كذا . الخ) ويجمعونها عضوات .. وتلك جرأة على اللغة ، وعدوان على الفصاحة ، والعضو مذكر مفرد على الاطلاق جمعه اعضاء فلا تقول عن العين مثلا او الرئة هى عضوة من الجسم ، وانما هى عضو فقط ، حيثما كانت وكيفما وقعت فعلى الكتاب ان يقول : (هى عضو فى لجنة كذا) لا عضوة قلت : وقد أجاز ذلك مصطفى جواد فى كتابه قال : فلانة عضوة ولاتقل عضو ، والسبب فى ذلك ، ان العضو نقل من الاسمية الى الوصفية كما قيل فى الشلو وهو العضو : شلوة وفى الثبج وهو الوسط ثبجة . قال النبى ﷺ لابى بن كعب وقد اعطاه الطفيل بن عمرو الدوسى قوسا جزاء على اقرائه القرآن : تقلدها شلوة من جهنم ، قال الشريف الرضى فى كتاب المجازات النبوية : وانما قال شلوة ولم يقل شلوا لأنه حمل على معنى القوس وهى مؤنثة والشلو العضو .

وجاء فى كتاب النبى ﷺ لوائل بن حجر الحضرمى : « وانطوا الثبجة » قال ابن الاثير فى النهاية : اى اعطوا الوسط فى الصدقة ، لا من خيار المال ، ولا من رذالته والحقها هاء التأنيث لانتقالها من الاسمية الى الوصفية ثم ان العرب يتساهلون فى التأنيث ، قال الجوهرى فى (الصحاح) الكوكب النجم يقال : كوكب وكوكبة ، كما قالوا : بياض وبياضة ، وعجوز وعجوزة ، ثم ذكر انهم قالوا : منزل ومنزلة . وعلى هذا يقال للممثلة البارعة اى الحاكية الماهرة : كوكبة لا كوكب ..

قال ابو تراب : واطلاق العضو على فرد من جماعة اصطلاح جديد ليس له متمسك بالاستعمال العربى القديم ، فلو أبدل به العضد لكان خيرا فيقال فلان عضد فى الجماعة وهؤلاء اعضاد بدل عضو وأعضاء لان العضو عظم وافر بلحمه ونحو ذلك واما العضد فهو المعين الذى لا يفارق وهى كلمة قرآنية قال الله تعالى : ((وماكنت متخذ المضلين عضدا)) وقال : ((سنشد عضدك بأخيك)) ويقال : هو عضدى وهم اعضادى ومن محاورات العرب : (وهنت اعضاد بيته) (وارفع أعضاد الدبرة) وهى جدرها التى تمسك بالماء (وحوض مثلم الاعضاد) وهى نواحيه ، (وفلان عضادة فلان) اذا كان لا يفارقه ، ويقول الرجل لصاحبه : (كفانى بكما عضادتين) اى معينين وهى مجازات من قولهم : (فلان معضود من الله وتوفيقه) وهم اذ يقولون : (فلان عضو فى المجمع) يعنون به المعين العامل فالعضد له أليق تسمية وصفية واطبق على معناهم ومرادهم اما قوله عليه السلام : ((المسلمون كجسد واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)) فذاك مثال وحدة الكيان ومرادنا بيان عمل الاركان ، ومن فهم الفرق بينهما رشد . اما دعوى عدم ورود عضوة فى اللغة فاذا اريد بها عدم الاستعمال فهى دعوى صحيحة وقياسها على شلوة غير سائغ عند من يتقيد بالمسموع وان انتقلت من الاسمية الوضعية لكونه محدثا ، واذا اريد بها نفى صيغتها فهى مردودة عندى لانه ورد لفظها بمعنى القطعة والفرقة وهى العضوة فى الاصل ويقال عضو وعضوة ـ بالكسر وبالضم ـ وبعضها يجعل اصلها : عضهة فهى اما ناقصة الواو واما ناقصة الهاء وفى القرآن المجيد : ((جعلوا القرآن عضين)) واحدتها عضة وهى من الاسماء الناقصة قالوا : اصلها عضوة فنقصت الواو كما قالوا : عزة واصلها عزوة ، وثبة واصلها ثبوة من ثبيت الشىء اذا جمعته .

وفى حديث ابن عباس فى تفسير ((جعلوا القرآن عضين)) اى جزأوه اجزاء وقال الليث اى جعلوه عضة عضة فتفرقوا فيه اى آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه

وكل قطعة عضة وقال ابن الاعرابى : معناه فرقوا فيه القول فقالوا شعر وسحر وكهانة وقال المشركون : اساطير الاولين فقسموه هذه الاقسام وعضوه اعضاء .

وقيل : ان اهل الكتاب آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما فعل المشركون ، اى فرقوه كما تعضى الشاة ، وتعضيتها تفريق لحمها ، كما فى حديث جابر فى التبكير بصلاة العصر بحيث لو ان رجلا نحر جزورا بعدها وعضاها اى فرقها وفصل اعضاءها لوجد الشمس بعدئذ لم تغرب .

* * *

اعتذر منه وعنه

قال ابو تراب :

وفى كتاب قل ولا تقل قل : اعتذر من التقصير ، لانه يقال فى الفصيح اعتذر من التقصير والذنب لا اعتذر عنهما . جاء فى مختار الصحاح اعتذر من الذنب وجاء فى لسان العرب : اعتذر من ذنبه تنصل ، ثم جاء فى الاعتذار بمعنى الدروس واخذ الاعتذار من الذنب من هذا لان من اعتذر شاب اعتذاره بكذب يعفى ذنبه . وجاء فى وصف عبد الملك بن مروان على لسان عمرو بن العاص : آخذ بثلاث تارك لثلاث آخذ بقلوب الرجال اذا حدث وبحسن الاستماع اذا حدث وبأيسر الامرين عليه اذا خولف تارك للمراء لمقاربة اللئيم وتارك لما يعتذر منه .

وفى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد (ج ٤ ص ٥٢) فى كتاب لعلى بن ابى طالب بعث به الى قثم بن العباس : فاقم على ما فى يديك قيام الحازم الطبيب والناصح اللبيب التابع لسلطانه المطيع لامامه واياك وما يعتذر منه . وفى الاغانى (ج ١ ص ٣٢٣) وامالى المرتضى (ج ٢ ص ٢٢) .

قال ابن ابى عتيق للثريا : وهذا عمر قد جشمنى السفر من المدينة اليك فجئتك معترفا بذنب لم يجنه معتذر اليك من اساءته اليك . وفى الاغانى (ج ٤ ص ٢١٨) .

غنى الدلال ابو زيد ناقد المدنى مولى عائشة بنت سعيد بن العاص :

طربت وهاجك من تذكر ومن لست من حبه تعتذر

قلت : اذكره وادكره واذدكره بمعنى ذكره وادكر بعد امة اى نسيان وفى القرآن ((فهل من مدكر)) وهو من باب الافتعال من الذكر فلما اجتمعت الذال والتاء ابدلت التاء دالا ثم لما اجتمعت الذال والدال ابدلت الذال دالا ، فاجتمعت دالان فادغمت احداهما فى الاخرى فصار ادكر واصله اذتكر على وزن افتعل .

ونعود الى ما كنا بصدده فنقول : جاء فى انساب الاشراف للبلاذرى (ج ٢ ص ٧٦) : وقال ابن عرادة السعدى فى مدح سلم بن زياد بن ابيه .

يقولون اعتذر من حب سلم   اذن لا يقبل الله اعتذارى

وفيه ايضا (ج ١ ص ١٣٢) مدح الراعى مدح الراعى عبيد بن الحصين سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص قال المفضل الضبى قال لوكيله كم عندك ؟ قال ثلاثة آلاف دينار قال : ادفعها اليه واعتذر من قلتها ، وجاء فى كليلة ودمنة (ص ٣٧٧) فدعا الاسد بابن آوى واعتذر اليه مما كان منه . وفى مجالس العلماء للزجاجى (ص ٢١٥) وقال عبد الله بن محمد بن البواب خليفة الفضل بن الربيع فى حجبة الهادى بن المهدى فى امر وقع له مع الاسود بن عمارة النوفلى : فدنوت منه واخبرته خبر الهادى واعتذرت من مراجعتى اياه .

وفى تاريخ الوزراء لابن الصابى (ص ٢٤٠) . وقال ابو على الحسن بن حمدون . وكتب يوسف بن ديوداز الى الوزير ابى الحسن على بن الفرات يعرفه الخبر ويعتذر اليه من تأخيره المال الذى واقفه عليه . وفى الاغانى (ج ٣ ص ٣٨٣) :

وقال بشار بن برد :

قلت اذ شارع ما اعتذارك مما   ليس لى فيه عندهم عذر

وفى اعتاب الكتاب لابن الابار (ص ٧٥) وكتاب الوزراء والكتاب (ص ١٦٩) قال ابن عبدوس الجهشيارى : حكى لنا ان موسى الهادى سخط على بعض كتابه فجعل يقرعه بذنوبه ويتهدده فقال له يا أمير المؤمنين ان اعتذارى مما تقرعنى به رد عليك .

وفى كتاب عصر المأمون (٣٤٢) قال بعض الفضلاء فى خبر له (وجعلت اعتذر اليه منه بعذر) .

وقد تصحفت كلمة (من) الى (عن) فى المصباح المنير للفيومى مع ان مصحح الطبعة هو الشيخ حمزة فتح الله الاديب الكبير المشهور وعزاه الدكتور مصطفى جواد الى التصحيف والشواهد واصول اللغة تؤيد ما ذهب اليه .

وانما تستعمل (عن) مع اعتذر ومصدره لافادة معنى النيابة وفى ن س ل من لسان العرب : ذكره ابو منصور واعتذر عنه انه اغفله فى بابه فاثبته فى هذا المكان وعلى هذا قلنا يقال اعتذر زيد عن عمر من الذنب الذى جناه أو من تقصير - وفى الحماسة لابى عبادة البحترى باب معقود فى الاعتذار من الجزع فانظر كيف الفرق بين عن ومن ولكل موضع .

ومنه ماورد فى مستدرك المعجمات لدوزى (ج ٢ ص ١٠٧) .

الا اعتذرت لهم عنى ، لانه لم يرد لقاءهم ، هذا والنصوص السالفة الذكر تغنى عن التعليق المسهب . وبالله التوفيق .

* * *

عالة على غيره

قال ابو تراب :

ومن الاخطاء اللغوية الشائعة قولهم : (فلان عالة على غيره) والصواب ان يقال : فلان عائل على غيره ، لان عالة جمع عائل فكيف يوصف به الفرد ومثاله قادة وذادة وساقة ، وهى جموع مفاريدها قائد وذائد وسائق . والعائل بمعنى المفتقر الذى يعيش بكسب غيره ، وجمعه العالة ، قال مرداس :

وكنا يدا حتى سعى الدهر بيننا — فصرفنا والدهر فيه الدوائر
يفرق ألافا ويترك عالة — اناسا لهم وفر من المال دائر

وفى الصحيحين عن سعد بن ابى وقاص انه استأذن رسول الله صلى الله على وسلم فى ان يتصدق بجميع ماله ؟ فقال عليه السلام : انك ان تدع عيالك اغنياء خير من ان تتركهم عالة يتكففون الناس .

وقال السيوطى فى (الدر النثير) العالة الفقراء ، جمع عائل . وقال الزمخشرى فى الفائق العالة جمع عائل وهو الفقير ولا يقال ، فلان عالة بل عائل ، قال الله تعالى : ((ووجدك عائلا فاغنى)) والجمع عالة .

والحديث الذى ذكرناه اقتبسه الجاحظ فى كتاب البخلاء وهو مشهور ، وقال الزمخشرى فى الاساس تقول هذا يتيم عائل ليس له عائل ، اى فقير ليس له من يمونه ، وتقول فلان فى بكاء وعولة من شقاء وعيلة ، وعيل الرجل فرسه بالفلاة قال حجل الباهلى :

نسقى قلائصنا بماء آجن — واذا يقوم به الحمير تعيل

وفى النهاية لابن الاثير فى شرح قوله صلى الله عليه وسلم (ان الله يبغض العائل المختال) العائل الفقير ، وقد عال يعيل عيلة ، اذا افتقر ومنه الحديث ما عال مقتصد ولا يعيل .

وفى حديث الايمان : وترى العالة رؤوس الناس .

قلت :والعالة فى كل هذه الشواهد جمع لا يصح استعماله للمفرد والمفرد عائل ، وعيل ـ على وزن قيم بتشديد الياء المكسورة وهو مأخوذ من عال يعيل يقال فى هذا الدعاء على الانسان . (ماله مال وعال) فمال اى عدل عن الحق وعال اى افتقر وقيل : هما بمعنى واحد ، ورجل عائل من قوم عالة وعيل قال :

فتركن نهدا عيلا ابناؤهم　　　وبنو كنانة كاللصوت المرد

اللصوت اللصوص على الابدال ـ والاسم العيلة والعالة بمعنى الفاقة وفى التنزيل (وان خفتم عيلة) وقال احيحة :

وما يدرى الفقير متى غناه　　　وما يدرى الغنى متى يعيل
وما تدرى اذا ازمعت امرا　　　باى الارض يدركك المقيل

وعائل وعالة مثل حائك وحاكة وعيال الرجل وعيله الذين يعولهم ويتكفل بهم وقد يكون العيل واحدا ، وقد يكون جمعا ، قال :

سلام على يحيى ولا يرج عنده　　　ولاء وان ازرى بعيله الفقر

وعيل عياله أهملهم قال : (لقد عيل الايتام طعنة ناشرة) واعال الاسد اذا التمس شيئا والجميع عياييل على غير قياس قال :

(فيها عياييل اسود ونمر) ، والعيال المتبختر قال اوس فى صفة فرس :

ليث عليه من البردى هبرية　　　كالمرزبانى عيال بأوصال

وجمعه عياييل قال حكيم بن معية الربعى من تميم يصف قناة نبتت فى موضع محفوف بالجبال والشجر

حفت بأطواد جبال وحُظُرْ　　　فى اشب الغيطان ملتف السمر

فيه عيابيل اسـود ونُـمُـرْ

عال الميزان اى جار وقيل زاد قال : ابو طالب بن عبد المطلب :

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبـة شر عاجـل غـير آجل
بميزان صدق لا يغـل شعيرة له شاهـد من نفسـه غـير عائل

وقال بريدة وكان جالسا بالكوفة فى مجلس من اصحابه : سمعت رسول الله صلى اللهِ عليه وسلم يقول : (ان من البيان لسحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما وان من القول عيلا) ، العيل عرض الكلام على من لا يريده .

* * *

المخجول والخجل

قال ابو تراب :

وفى كتاب الغلط والفصيح ان من مشنوع قولهم : انا مخجول من فلان ، فما دهاهم ؟ خالفوا القياس وجهلوا ابسط قواعد الصرف : فان المخجول على وزن اسم المفعول ، لا يأتى الا من فعل متعد لا لازم فتقول : من فعل ضرب مضروب ومن اكرم مكرم ومن استخرج مستخرج ، اما خجل ففعل لازم لا يتعدى الى مفعول تقول :

خجلت منه لا خجلته ، فالصواب ان يشتقوا منه صفة مشبهة فيقولوا خجل أو خجلان .

قلت : الصفة المشبهة لا تصاغ من فعل متعد فلا تقول : زيد قاتل الاب بكرا تريد قاتل ابوه بكرا ، بل لا تصاغ الا من فعل لازم نحو طاهر القلب ، وجميل الظاهر ولا تكون الا للحال . فلا تقول زيد حسن الوجه غدا أو أمس ، والمراد بالصفة المشبهة مادل على معنى وذات وهذا يشمل اسم الفاعل والمفعول وافعل التفضيل والصفة المشبهة باسم الفاعل .

والخجل من اشتقاق اللغة يدل على اضطراب وتردد حكى بعضهم قول العرب : فلان عليه ثوب خجل اذا لم يكن تقطيعه تقطيعا مستويا ، بل كان مضطربا عليه عند لبسه .

قال ابن فارس ومنه الخجل الذى يعترى الانسان وهو ان يبقى باهتا لا يتحدث . وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال للنساء : انكن اذا جعتن

دقعتن واذا شبعتن خجلتن يقال فى تفسيره بطرتن واشرتن وهو قياس الباب قال الكميت :

ولـم يدقعـوا عندمـا نابهم لوقـع الحـروب ولـم يخجلوا

وفى المقاييس يقال خجل الوادى اذا كثر صوت ذبابه ويقال :
اخجل الحمض : طال وهو القياس لانه اذا طال اضطرب .

وقال الزمخشرى كأنى بك وقد جاء اجلك ... واجتمع عليك خجلك ووجلك وهو التحير والاضطراب من الحياء واخجله كذا وخجّله ، ومن المجاز خجل فلان بأمره اذا بَعِل به . لا يدرى كيف يصنع وخجل البعير بحمله ، وخجل الجمل فى الطين والوعث ثقل وارتطم وتحير قال :

قلـت بلى انـى اذا الليل شمل ولـزم الفتيان اشبـاح الابل
قد يهتدى بصوتى الحادى الخجل

اى المتحير : وثوب خجل ، طويل مضطرب .. وأخجل ثوبه .

قال (عليه ثوب خجـل خنيث مدرعـة كساؤهـا مثلوث

وجلل فرسه جلا خجلا . اى واسعا مضطربا وهو يدنو من الارض ، وخجل النبات كثر والتف ، وواد خجل . مخصب معشب .

وفى الحديث انه اتى على واد خجل مغن .

قال الفراء : الخجل الاسترخاء من الحياء ويكون من الذل .

ورجل خجل وبه خجلة ، اى حياء والخجل التحير والدهش من الاستحياء وخجل الرجل خجلا ، فعل فعلا واستحيى منه ودهش وتحير والخجل ان يفعل الانسان فعلا يتشور منه فيستحيى قاله الليث .

وقال ابن سيدة الخجل ان يلتبس الامر على الرجل فلا يدرى كيف المخرج منه .

يقال : خجل فما يدرى كيف يصنع وخجل بأمره عيى وثوب خجل فضفاض .

والخجل كثرة تشقق الدنادن : والخجل البطر .

والخجل سوء احتمال الغنى ، كأن يأشر ويبطر عند الغنى وقيل هو التخرق فيه .

وقال ابو عمرو الخجل الكسل والتوانى عند طلب الرزق : وهو مأخوذ من الانسان الخجل ، اذا بقى كذلك .

ومعنى قول الكميت المتقدم انهم لم يخضعوا للحرب ولم يستكينوا ولم يخجلوا اى لم يبقوا فيها باهتين كالانسان الخجل المتحير الدهش ولكنهم جدوا فيها واما حديث ابى هريرة ان رجلا ضلت له اينق فاتى على واد خجل مغن معشب ، فوجد اينقه فيه كما سبقت الاشارة اليه فالخجل فى الاصل الكثير الملتف المتكاثف .

* * *

إلفات

قال ابو تراب :

قال ابو الخضر فى كتاب الغلط والفصيح : (يقولون : الفات نظر المواطنين) وبشكل ظاهر ملفت .. وهذا الفعل ليس مزيدا بالهمزة فهو ثلاثى فقط ، فعله لفت يلفت والمصدر منه لفت لا الفات . فالصواب ان يقولوا لفت نظر المواطنين .

وقال اسعد داغر يقولون استلفت الكتاب نظر القراء ، بمعنى حول نظرتهم أو وجه التفاتهم ، والمحفوظ بهذا المعنى لفته فالتفت وتلفت اما استلفت فلم يسمع .

قال ابو تراب : هذه المادة قرآنية قال تعالى « ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك » أمر بترك الالتفات لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم من العذاب . وفى الحديث فى صفته ﷺ (فاذا التفت التفت جميعا) أراد انه لا يسارق النظر ، وقيل أراد لا يلوى عنقه يمنة ويسرة إذا نظر إلى الشىء ، وإنما يفعل ذلك الطائش الخفيف ، ولكن كان يقبل جميعا ، ويدبر جميعا . وفى الحديث أيضا (فكانت منى لفتة . وهى المرة الواحدة من الالتفات ـ وقال الفراء فى قوله عز وجل : « أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا » اللفت الصرف . وفى حديث حذيفة : ان من اقرأ الناس للقرآن منافقا لا يدع منه واوا ولا ألفا يلفته بلسانه كما تلفت البقرة الخلا بلسانها . اللفت اللى ، ولفت الشىء وفتله إذا لواه ، وهذا مقلوب يقال فلان يلفت الكلام لفتا أى يرسله ولا يبالى كيف جاء ، والمعنى انه يقرؤه من غير روية ولا تبصر وتعمد للمأمور به غير مبال بمتلو كيف جاء كما تفعل البقرة بالحشيش إذا أكلته . وأصل اللفت لى الشىء عن الطريقة

المستقيمة وفى الحديث (ان الله يبغض البليغ من الرجال الذى يلفت الكلام كما تلفت البقرة الخلا بلسانها) وفى حديث الحجاج انه قال لامرأة : انك كتون لفوت) اى كثيرة التلفت الى الأشياء . وفى الحديث لا تتزوجن لفوتا ، هى التى لها ولد من زوج آخر ، فهى لا تزال تلتفت إليه وتشتغل به عن الزوج ، وقال ثعلب ، واللفوت هى التى عينها لا تثبت فى موضع واحد ، إنما همها أن تغفل عنها فتغمز ، لغيرك .

وقيل : هى التى فيها التواء وانقباض . وقال عبد الملك بن عمير اللفوت التى إذا سمعت كلام الرجل التفتت اليه . قال ابن الأعرابى قال رجل لابنه إياك والرقوب الغضوب القطوب اللفوت الرقوب التى تراقبه ان يموت فترثه .

وفى حديث عمر حين وصف نفسه بالسياسة فقال : انى لاربع فاشبع وانهز اللفوت واضم العنود ، والحق العطوف ، وأزجر العروض ، قال أبو جميل الكلابى : اللفوت الناقة الضجور عند الحلب تلتفت إلى الحالب فتعضه فينهزها بيده فتدر وذلك لتفتدى باللبن من النهز وهو الضرب فضربها مثلا للذى يستعصى ويخرج عن الطاعة . وفى حديث عمر .. انه ذكر أمره فى الجاهلية وان امه اتخذت لهم لفيتة من الهبيد . قال ابو عبيد اللفيتة العصيدة المغلظة وقيل : هى ضرب من الطبيخ لا أقف على حده .

وقال اراه الحساء ونحوه ، والهبيد الحنظل

قال ابو تراب : هلا كان من اللفت المعروف من أنواع البقول .

وفى المقاييس : اللفت يدل على اللى وصرف الشىء جهته المستقيمة ومنه لفت فلانا عن رأيه بمعنى صرفته وسميت العصيدة لفيته لأنها تلوى ، والالتفات هو ان تعدل بوجهك وكذا التلفت .

وفى الأساس التفت اليه وتلفت قال :

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا

وفي اللسان : تلفت الى الشيء والتفت إليه ، صرف وجهه إليه قال

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا يلاحظني من حيث ما اتلفت

وقال آخر :

فلما أعادت من بعيد بنظرة إلى التفاتا أسلمتها المحاجر

ومما يتمثل به من شعر الشريف الرضي في الاستجادة قوله :

ولقد مررت على ديارهمو وطلولهم بيد البلى نهب
فوقفت حتى لج من لغب نضوى ولج بعذلي الركب
فتلفتت عيني فمذ خفيت عني الطلول تلفت القلب

واللفت من هذه المادة هو السلجم ، قال بعض الأعاريب ..

إلى طاهر عسفت كل تنوفة فياف كلون السخت ما تنبت اللفتا
ولولا رجائي جود كفيك لم أزر سرخس ولا طوسا ولم أنزل الدشتا

وهذه أسماء مواضع معروفة .

إعراب ونسبة بيت

قال أبو تراب :

نسب صاحب تذكرة الكاتب الى الفرزدق فى الحسين بن على بن أبى طالب :

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

والمشهور انه من قصيدة للفرزدق قالها فى مدح زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وليس كذلك ، ففى الشعر والشعراء لابن قتيبة (ج ١ ص ٩) : ذكر فى الشعر الذى حسن لفظه ، وجاد معناه من قول القائل فى بعض بنى أمية :

فى كفه خيزران ريحه عبق من كف اروع فى عرنينه شمم

يغضى حياء ويغضى من مهابته فما يكلم الاّ حين يبتسم

قال : ولم يقل فى الهيبة أحسن منه ، وذكر الشيخ احمد محمد شاكر فى شرحه : أنهما للحزين الكنانى من أبيات يمدح بها عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وزعم أبو تمام فى الحماسة (انظر شرح التبريزى ج ٤ ص ١٦٧) انهما له فى مدح زين العابدين ، وزعم غيره أنهما من أبيات للفرزدق فى مدح زين العابدين .

قال أبو الفرج فى الأغانى (ج ١٤ ص ٧٤) وهو غلط ممن رواه فيها ، وليس هذان البيتان مما يمدح به مثل على بن الحسين ، وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد ، والصحيح أنهما للحزين فى عبد الله بن عبد الملك ، وقد غلط ابن عائشة فى ادخاله البيتين فى تلك الأبيات ، وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة

المعانى ، متشابهة تنبىء عن نفسها ، ثم ساق أبيات الحزين ، والبيتان ايضا ضمن أبياته فى المؤتلف (ص ٨٨) .

قلت : وفى شرح الحماسة للمرزوقى (ج ٤ ص ٧٠٨) : انها للفرزدق فى على بن الحسين ، فالتبريزى شارحها نسبها الى الحزين الليثى ، والمرزوقى نسبها الى الفرزدق . وقال التبريزى : يقال : انها للفرزدق قالها حين قال الشامى لهشام بن عبد الملك من هذا الذى أعظمه الناس ، وفرجوا له عن استلام الحجر الأسود فقال : لا أدرى ، فقال الفرزدق : لكننى أعرفه فقال الشامى : من هذا يا أبا فراس ؟ فقال :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته — والبيت يعرفه والحل والحرم
اذا رأته قريش قال قائلها — الى مكارم هذا ينتهى الكرم
أى القبائل ليست فى رقابهمو — لأولية هذا أوله نعم

الى آخر الأبيات السابقة . وبعدها نحو أربعة وعشرين بيتا فى زهر الآداب للحصرى (ج ١ ص٦٥) . ونسبت الى الفرزدق فى على بن الحسين فى كتاب العمدة لابن رشيق القيروانى ، وأمالى المرتضى ، ونسبت للمنقرى فى العمدة ايضا ، ولكثير بن كثير السهمى فى محمد بن على بن الحسين كما فى المؤتلف (ص ١٦٩) ونسبت أيضا فى قثم بن العباس الى داوود بن سلم عند ابن رشيق ، وسكت الجاحظ فى الحيوان (ج ٣ ص ١٢٣) والبيان والتبيين (ج ١ ص ٣٧٠ و ج ٣ ص ٤) وابن قتيبة فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٢٩٤) عن نسبتها ، وهذا مثل ظاهر لكثرة الاختلاف فى الشعر . وفى زهر الآداب قال حج هشام بن عبد الملك أو الوليد أخوه فطاف بالبيت وأراد استلام الحجر فلم يقدر فنصب له منبر فجلس عليه ، فبينا هو كذلك اذ أقبل على بن الحسين بن على بن أبى طالب فى ازار ورداء وكان أحسن الناس وجها ، وأعطرهم رائحة وأكثرهم

خشوعا ، وبين عينيه سجادة كأنها ركبة عنز ، فطاف بالبيت ، وأتى ليستلم الحجر فتَنَحَّى له الناس هيبة واجلالا ، فغاظ ذلك هشاما . فقال رجل من أهل الشام : من الذى أكرمه هذا الاكرام ، وأعظموه هذا الاعظام فقال هشام : لا أعرفه ـ لئلاّ يعظم فى صدور أهل الشام ـ فقال الفرزدق وكان حاضرا قصيدته المذكورة ، وفيها :

ينجاب نور الهدى عن نور غرّته — كالشمس ينجاب عن اشراقها القتم

هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله — بجده أنبياء الله قد ختموا

سهل الخليقة لا تخشى بوادره — تزينه الاثنتان الحلم والكرم

قلت : ويظهر أن أبيات الحزين الكنانى فى عبد الله بن عبد الملك وهو أمير على مصر اختلطت بغيرها فنسبت الى هذا وذلك ، وفى أخبار مكة للفاكهى أنها للفرزدق فى على بن عبيد الله بن جعفر وقيل : فى محمد بن على بن الحسين قال ابن عبد البر فى البهجة (ج ١ ص ٥١١) : قول من قال هذا الأخير أصح عندى من قول من قال انها فى على بن الحسين لأنه توفى سنة ثلاث أو أربع وتسعين وهشام ولى الخلافة سنة خمس ومئة ، وجائز أن يكون الشعر للحزين فى محمد بن على بن الحسين أو الفرزدق فيه وان كان له فى أبيه فلم يكن هشام يومئذ خليفة ، وأما قول الزبير انه فى قثم فليس بشىء وما قيل فيه على قافيته وليس هو هذا .

* * *

الأندية والنوادى

قال ابو تراب :

ذكر ابو الخضر هذه الكلمة فى كتابه فقال : يقولون فى (النوادى) والاجتماعات ، يريدون جمع ندى كغنّى ، و (نادى) والصواب : جمعه على أندية ، وأنديات قال كثير :

هم أنديات بالعشى وبالضحى بها ليل يرجو الراغبون نهالها

أما « النوادى) فاما ان تكون اسما ، فهى الحوادث والخطوب تقول : رمتهم النوادى بسهامها ، واما أن تكون نعتا ، فمن ندا الشىء اذا تفرق وتباعد . تقول : نوادى النوى ـ جمع نواة ـ ومفرده نادية ، وهى ما تطاير منها عند رضخها ، وابل (نوادى) أى شاردة ، لأن جمع التكسير على (فواعل) انما يأتى جمعاً (لفاعلة) كما رأيت ، وجمعاً (لفاعل) على شرط أن يكون وصفا لمذكر عاقل فتقول : جواد صاهل ، وخيل صواهل ، فالصواب أن يقال : « الأندية » قلت : النوادى منقوص ، يحذف آخره عند الرفع والجر مجردا من التعريف ، وقد يثبت عند الوقف اذا وقعت الكلمة آخرا ، كما ذكره ابن الجزرى فى « القراءات العشر » وذكره ابن عقيل فى قراءة ابن كثير : « ولكل قوم هادى » لذلك قال : ابل (نوادى) وهو جمع (نادى) ولم يقل : ناد ولا نواد والنوادى هى الابل الشاردة . وليس معناها (نادى) ولم يقل : ناد ولا نواد والنوادى هى الابل الشاردة . وليس معناها مجالس القوم ومتحدثهم فتلك أندية ، وجمع الجمع انديات قال زهير :

وفيهم مقامات حسان وجوهها وأندية ينتابها القول والفعل

قال ثعلب في شرحه : المقامات المجالس ، وانما سميت المقامات لأن الرجل كان يقوم في المجلس فيحض على الخير على المعروف ، والندى المجلس وجمعه اندية وينتابها القول والفعل اى يقال فيها الجميل ويفعل ، قلت : الندى والنادى واحد بمعنى المجلس ، يندو القوم حواليه ، قيل : واذا تفرقوا فليس بندىّ ومنه دار الندوة بمكة ، لأنهم كانوا يجتمعون للتشاور ، فيندون فيها ، وناديته بمعنى جالسته في الندى قال الاعشى :

فتى لو ينادى الشمس ألقت قناعها او القمر السارى لألقى المقالدا

والأندية ايضا من الأصل الآخر من هذه المادة ، وهو النّدى من البلل ، يقال فيه أنداء وأندية على الشذوذ ، وربما عبروا عن الشهم بالندىّ ، وهو أندى من فلان أى أكثر خيرا منه ، وما نديت كفى لفلان بشىء يكرهه قال النابغة :

ما ان نديت بشىء انت تكرهه اذن فلا رفعت سوطى الىّ يدى

وفلان يتندىّ على أصحابه أى يتسخّى ، ومن الباب ندى الصوت أى بعد مذهبه وهو أندى منه صوتا أى أبعد ، قال دثار النمرى :

فقلت ادعى وأدع فان أندى لصوت أن ينادى داعيان

ومن النادى ندوة الابل ، وهى أن تندو من المشرب الى المرعى القريب منه ثم تعود الى الماء من يومها أوغدها ، والندوة والمنتدى كالنادى والندىّ ، والندوة بمعنى المجلس بفتح النون وهى بضمها موضع شرب الابل . ومن محاورتهم : كم نعشتنى يداك ، وكم أعاشنى نداك ، وان يده لندية بالمعروف ، وما رأيت أندى من فلان يدا ، وما تنديت من فلان وما انتديت منه اى ما اصبت منه خيرا ، وفلان لا تندى صفاته ، وما تندى احدى يديه الأخرى يقال هذا للبخيل ، وفى القرآن : « فليدع ناديه » أى أهل ناديه وهم عشيرته ، والمنديات المخزيات لأنها اذا ذكرت ندى جبين صاحبها حياء قال الكميت :

وعادى حلم اذا المنديات أنسين أهل الوقار الوقارا

وشرب حتى تندى أى تروّى ، وهذا مسرح بهمنا ومندّى خيلنا ، وهو فى أمر لا ينادى وليده ، وندّيت الفرس سقيته ، وايضا : نديته أى ركضته حتى عرق

قلت : فهذه المادة تدلّ على تجمع وعلى بلل فمن المعنى الاول النادى والاندية والندى والمنتدى والندوة والانديات ومن المعنى الثانى قول المتنبى :

وربّ كئيب ليس تندى جفونه ورب كثير الدمع غير كئيب

ومن فروعه بمعنى السخاء قول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

ونوادى الكلام ما يخرج وقتا بعد وقت وهى النواحى ايضا .

* * *

التحرير والمحرّر

قال ابو تراب :

مضى لنا القول بأن اطلاق كلمة « رئيس التحرير » على المراد الذى يعنون غير منطبق عليه ، ووضعنا مكانها كلمة (رئيس الكتبة) أو (الكتاب) بأيهما أخذت أصبت ، وكان ذلك فيما أسلفنا من المقدمات ، وان لم تكن ممهدات ثم جاء الاستفسار فقلنا هاكم الجواب وبالله التوفيق .

ان من الاخطاء التى اطبق عليها الناس كافة فى زماننا هذا استعمالهم كلمة (التحرير) مكان الكتابة ، وفى الصحف المنتشرة يستعملون (المحرر) بدل الكاتب ، ويقولون : (رئيس التحرير) وانما هى رئيس الكتاب لأن التحرير غير الكتابة ، وهم لا يفرقون بينهما .

فالتحرير هو اصلاح الخطأ ، واقامة الاعوجاج فى الكتابة فهو اشبه بالتصحيح فالاولى ان يسمى المصححون بالجرائد محررين ، والمحررون كتابا ورئيس المصححين هو رئيس التحرير لأنه يصلح ماكتبوا ويضيف اليه ما سقط واما رئيس التحرير فهو رئيس الكتاب على الصواب .

واليكم الدليل : قال المجد فى القاموس : تحرير الكتاب وغيره تقويمه ، وقال الزبيدى فى التاج : ومن المجاز تحرير الكتاب وغيره ، تقويمه وتخليصه باقامة حروفه وتحسينه باصلاح سقطه ، وتحرير الحساب اثباته مستويا ، لاغلَتَ فيه ، ولا سقط ولا محو ، وقال ابن منظور فى اللسان : تحرير الكتابة اقامة حروفها ، واصلاح السقط ، وتحرير الحساب اثباته مستويا لاغلَتَ فيه ولا سقط ولا محو (فائدة) قال ابو تراب : فى نسخة اللسان البولاقية والتاج (لا غلث فيه) وهو

خطأ ، والصواب كما اثبتنا لا غلت فيه ، فالغلت فى الحساب كالغلط فى القول ، وهذا الفرق اللغوى نبّه عليه الفيومى فى المصباح .

(رجع القول الى ما كنا بصدده) وقال الـزمخشرى فى الأسـاس : حرّر الكتاب حسنه وخلصه باقامة حروفة واصلاح سقطه .

قال ابو تراب :

اشتقاقه من تحرير الرقاب فانه تخليصها من الرّق وكذلك تحرير الكتاب هو تخليصه من شوائب الغلط ، وتحرير الحساب هو تخليصه من شوائن الغلت ، ومنه قوله تعالى : « رب انى نذرت لك ما فى بطنى محرّرا » أى مخلصا للعبادة ، فتحرير الكتاب جاء من هذا الاشتقاق فالمحرر ليس هو الكاتب والمنشىء انما هو الذى يخلص الكتابة من العيوب ويقيمها على وجهها : فاطلاق لفـظ التحريـر على الكتابة ذاتها خطأ ، كذلك اطلاق لفظ رئيس التحرير على منشىء المجلـة أو الجريدة ، ومنه تحرير الوزن وهو ضبطه بالتدقيق وتحرير المعنى وهو استخلاصه مجردا ، فالمحرر هو المستخلص الضابط وليس الكاتب .

❊ ❊ ❊

التعريب والترجمة

قال أسعد داغر فى اثناء الرد على المولعين باستعمال كلمة (التعريب) يزعمون ان فيها معنى ارفع شأنا من معنى (الترجمة) أو يرون لفظها أفخم وأفصح وهو زعم باطل ورأى فائل .

وقد سبقهم الى الوقوع فى مثل هذا الوهم بعض المشتغلين فى الصحافة فانهم أطلقوا كلمة « الكتابة » فى الدلالة على صناعتهم وأطلقوا عليها كلمة (تحرير) وقالوا : (محرر) و (رئيس تحرير) بدل (كاتب) و (رئيس الكتاب) مع أن التحرير مهما نتوسع فى معناه يظل دون مدلول الكتابة ، ولكنهم عدلوا اليه لزعمهم أنه أفخم مبنى ، وأعظم معنى .

(ذيل) قال ابو تراب :

أما بعد ان شاعت الكلمة وذاعت ، وضربت بأطنابها وجرانها صقعا صقعا ، ورماها الله بالحرة تحت القرة ، حين هبت لها السمائم والحرائر فخير لنا أرض حرة لاسبخة فيها ، ورملة حرة طيبة النبات ، فليس منا بحر ان نتجهم لها ، وليس بحر من أصحابنا ان يتنكروا للصواب فى حر وجهه ، فان طرفة بن العبد يقول :

لا يكن حبك داء قاتلا   ليس هذا منك ماوىّ بحر

ومن الخطأ الشائع استعمال كلمة التعريب مكان الترجمة ، والترجمة غير التعريب فالتعريب نقل كلمة غير عربية الى العربية بحروفها مع تصرف يناسب العربية ، وأما الترجمة فهى حكاية معناها باللفظ العربى وهذا الفرق الكبير بين دلالة التعريب والترجمة يغفل عنه كثير من الكتاب .

قال فى تذكرة الكاتب : ويستعملون الفعل (عرّب) وما يشتق منه مكان الفعل (ترجم) ومشتقاته ، فيقولون : هذا الكتاب عرّبه فلان أو هو تعريب فلان ، أو لمعرّبه فلان ، فيغيرّون معنى الفعل ، ويحولون وجه استعماله ، لأن التعريب انما هو نقل معنى الكلمة أو الجملة أو المقالة أو الكتاب فهو ترجمة ، فبالتعريب ننقل مثلاً الكلمات الآتية بألفاظها ، ونقول : (بيسكل) و (أوتوموبيل) وغيرهما كالتلغراف والبنك والفوتوغراف والتلفون ، وبالترجمة نعبر عن معنى الكلمتين الأوليين بقولنا : (دراجة) و (سيارة) .

وفى المعرّب للجواليقى : انه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمّى وذكرته فى أشعارها وأخبارها ، ولفظت به بألسنتها فعرّبته فصار عربياً بتعريبها ايّاه فهى عربية فى هذه الحال أعجمية الأصل ، والاسماء المعرّبة على ضربين أحدهما ما أدخل عليه لام التعريف والثانى ما لم يدخلوا عليه لام التعريف .

ثم ذكر الجواليقى مذاهب العرب فى استعمال الأعجمى من التغيير الى أبنية العرب وصيغ كلامها كالإبدال والهمز وائتلاف الحروف فالمقصود أن التعريب هو غير الترجمة .

قال الفيروز آبادى : الترجمان المفسر للسان ، وقال ابن منظور : هو الذى يترجم الكلام أى ينقله من لغة الى أخرى .

قال أبو تراب : وقد فصلنا بعض ما ذكرناه هنا فى كتابنا « كبوات اليراع » وبالله تعالى التوفيق .

* * *

تكبد وكابد

قال ابو تراب :

ويقولون : « تكبد العدو الخسارة » وهو خطأ وصوابه : « كابد العدو خسارة كذا وكذا » نبه على ذلك الدكتور مصطفى جواد فى كتابه قال : وذلك لأن (تكبد) على وزن (تفعل) وان تاءه وتاء أمثاله تدل على رغبة الفاعل فى الفعل والمفعول به ، والعدو لم يرغب فى الخسارة كما هو (بديهى) يضاف الى ذلك ان (تكبد) له عدة معان ليس فيها مايقابل (كابد) أى قاسى وتحمل بمشقة او مايقاربه .

وقال ابن فارس فى المقاييس : الكاف والباء والدال أصل صحيح يدل على شدة فى شىء وقوة من ذلك الكبد ، وهو المشقة يقال : لقى فلان من هذا الامر كبدا ، اى مشقة ، قال تعالى « لقد خلقت الانسان فى كبد » ومن الاستعارة كبد السماء وسطها ، ويقال : تكبدت الشمس اذا صارت فى كبد السماء وتكبد اللبن اذا غلظ وختر .

وفى لسان العرب : تكبدت الشمس السماء ، صارت فى كبدها ، وكبد السماء وسطها الذى تقوم فيه الشمس عند الزوال ، ويقال : تكبدت الأمر اى قصدته ومنه قوله : (يروم البلاد ايها يتكبد) . وتكبد الفلاة اذا قصد وسطها ومعظمها ، وتكبد اللبن وغيره من الشراب غلظ وختر .

فتكبد الشىء المائع لامطمع فيه لتوجيه الخطأ فى قولهم : « تكبد خسارة » لأنه مشتق من الكبد ، وبمعنى صار مثل الكبد وتكبدت الشمس السماء وتكبد فلان الفلاة والأمر يدل على ارادة الفاعل للفعل كما ذكرنا فلا وجه لاستعارة

جديدة كأن يقال : أراد العدو الدخول فى وسط الخسارة ، فانه لايريدها بل يريد الفوز والفلج ، والظفر ، والغلبة ، والاخسار ، فالصواب ماذكرناه وهو : « كابد العدو الخسارة » .

قال ابن فارس : وكابدت الأمر اى قاسيته فى مشقة .

وفى لسان العرب فى تفسير الآية المذكورة آنفا : « لقد خلقنا الانسان فى كبد » اى أنه خلق يعالج ويكابد امر الدنيا والآخرة فى شدة ومشقة ، ومكابدة الامر معاناة مشقته وكابدت الامر اذا قاسيت شدته . وعن الليث قال : الرجل يكابد الليل اذا ركب هوله وصعوبته ويقال : كابدت ظلمة الليل مكابدة شديدة وكابد الامر مكابدة وكبادا قاساه ، قال العجاج :

وليلة من الليالى مرت بكابد كابدتها وجرت

أى طالت .

هذا معظم النصوص اللغوية المعجمية لاستعمال (كابد) ومن شواهد الواقع اللغوى لها ما ورد من كلام العباس بن عبد المطلب فى شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد (ج ١ ص ٧٤) وهو قوله : (تربت ايديكم الى آخر الدهر اما إنّى امرتكم فعصيتمونى فمكثت اكابد مافى نفسى) الى آخره وتأتى المكابدة للمقاومة عامة ، والمنازلة والمنازعة مع مقاساة مشقة فمن ذلك ماورد فى ابيات عزيت الى معاوية ابن ابى سفيان فى الكامل للمبرد (ج ١ص ٢٢٩) فى قوله :

أكابده والسيف بينى وبينه ولست لاثواب الدنىء بلابس
وانى لارجو خير مانال نائل وما أنا من ملك العراق بيائس

وفى كتاب الأذكياء لابن الجوزى (ص٤) عن وهب بن منبه قال : انى وجدت فيما انزل الله على انبيائه ان الشيطان لم يكابد شيئا اشد عليه من مؤمن عاقل وانه يكابد مئة جاهل فيستجرهم حتى يركب رقابهم فينقادون له حيث شاء ويكابد المؤمن العاقل فيتصعب عليه حتى لاينال منه شيئا من حاجته .

وفى المحاسن والاضداد للجاحظ ص ٧٩ قال جحدر سجين الحجاج :

وتقدمــى لليــث ارسف نحوه   حتــى اكابــده على الاحراج

وفى مروج الذهب للمسعودى (ج ١ ص ٣١٧) فى اخبار قبيلة جديس قول عفيرة بنت الاسود الجدسية لاخيها الاسود : لاتفعل هذا فان الغدر فيه ذلة وعار ، ولكن كابدوا القوم فى ديارهم تظفروا او تموتوا كراما .

قال مصطفى جواد : وبما نقلنا من نصوص واقع اللغة العربية فى استعمال (كابد) يظهر للقارىء تقصير اللغويين فى ذكر معانى هذا الفعل المجازية الاستعارية التى هى جناحا كل لغة محلقة فى سماء الحضارة والجدارة بالازدهار والتقلب فى جميع الأطوار . وباب الاستعارة مفتوح فى اللغة العربية على شرط ان تكون سائغة عذبة فى اذواق العرب .

وفى تذكرة أسعد داغر (ص ٣٥): يقولون كبده عناء جزيلا وتكبد فى عمله تعبا لا يوصف فيستعملون كبد بمعنى جشم وكلف وتكبد بمعنى عانى وقاسى ، وفى اللغة : تكبدت الشمس وكبدّت صارت فى الكبيداء أى وسط السماء وتكبد الشيء قصده فالصواب ان يقال فى الأول : جشّمه او حمّله عناء جزيلا وفى الثانى كابد فى عمله الخ .

❊ ❊ ❊

الأقاحى والعال

قال أبو تراب :

غرّ كثيرا من المتأدبين حذف الياء من كلمة (الأقاحى) جمع الأقحوان وهو من الزهر حيث وردت بصيغة (أقاح) فظن ان آخر الكلمة الحاء وجعل الأعراب عليها فيقول : قطفت أقاحا على الخطأ .

ومن هؤلاء ابوعلى الحسين النشار من ادباء الأندلس فقد اورد له صاحب كتاب المغرب (ج٢ ص ٣٣٨) قوله :

ألوّامى على كلفى بحبى متى من حبه أرجو سراحا
وبين الخد والشفتين خال كزنجى أتى روضا صباحا
تحيرّ فى جناه فليس يدرى أيجنى الورد أم يجنى الأقاحا

والشاهد هو البيت الأخير حيث جعل النصب على حرف الحاء من (الأقاح). وقال الفيومى فى المصباح ، هو من نبات الربيع له نور أبيض لا رائحة له ، وهذا الخطأ فيه تعقبه محمد على النجار قديما فى مجلة الأزهر .

وأورد زكى مبارك هذه الأبيات فى الموازنة (ص ٢٥٦) ولم ينبه على موضوع الغلط فيها . وترى أن نون أقحوان حذفت فى الجمع ، وقلبت الواو فى الجمع ياء لوقوعها فى الطرف اثر كسر ، فتقديره (أفاعل) وقد ورد فى الجمع (الأقاحىّ) بالتشديد ومن هذا قول ذى الرمة :

تبسمن عن نور الأقاحىّ فى الثرى وفترن عن أبصار مكحولة نجل

ومأتى هذا زيادة ياء قبل الآخر للتعويض من النون المحذوفة كما يقال فى جمع سفرجل سفاريج . وهذا التعويض جائز قياسا . قال النجار : ولم أقف على

التشديد فى (الأفاعى) فيجوز على هذا ان يقال : الأفاعىّ ، ووزن ، الأقاحىّ بتشديد الياء (أفاعيل) وهو فى الوجه الأول من المنقوص فالاعراب على الياء ، وتحذف فى حالتى الرفع والجر عند التجرد من (أل) المعرفة والاضافة ، فتقول : هذه اقاح ونظرت الى أقاح ، وتثبت الياء فى غير ذلك ، فتقول : قطفت أقاحى وهذه الأقاحى . قال : ومن جنس هذا الخطأ فى الأقاحى قولهم : (العال) فى العالى ، والناطق بالعال من العامة لا يرى انها من العلّو فهو يقول : مكان (عالى) وشىء (عال) - أى جيد - ويفرق بينهما فى مدارج القول ، فالظن بالقائلين (العال) انهم يرون نهاية الكلمة اللام حتى لو ان الاعراب جرى فى لسانهم لقالوا : اشتريت شيئا (عالا) كما قال الأديب الأندلسى : (لم يجنى الاقاحا) والخطأ فى العال جرى ايضا على السنة المتأدبين فيقول القاضى تقى الدين التميمى من شعراء الريحانة .

الدون لا نرضى به والعال لا يرضى بنا

ويقول الشهاب الخفاجى فى الريحانة (ص ٢٣٤) بعد ان اورد البيت :

((والعال بمعنى العالى كقولهم : لم تبل الاّ أنها لغة عامية متبذلة)) وتراه قرأ العال برفع اللام حتى حكم بأنها لغة عامية متبذلةّ ، ولو قرأه بكسر اللام لم يكن فيها خروج عن الفصيح ، فقد ورد حذف الياء فى المنقوص المقرون بأداة التعريف كما فى قوله تعالى : ((عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال)) وقول الشهاب : (كقولهم لم تبل) يريد ان العرب يقولون : لم تبال هذا الأمر وهذا هو الأصل فقد حذف الجازم حرف العلة ، ويقولون ايضا لم تبل ، وتخريج هذا انه سكن اللام فى (لم تبال) تخفيفا أو لتوكيد اثر الجازم كأنه لم يكتف بحذف الياء له - وهذا كقوله تعالى : ((ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل)) فقد قال الزمخشرى : ألم تر بسكون الراء للجد فى اظهار أثر الجازم - ولمّا سكنت اللام فى (لم تبال) التقت ساكنة مع الفها فحذفت الألف للتخلص من الساكنين - ويقول سيبوية فى الكتاب (ج ٢ ص ٢٩٢) وسألته يعنى الخليل -

عن قولهم : (لم ابل) الخ ويرى الباحث فى كلام سيبويه أن جعل الشهاب (العال) من باب (لم تبل) فى الحذف تعوزه الدقة ، فالحذف فى (لم تبل) سهله حذف حرف العلة للجزم كما ذكر سيبويه ، ومن قواعدهم أن التغيير يُجَرِّىُ على التغيير ، فأما الحذف فى (العال) وجعل الياء نسيا واجراء الاعراب على اللام فهذا مما يبعده عن التغيير المذكور . على ان للحذف فى (الأقاحى) (والعال) نظائر ولكنا نجدها فى الشاذ فقدَ جاء فى كتاب القراءات الشاذة لابن خالويه (ص ٤٣) (ومن فوقهم غواش) وهذا كقراءة الحسن : (صال الجحيم) ومثالها (وله الجوار المنشآت) فقرأ ابو رجاء (غواش) بضم الشين وقرأ الحسن (صال ، بضم اللام و(الجوار) بضم الراء وكله شاذ .

* * *

خرج وتخرّج

قال أبو تراب :

ومن مجازات كلام العرب : خرج فلان فى العلم والصناعة خروجا اذا نبغ ، ويقال : خرّجه فلان فتخرج ، وهو خريجه ، وذكر ذلك الزمخشرى فى (الاساس) وقال زهير بن ابى سلمى يصف الخيل :

وخرّجها صوارخ كل يوم   فقد جعلت عرائكها تلين

أراد : وأدبها ، كما يخرّج المتعلم . قال الأعلم الشنتمرى : معناه درّبها وعوّدها ، يعنى أنها كانت فى أول استعمالها ممتنعة نشاطا لا تواتى ، فما زالت تجيب الصارخ والمستغيث ، وتنهد الى العدو حتى لانت عرائكها ، والعريكة الطبيعة ، واذا كان فى الرجل اعتراض وشدة قيل : فيه عريكة ، فاذا ذل وانقاد قيل : لانت عريكته . وقيل : خرّجها أى جعلها خرجاء منها ما فيه طرق وهو الشحم ، ومنها ما ليس فيه طرق ـ بكسر الطاء وسكون الراء ـ وكل ما فيه ضربان فهو أخرج ، وبه سمى الخرج لما فيه من البياض والسواد .. واختار الزمخشرى المعنى الأول ، والأزهرى المعنى الثانى .. وفى اللسان عن ابن الاعرابى قال : معنى خرّجها أدّبها كما يخرج المعلم تلميذه ، وفلان خريج مال على وزن فعيل مخففا وخريجه بالتشديد بمعنى مفعول إذا دربه وعلمه ، وقد خرّجه فى الأدب ، فتخرج

قلت : وعلى هذا ذكروا ان قولهم فلان تخرج من الكلية الفلانية خطأ ، والصواب : تخرج فلان فى الكلية الفلانية . قال مصطفى جواد : وذلك لأن (تخرج) فى هذه الجملة وأمثالها بمعنى (تأدب) و(تعلم) و(تدرب) فيقال : تعلم فى الكلية ، وتأدب فلان فى الكلية وتدرب ، ولا محل لحرف الجر (من)

فليس المقصود الخروج من الكلية فى قولنا : تخرج فى الكلية ولو كان المقصود الخروج لكان لكل طالب فى اليوم خرجة أو خرجتان ، ولذهب المعنى المقصود . قال : والعجيب ان التخرج لا يزال فى اللغة العامية العراقية يفيد معنى العلم وحسن التصرف ، فالعوام يقولون فى ذكر من يسيء التصرف والعمل ويرتبك فى الأشغال : (فلان ما يتخرج بهذا الشغل وفلان يتخرج) الاّ ان استعمال النفى هو الغالب عليه .

قال ابو تراب : الخروج فى اللغة يدل على معنيين احدهما النفاذ من الشيء والثانى اختلاف اللونين ، فمن المعنى الأول قولنا : خرج يخرج خروجا ، والخراج بالجسد ، والخراج والخرج الاتاوة ، لأنه مال يخرجه المعطى ، ويقال : ما أحسن خروج السحابة ، وفلان خريج فلان اذا كان يتعلم منه ، كأنه هو الذى أخرجه من حدّ الجهل ، والخروج ـ بفتح الخاء ـ الناقة التى تخرج من الابل ، ذكره ابن فارس فى ((المقاييس)).

قال ابو تراب : وعلى هذا يصح عندى : ((فلان خرّيج متخرج من الكلية الفلانية)) لكن يقال : هو خريج منها فى العلم الفلانى ، والفن الفلانى ، لأنه يخرج منها على كل حاملا علما ، فتخرجه انما هو فى ذلك العلم ، والخروج يتصل به (من) و(عن) والصلة الأخيرة للبعد والمجاوزة وهذا غير الخروج (على) الأمر وانما تعقب من تعقب هذا لأنه تصور خروج الرجل من الحقل الذى مارسه وليس كذلك لأن خروجه من الكلية واقع لا محالة ، وهو غير متخرجه فى الفن الذى تعلمه ، فلو قلنا : فلان تخرج من الأدب لكان خطأ لأنه غير المقصود بالذات فهو قد تخرج فيه ثم فرغ من الكلية حاملا اياه ، فالتخرج فى الشيء غير التخرج منه ، وهذه نكتة لم أر من نبّه عليها . وأما الأصل الآخر فى معنى الخروج وهو اختلاف لونين فمنه الخرجاء الشاة التى تبيضُّ رجلاها الى خاصرتها ، والأرض المخرجة اذا كان نبتها فى مكان دون مكان وغير ذلك مما ليس فيما نحن بصدده وأما قول صاحب القاموس : خرجه فى الأدب فتخرج

وهو خريج فلا ينهض به الردّ على من قال : فلان تخرج من الكلية لأن الكلية ظرف مكان وهو خارج منها بعد الفراغ من التحصيل البتة فهى خرجته فى العلم منها او المعلمون خرجوه فى الفن الذى درسه فخرج منها حاملا اياه ، فلما كان التخرج بمعنى التدرب والتعلم انكروا أن يكون تخرجه منها لئلا ينافى المقصود ، وما فطنوا لأنه لم يتخرج من العلم وانما تخرج فيه من الكلية كما تقول : فلان تعلم فى ذلك من فلان ، ولافرق واما قول الحسين بن مطير :

ما أنس لا أنس منكم نظرة شغفت في يوم عيد ويوم العيد مخروج

فانه أراد : مخروج فيه ، وهو ظرف زمان .

قال أبو تراب :

وصوب الدكتور مصطفى جواد قولهم : (فلان خرج على الجماعة) بمعنى خالفهم ؛ وخطأ قولهم : (خرج فلان على القانون أو النظام) والصواب أن يقال : خرج فلان عن القانون ، أو حاد عنه ، أو عدل عنه ، أو نكب عنه نكوبا ، أو نكّب تنكيبا ، أو تنكّبه تنكبا ، وذلك لأن الخروج يستلزم استعمال حرف المجاوزة والمجانبة والابتعاد وهو (عن) أما (على) فتستعمل فى مثل (خرج فلان على القوم أو الجماعة) أى ثار عليهم ، وأبى الانخراط فى سلكهم وألقى ربقة الطاعة . ومن ذلك اسم الخوارج ، وهم الذين خرجوا على الجماعة فى خلافة على بن أبى طالب .

وفى المغنى (ج ٢ ص ١٢٧) قال ابن هشام فى ذكر الجهات التى يدخل الاعتراض على المعرب منها : الجهة الثالثة أن يخرج على عالم يثبت فى العربية وذلك انما يقع عن جهل أو غفلة .

ومن شواهد استعمال (خرج عنه) بمعنى حاد عنه ما جاء فى (كليلة ودمنة) من اقوال ابن المقفع الكاتب البليغ المشهور كقوله : (وما هو عليه من الخروج عن العدل) فقد اتى بـ (عن) صلة للخروج حين أراد به العدول والمجاوزة وكذلك ما ورد فى كتاب تجارب الأمم للفيلسوف المؤرخ الأديب ابن

مسكويه وهو قوله (تقدم الجيش البختياري زحفا بغير أمر ، وفارق المصافّ وخرج عن النظام). وفى العقد الفريد لابن عبد ربه : (فطرب القوم حتى خرجوا عن عقولهم). وفى كتاب النهاية لابن الأثير : (التخارج تفاعل من الخروج ، كأنه يخرج كل واحد منهم من ملكه الى صاحبه بالبيع) وهذا فى تفسير حديث ابن عباس : (يتخارج الشريكان واهل الميراث) أى اذا كان الميراث والمتاع بين ورثة لم يقتسموه او بين شركاء وهو فى يد بعضهم دون بعض ، فلا بأس ان يتبايعوه بينهم وان لم يعرف كل واحد منهم نصيبه بعينه ولم يقبضه ، ولو اراد اجنبى أن يشترى نصيب احدهم لم يجز حتى يقبضه صاحبه قبل البيع ، وقد رواه عطاء عنه مفسرا . قال : لا بأس ان يتخارج القوم فى الشركة تكون بينهم فيأخذ هذا عشرة دنانير نقدا ، وهذا عشرة دنانير دينا ، والشاهد فيه قوله : (يخرج كل واحد منهم عن ملكه) وفى السيرة : (أن أبا بكر خرج عن جميع ما له فى سبيل الله) ولا يقتصر الخطأ فى قولهم : (خرج فلان على القانون) على مخالفة التعبير الصحيح بل يفيد عكس المراد لأن معنى (خرج فلان على القانون) على مخالفة التعبير الصحيح بل يفيد عكس المراد لأن معنى (خرج فلان على القانون) هو سيره على حسب ما يوجبه القانون .

قال الشريف الرضى فى الكلام على الحديث النبوى الشريف الذى يروى فى الخيل ومنافعها : (ظهورها حرز وبطونها كنز) وهذا القول خارج على طريق المجاز ، يعنى انه سائر فى طريق المجاز ، وظاهر على طريق المجاز .

وقال ابن جنى فى الخصائص (ج ١ ص ١٥٦) فى كلمة (ضَيْوَنٍ) وهو السنور (انما صح لأنه خرج على الصحة).

قال مصطفى جواد : فقل خرج فلان عن القانون أو حاد عنه أو عدل أو نكب عنه أو تنكب عنه .

قلت : وأما خرج فلان فى العلم والصناعة خروجا فهو اذا نبغ فيهما وخرجه

فلان فتخرج وهو خرّيجه . قال زهير يصف الخيل :

وخرّجهـــا صوارخ كل يوم　　فقـــد جعلـــت عرائكهـــا تلين

أراد وأدبها كما يخرّج المتعلم :

ومن شاهد كون : (خرج على الشيء) بمعنى ضاهاه وجاء على منواله قول الزمخشري في أساس البلاغة : (ناقة مخترجة خرجت على خلقه الجمل): يعنى أنها شابهته ، وجبلت على خلقته .

ويذكر في هذه المادة قولهم : (النجوم تخرّج لون الليل فيتلوّن بلونين من سواده ، وبياضها ، قال الشاعر :

اذا الليـــل غشاهـــا وخـــرّج لونه　　نجـوم كأمثـــال المصابيـــح تخفق

والاخرج من نعت النعامة في لونها ، اذا كان السواد أكثر من البياض كلـون الرماد ، واستعاره العجاج للثوب فقال :

انّـــا اذا مذكى الحـــروب أرّجا　　ولبســـت للمـــوت ثوبـــا أخرجا

أي لبست ثوبا فيه بياض وحمرة من لطخ الدم ، يعنى انها شهّرت وعرفت كشهرة الأبلق ، وكذلك قيل : علم أخرج أى فيه جدب وخصب .

* * *

ينبغي لك وعليك

قال أبو تراب :

ومن المواد التي صحّحها الدكتور مصطفى جواد كلمة (ينبغي) مع صلتها ، قال : ينبغي لك أن تعمل ، ولا ينبغي لك أن تكسل ، وينبغي لك العمل ، ولا ينبغي لك هذا الشيء ، وما ينبغي لك ، ولا تقل ينبغي عليك ان تفعل ، ولا تقل : ينبغي عليك أن تكسل .

وذلك لأن الفعل (ينبغي) هو بمعنى يراد ويطلب ويستحب ، وما جرى مجراهن من الأفعال ، كينشد الشيء ، أي يبحث عنه ، ويفحص عنه ، وبمعنى يصلح .

جاء في لسان العرب : قولهم ينبغي لك ان تفعل كذا ، فهو من افعال المطاوعة ، فتقول : بغيته فانبغى كما تقول : كسرته فانكسر ، قال الزجاج يقال : انبغى لفلان أن يفعل كذا أي صلح له أن يفعل كذا ، وكأنه قال : طلب فعل كذا فانطلب ، أي طاوعه ، ولكنهم اجتزأوا بقولهم : انبغى .

ويقال : انبغى الشيء ، أي تيسر وتسهل ، وقوله تعالى : ((وما علمناه الشعر وما ينبغي له)) أي ما يتسهل له ذلك ، لأنا لم نعلمه الشعر ، وقال ابن الاعرابي وما ينبغي له أي ما يصلح له .

وقال الفيومي في المصباح المنير : وينبغي ان يكون كذا معناه يندب ندبا مؤكدا لا يحسن تركه ، واستعمال ماضيه مهجور ، وقد عدّوا (ينبغي) من الأفعال التي لا تتصرف ، فلا يقال : انبغى ، وقيل في توجيهه ان (انبغى) مطاوع (بغى) ولا يستعمل (انفعل) في المطاوعة الاّ اذا كان فيه علاج

وانفعال مثل : كسرته فانـكسر ، وكما لا يقـال : طلبتـه فانطلـب ولا قصدتـه فانقصد لا يقال بغيته فانبغى ، لأنه لا علاج فيه ، وأجازه بعضهم .

وحكى عن الكسائى انه سمع من العرب : وما ينبغى ان يكون كذا أى ما يستقيم أو مايحسن .

قال : وهذا يؤيد ما ذهبنا اليه من أن المطاوعة خيالية ، (فانبغى ينبغى) لا مطاوعة فيه ، وهو اقدم الأفعال بدلالة وروده فى الكتاب العزيز ، احتـوى استعمال اللام مع الفعل (ينبغى) كما ورد فى الآيـة الكريمـة . ولا حجـة فى استعمال بعض المتأخرين من اللغويين للحرف (على) مع الفعل(ينبغى) وهو صاحب تاج العروس بشرح القاموس فقال قال فى مادة (نبأ) من كتابه هذا : (كان ينبغى على المؤلف) وهذا خطأ ، والصواب ان يقول : كان ينبغى للمؤلف قال : وقد ذكرنا غير مرة أن (على) تفيد الأذى والتعدى فضلا عن الاستعلاء ، فمعنى ينبغى عليك هو : (يراد على الرغم منك وبغير موافقة منك) كما يقال : افتات عليه ، او يفتات عليه ، وانتقد عليه او ينتقد عليه ، وباع عليه أو يبيع عليه .

قال الفيومى فى المصباح المنير : وباع عليه القاضى أى من غير رضاه ، وفى الحديث : « لا يخطب الرجل على خطبة أخيه ، ولا يبيع على بيع أخيه) أى لا يشترى لأن النهى فى الحديث انما هو على المشترى لا على البائع بدليل رواية البخارى (لا يبتاع الرجل على بيع أخيه) ويؤيده الحديث : (يحرم سوم الرجل على سوم أخيه).

ومعنى الحديث فى الخطبة انه لا يجوز للخاطب أن يخطب امرأة سبقت اليها خطبة رجل آخر ، ولم تزل الخطبة فى المداولة والمفاوضة .

قلـت : ولا ((ينبغـى)) لك مضـارع ، ماضيـه ((انبغـى)) أى تيسر وتسهل ، ولا ينبغى أى لا يتسهل ولا يتيسر ، ولا ينبغى بمعنى لا يصلح ايضا ،

ولا يكاد يستعمل ماضيه لكونه غريبا وحشيا ، لذلك قال اللغويون : ان هذا الفعل لا يتصرف ومرادهم الاقتصار على استعمال مضارعه بصيغة الافراد والتذكير للغائب المعلوم وهى كلمة قرآنية يجب أن تكون صلتها باللام كما فى القرآن ، والكتاب يغلطون فى استعمال (على) بعدها ، ودعوى التضمين لا دليل عليها فلا يقال : ينبغى عليك أى يجب عليك .

* * *

على وفق الشروط

قال أبو تراب :

شاع في الاستعمال قولهم : (جاء هذا العمل وفق الشروط المطلوبة) والخطأ فيه كسر الواو ، لأن كسرها يجعل اللفظة اسم المصدر بمعنى التوفيق والصواب : فتح الواو والوفق مصدر من الموافقة بين الشيئين كالالتحام .

ولكن الدكتور مصطفى جواد يخطىء هذه العبارة من جهة اخرى ، فالوفق لا يستعمل عنده الاّ مجرورا فصواب العبارة : (جاء هذا العمل على وفق الشروط) وتعقبت أنا الدكتور بأن الوفق كل شيء يكون متفقا على تيفاق واحد فهو وفق كما ورد عن الليث كقوله : (يهوين شتى ويقعن وفقا) وقالت العرب : جاء القوم وفقا أى متوافقين كما نقله الزمخشرى ، فحرف الجر الذى دخل عليه في الاستعمال البياني ، انما جاء صلة للكلام الذى قبله فاذا جرّد (الوفق) منه كان منصوبا على نزع الخافض ، فلا أرى مانعا من استعماله بدون حرف الجر ، وهو ايضا يقع حالا لما قبله ، وشاهدى على ذلك قول ابن سيده : (وفق الشيء مالاءمه) وفي (اللسان) تقول : هذا وفق هذا ، وقال عويف القوافي :

يا عمر الخير الملقى وفقه سميت بالفاروق فافرق فرقه

واحتج مصطفى جواد على تصويب قولهم : (على وفق الشروط) أى على حسب الشروط وبحسبها كقول عمر بن أبى ربيعة :

فما جئتنا الا على وفق موعد على ملأ منّا خرجنا له معا

قال ابو تراب : وهذا معناه أن مجيئه كان متوافقا للموعد ، كما يقال : جاء فلان على موعد ، فعلى لا علاقة لها بالوفق ، لأنه قد ورد من قول العرب في

المعاجم : (جاء القوم وفقا) ولم يقولوا : جاءوا على وفق ، وكذلك الجواب عن قول العماد الاصفهانى الذى احتج به اذ يقول فى ((الفتح القدسى)) (ص ١٣٩) (جاء على وفق الآمال اقتراحه ، وختم باليمن والاقبال رواجه).

وقول ابن منير الاسكندرى فى الانتصاف (حاشية الكشاف ج ١ ص ٢٨٥): (فان اجيبوا على وفق مقترحهم فلم ينجع فيهم كانوا حينئذ على غاية من الرسوخ فى العناد المناسب لعدم النظرة).

وفى فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى (ج ١ ص ١٩٩) (فأومأنا اليه بالقيام على الوفق الذى كان بيننا فوثب وهو يبكى).

وفى شرح الكافية لابن الحاجب (ج ١ ص ٣٤٥): (ويجوز ان يأتى قبل المخصوص أو بعده مميز أو حال على وفق مخصوصه) وفى زبدة النصر (ص١٢٠) فى اخبار الوزير كمال الملك السميرمى : (قال : انوشروان : فشرع الوزير فى المصادرات وسمى ديوانها ديوان المفردات ، قال عماد الدين ، ولم يكن كما ذكر ، ولا على وفق ما أنكر)

وفى المصباح المنير للفيومى : (وقد استعمل الفقهاء الشك فى الحالين على وفق اللغة) نحو قولهم : (من شك فى الطلاق ، ومن شك فى الصلاة) قال : أما استعمال (الوفق) بغير حرف جر فله موضع آخر ومعنى آخر ، يقال : (كسب فلان وفق عياله) أى قدر كفايتهم ، لا فضل فيه و(هذا المقدار من المال وفق لكثرة حاجاتهم).

وفى معجم البلدان فى مادة (عطالة): قال سويد بن كراع العكلى :

وان كان نارا فهى نار بملتقى   من الريح تشبيها وتصفقها صفقا

لأمّ علىّ اوقدتها طماعة   لأوبة سفر ان تكون لهم وفقا

قال : ويقع هذا الغلط فى عبارات اخرى كقولهم (ألف هذا الكتاب وفقا لمنهج الوزارة) والصواب : (على وفق منهجها) ومصداق الصحة فى استعمال

(الوفق) المجرور بعلى هو أن يجيء بمعنى : (على حسب كذا وبحسب كذا)،
واستعمال غير المجرور أن يأتى بمعني قدر ومقدار :

قال ابو تراب :

واى مانع من ان يقال : كسب فلان على وفق عياله بمعنى على قدر حاجتهم ، ما دام الوفق على هذا الوفق ، والعبرة بالاستعمال ولا علاقة لحرف الصلة بمعنى ، فقد جاء (الوفق) بمعنى المطابقة بين الشيئين غير مدخول الجار كما قال : (ويقعن وفقا) أى متوافقين والوفق فى كل ذلك بمعنى التوافق والتطابق والملاءمة وليس بمعنى القدر والمقدار . ومع ذلك جاء مجردا من حرف (على) لذلك اجزنا قولهم (جاء هذا العمل وفقا للشروط) أى متوافقا وملائما لها . وقد قالوا : (أتانا لوفق الهلال) أى لطلوعه) و(وجئت لوفق الأمر) أى لحين حدوثه .

* * *

التلافي والملافاة

قال أبو تراب :

ذكر اسعد داغر في كتابه : (يقولون : يجب الاهتمام بملافاة الأمر فيستعملون (الملافاة) بمعنى التدارك والاصلاح ، وهو خطأ ، صوابه التلافي من تلافى ، الأمر اذا تداركه أي أصلحه . قلت : اللام والفاء والحرف المعتل أصل صحيح ، قال ابن فارس : انه يدل على انكشاف شيء وكشفه ، ويكون مهموزا وغير مهموز ، يقال : لفأت الريح السحاب عن وجه السماء ، ولفأت اللحم عن العظم ، كشطته ، ولفوته ، وذكرهما ابن دريد في كتابه الجمهرة .

واللفاء التراب والقماش على وجه الأرض ، يقال مثلا : (رضى من الوفاء باللفاء) أي رضى من وافر حقه بالقليل .

وألفيته : لقيته ووجدته الفا ، وتلافيته : تداركته ، وقال الزمخشري في (الأساس) لفأه حقه اذا انتقصه ، ومنه (رضى باللفاء من الوفاء) وهو ما على وجه الأرض من القماش والتراب .

قلت : القماش ما على وجه الأرض من فتات الأشياء ، وحتى يقال لرذالة الناس : قماش ، وقماش كل شيء فتاته ، وقماشته مثله ، وقماش البيت متاعه .

وفي أساس البلاغة : ألفيته كاذبا . وفي الكتاب العزيز : ((ما ألفينا عليه آباءنا)) وتلافيت التقصير ، وهذا أمر لا يتلافى ، وفي محاورتهم : (جاء بالأمر المتنافى ثم لم يتعقبه بالتلافي) .

وفي لسان العرب : لفأت الريح السحاب عن الماء والتراب عن وجه الأرض تلفؤه لفأ : فرقته وسفرته ، ولفأ اللحم عن العظم يلفؤه لفأ ولفا ، والتفأه ،

كلاهما : قشره ، وجلفه عنه ، والقطعة منه لفيئة ، وكل بضعة لا عظم فيها فهى لفيئة ، والجمع لفىء ، وجمع اللفيئة من اللحم لفايا ، مثل خطيئة وخطايا .

وفى الحديث : ((رضيت من الوفاء باللفاء)) .

قال ابن الأثير فى كتاب (النهاية فى الغريب) : الوفاء التام ، واللفاء النقصان ، واشتقاقه من لفأت العظم ، اذا أخذت بعض لحمه عنه ، واسم تلك اللحمة لِفيئة ، ولفأ العود : قشره ، ولفأه بالعصا : ضربه ، ولفأه رده واللفاء الشىء القليل ، واللفاء دون الحق ، ويقال : (ارض من الوفاء باللفاء) أى بدون الحق ـ قال أبو زبيد :

فما أنا بالضعيف فتزدرينى ولاحظى اللفاء ولا الخسيس

ويقال : (فلان لا يرضى باللّفاء من الوفاء) أى لا يرضى بدون وفاء حقه ، وأنشد الفراء :

أظنّت بنو حجوان أنك آكل كباشى وقاضّى اللفاء فقابله

قال ابو الهيثم : يقال لفأت الرجل اذا نقصته حقه ، واعطيته دون الوفاء .

وفى تهذيب اللغة)) للأزهرى : لفأه حقه اذا اعطاه اقل من حقه .

وفى لسان العرب : نقلا عن أبى تراب اللغوى القديم قال : أحسب هذا الحرف من الاضداد ، قلت : أبو تراب هذا لغوى فى القرن الثالث من أعيان خراسان وهو من أهل الورع والفقه والعبادة ، وله كتاب العين استدرك فيه على الخليل بن احمد الفراهيدى ، أمّا اللفظ الذى قال فيه انه من الاضداد فلم يذكره ابن الانبارى فى كتاب الاضداد . وقال الأفريقى : اللفأة الأحمق ، وهو فعلة من قولهم : لفوت اللحم ، والهاء للمبالغة ، وألفى الشىء وجده ، وتلافاه افتقده وتداركه ، وانشد ابن الاعرابى :

يخبّرنى أنى به ذو قرابة وأنبأته انى به متلافى

فسره وقال : معناه انى لأدرك به ثأرى ، وألفيت الشىء ، ألفيه الفا اذا وجدته وصادفته ولقيته ، واللفى الشىء المطروح ، كأنه من ألفيت أو تلافيت ، والجمع ألفاء وألفياء ، يعنى ان اصلها الفاى ، لأنها لام ـ يعنى انها لام الكلمة فى الوزن ـ وفى صحاح الجوهرى : اللفاء الخسيس من كل شىء ، وكل شىء يسير حقير فهو لفاء ، ويقال : رضى فلان باللفاء من الوفاء ، أى من حقه الوافى بالقليل ، ويقال : لفأه حقه أى بخسه .

قال ابو تراب : وذكره ابن الأثير فى (لفأ) بالهمز لأنه مشتق من : لفأت العظم اذا أخذت بعض لحمه عنه ، وقد ذكرنا أن المهموز والمعتل من هذا الفعل واحد فى الاشتقاق .

وفى حديث عائشة : (مأ ألفاه السحر عندى الا نائما) اى ما أتى عليه السحر الا وهو نائم ، تعنى بعد صلاة التهجد ، وقد كان عليه السلام يصلى ثم ينام ثم يقوم للصبح ، والفعل فى كلام عائشة : (للسحر) مجاز وفى الحديث ايضا : ((لا ألفين أحدكم متكئا على اريكته)) أى لا أجد ، وهذا فى حق من ينكر الحديث والتحذير منه .

* * *

القفل والاقفال

قال أبو تراب :

وشاع فى الاستعمال (قفل الباب وغيره) وهو خطأ والصواب : اقفال الباب . وفى كتاب الغلط الفصيح : يقولون مثلا : (هل فى المصلحة قفل جدول كذا) والعجب ان القفل كاد شرها يعم ويطم وهم يريدون الاقفال أما القفل بفتح فسكون فلا نعلم الاّ انها أقل استعمالا فى مادة الثلاثى من هذا الفعل ، فلا تقال الا فى يابس من الشجر ، جاء فى القاموس القفل بالفتح وكأمير - أى قفيل - ما يبس من الشجر فانظر الى غرابة هذا الاستعمال فى قول من قال : (قفل جدول الموظفين) .

وليس الثلاثى من هذا الفعل اعنى قفل على اختلاف معانيه الاّ مصدرا يجىء أكثره على فعول بضم الفاء ومن معانيه الرجوع تقول اقفل الجند من الغزو الى أوطانهم قفولا وقفلا . ومن معانيه التيبّس تقول قفل جلده قفولا ، ويقال : قفل الفحل أى هاج للضراب ، وفى كل هذا هو فعل لازم . وقد جاء متعديا فى موضعين هما : قفل الطعام بمعنى احتكره وجمعه ، وقفل الشىء بمعنى خَمَنَّه وحزره . اما الاغلاق بخلاف الفتح الذى يقصدون فليس من الثلاثى قطعاً ، لكنه من الرباعى - اعنى الثلاثى المزيد بالهمزة - اى اقفل ، تقول : اقفلت الباب وهذا مقفل بضم الميم وفتح الفاء ، والمصدر منه الاقفال ، فالصحيح وليس غيره ان يقول ذلك الكاتب : (هل من المصلحة اقفال جدول الموظفين) .

وقال فى تذكرة الكاتب : يقولون : (فالمرجو غلق هذا الباب) اى انهم يستعملون المجرّد (غلق) وهو معدود لثغة أو لغيّة رديئة . والمنقول عن العرب اغلق أو غلّق للمبالغة ، وهكذا اقفل وقفّل .

قلت : وفى التنزيل : (وغلّقت الأبواب وقالت هيت لك) وقال أبو الأسود الدؤلى :

ولا أقــول لقــدر القــوم قد غليت ... ولا أقــول لبــاب القــوم مغلوق

ومطاوع اغلق : انغلق ، ومطاوع اقفل : انقفل واقتفل . وقد جاء تقفّل ولم يذكره أسعد داغر ، والقفل بمعنى القفول فى شعر الراجز :

علبــاء ابشر بأبيك والقفل ... اتــاك ان لم ينقطــع باقــى الأجل

هولول اذا ونى القوم نــــزل

والهولول بمعنى الخفيف السريع يقال : رجل هولول . وقد نص الزمخشرى على جواز قفلت الباب ، وكأن اسعد داغر وأبا الخضر وغيرهما ممن جزم بالتخطئة لم يطلعوا على كلامه وهو حجة وطّاء العربية ، والقفول اليبوس ايضا قال لبيد يصف الصيد :

حتــى اذا يئس الرمــاة وأرسلوا ... غضفــا دواجــن قافــلا اعصامها

الغضف هى كلاب الصيد ، والاعصام القلائد التى عليها .

والقفل ما يبس من الشجر قال أبو دؤب الهذلى :

ومفرهــة عنس قدرت لساقها ... فخـرّت كما تتابــع الــريح بالقفل

المفرهة الناقة .

والقفيل ايضا السوط يصنع من الجلد اليابس قال ابو محمد الفقعسى :

لما اتــاك يابســا قِرْشبا ... قمــت اليه بالقفيل ضربا

ضرب بعير السوءِ اذ أحبّا

القرشب المسن ، واحب هنا بمعنى برك أو حزن .

وخيل قوافل اى ضوامر قال امرؤ القيس :(نحن جلبنا القرّح القوافلا)

وقال خفاف بن ندبة :

سليل نجيبــة لنجيب صدق   تصنــدل قافــلا والمخ رار

والرار الذائب والرقيق من المخ . والقفول ايضا جمع قفل كالاقفال انشدت أم القرمد :

ترى عينـه ما فى الكتــاب وقلبه   عن الـدين أعمـى واثــق بقفول

والخيل تعلك الأقفال وهى حدائد اللجام ، قال مزاحم :

حتــى اذا لبســوا وهــن صوافن   ميل اللجــام تلجلــج الأقفالا

ومن المجاز : (فلان مقفل ومستقفل) اى ممسك . (وقد استقفلت يداه) (وانه لقفل) اى عسر (وانها لقفلة) للمرأة البخيلة .

قال الزمخشرى : قفل الجند قفلا وقفولا ، وهذا وقت القفَلَ ، ورأيت القفل أى القفّال ، كما يقال القَعَد للقاعدين عن الغزو ، واقفلت الباب وقفلت .

❊ ❊ ❊

توفر على الشئ وتوافر

قال ابو تراب : وهذا النص لم ينتبه له من خطأ هذه الصيغة الاّ أن يدعى مدع انه اراد فى الفعل الثانى المضاعف ولا اعتماد على شكل النسخ ما لم يضبط .

قال أبو تراب :

قال الفصحاء : (توفر الشيء عليه) لا له (وتوفر فلان على فلان) فقل توفر عليه ولا تقل توفر له . وقال اسعد خليل داغر فى تذكرة الكاتب (ص ٦٦) ويستعملون الفعل (توفر) بمعنى وفر أو توافر أى كثر فيقولون : يجب انَ تتوفر فيه الخبرة التامة ، وهذا الأمر لم تتوفر فيه الأسباب الكافية وفى اللغة توفر عليه ، رعى حرماته وصرف همته اليه .

وقد رد عليه مصطفى جواد فقال : لا نقول كقول الداغـرى فانـه كان متسرعا فان توفر ورد فى كلام الفصحاء ، وانه يختلف عن الفعل (توافر) فهذا بمعنى تكاثر ، والقائل (توفر) لم يرد التكاثر بل اراد : تجمع وحصل ، ولكنهم يستعملون (على) معه .

ومن أدلة ما ذكرناه ما جاء فى شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد (ج ٤ ص ١٢٦) من قول زياد بن سمية : (ما يتوفر عليّ من تهالك غيرهم على العمارة وأمنهم جورى اضعاف ما وضعت عن هؤلاء) .

وفى كتاب الفرج بعد الشدة للقاضى التنوخى (ج ٢ ص ٤٣) : قال رجل لآخر من أهل الكوفة : وانا اسألك ان تقوم معى الى رحلى فتكون فى ضيافتى الى الكوفة وتتوفر دنانيرك عليك .

وفى طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ٢٤١) : قال ابان بن عبد الحميد اللاحقى لأبى نواس : فان انت توليته ـ يعنى ترجمة كليلة ودمنة شعرا ـ مع تشاغلك بلهوك ولذتك لم يتوفر عليك فكرك وخاطرك ، ولم يخرج بالغا فى الجودة والحسن ، وان توفرت عليه واهتممت به قطعك ذلك عن لهوك ولذتك ومتعتك .

وفى تجارب الأمم لابن مسكويه (ج ٥ ص ٣٨١) : وكانت الكرامة متوفرة عليه من الأمير عبد الله الحسين من ابى على العارض يعنى البريدى ، ثم قال فى (ج ٦ ص ٢٧٤) : وأومأ الى مصالحته على مال يحمله يقوم بما انفق على ذلك العسكر وتتوفر بعد ذلك بقية على خزانة السلطان ويضمن اصلاح حاله . وفى ذيل تجارب الأمم (ج ٧ ص ١٩٤) : قال الوزير ابو شجاع ناقلا : فقال له الصوفى هذا شىء يجب ان يتوفر عليك وقد علمت لأصحابنا ما يصلح لهم .

وفى شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد (ج ٤ ص ٩٢) : فليت شعرى ما يتوفر على ابى بكر وستة نفر معه .

وفى مختصر مرآة الزمان (ج ٨ ص ٤١٣) : قال سبط ابن الجوزى : (هو الذى اشار بخراب عسقلان لتتوفر العناية على حفظ القدس) .

وفى كتاب الحوادث (ص ٤١٣) الذى سمى غلطا بالحوادث الجامعة : (فأمر السلطان باجرائهم على عادتهم منذ فتحت بغداد فتوفر عليهم شىء كثير) .

فهذه شواهد الواقع اللغوى لاستعمال (توفر عليه) من عصر زياد بن سمية الى القرن السابع للهجرة .

وجاء فى لسان العرب : (توفر عليه اى رعى حرماته ، وتوفر على فلان اى يبرّه) ولم يخرج عن ذلك الحرف ، وليست نيابة حروف الجر بعضها عن بعض قياسية ، وان ورد أكثرها فى الشعر واقلها فى النثر ، ألا تراك لا تقول : غضبت له بمعنى غضبت عليه ، ولا وظفت له بمعنى وظفت عليه ولاقلت له بمعنى قلت عليه ولاوقفت له بمعنى وقفت عليه فالصواب ان تقول توفر عليه .

قال ابو تراب : دعوى نيابة حروف الجر بعضها عن بعض باطلة بل ينبغى الاقتصار على المسموع منها المستعمل على ألسنة الفصحاء ، ومن قولهم : وفرت عليه حقه فاستوفره ، نحو وفيته اياه فاستوفاه ، ومن امثالهم : (توفر تحمد) اى يصان عرضك ويثنى عليك ، وهذا المثل لم اجده فى مجمع الأمثال للميدانى على سعته وشموله وانما وجدته فى اساس البلاغة للزمخشرى .

ومما يذكر فى هذا الباب قولهم : (الوافرة) للدنيا أو الحياة ، وانشد ابن الأعرابى فى هذا المعنى :

وعلمنـــا الصبـــر آباؤنا وخـــط لنـــا الرمـــى فى الوافرة

* * *

الحال واستعمالها

قال أبو تراب :

يعاب على كتاب اليوم استعمالهم كلمات على انها (حال) فى الاعراب مع انها غير منتقلة الصفات ولا مشتقة ، ومعنى الانتقال ان لا تكون ملازمة للمتصف بها نحو : (جاء زيد راكبا) فراكبا وصف منتقل لجواز انفكاكه عن زيد بأن يجىء ماشيا ، فكذلك الحال .

لذلك كان قولهم : (تجمع الناس هناك عربا وفرسا) خطأ ، لأن العرب والفرس والترك والأهاند اجيال من الناس لا تتبدل ، فالاتيان بها (حالا) فى درج الكلام مناف لذلك ، والصواب استعمالها بدلا ، كأن يقول : (تجمع الناس بالخيف من منى عربهم وتركهم وفرسهم وهنودهم وهلم جرا) .

قال مصطفى جواد : قل : (احتفل اهل العراق عربهم وأكرادهم وتركمانهم ولا تقل : عربا وأكرادا وتركمانا ، لأن (عربا) فى قولهم عربا وأكرادا (حال) والعرب جيل من الأجيال الكبيرة الشهيرة ، والحال من اسم الجيل لا تجوز وانما الحال لمتبدل الأحوال ، فان عددت العرب (حالا) ههنا جاز ان يكونوا هم أنفسهم غير عرب فى موضع آخر كما تقول : (جاء فلان راكبا فرسا) فانه يجوز ان يكون فى موضع آخر ووقت آخر جالسا أو نائما أو ماشيا ، فهذه صفة الحال .

فالصواب اعراب هذه الأسماء وامثالها على البدلية ، تقول : (احتفل أهل العراق عربهم وأكرادهم وتركمانهم) ولا يجوز ان تقول : (عربا وأكرادا وتركمانا)

لأن العرب لا يتبدلون بغير العرب ، والأكراد لا يصيرون قوما آخرين ، والتركمان لا ينقلبون عربا ولا أكرادا ولا غيرهم وهذا واضح لكل ذى عقل سليم .

قلت : وهذا الذى ذكره مصطفى جواد هو الغالب الأعم كما قال ابن مالك

وكونـه منتقـلا مشتقا يغلـب لكن ليس مستحقا

يعنى الأكثر فى الحال ان تكون منتقلة مشتقة ، وقد تجىء الحال غير منتقلة اى وصفا لازما نحو : (دعوت الله سميعا) و (خلق الله الزرافة يديها اطول من رجليها) وقال رجل من بنى جناب :

فجـاءت به سبـط العظـام كأنما عمامتـه بـين الرجـال لواء

(فسميعا وأطول وسبط) (أحوال) وهى أوصاف لازمة غير متنقلة . وقد قال النحاة : تجىء (الحال) غير متنقلة فى ثلاث مسائل :

الأولى : ان يكون العامل فيها مشعرا بتجدد صاحبها نحو قوله تعالى ((وخلق الانسان ضعيفا)) ومثله البيت المتقدم آنفا .

الثانية : ان تكون الحال مؤكدة أما لعاملها نحو قوله تعالى : ((فتبسم ضاحكا)) وإما مؤكدة لصاحبها نحو قوله تعالى : ((لآمن من فى الأرض كلهم جميعا)) واما مؤكدة لمضمون جملة قبلها نحو : (زيد ابوك عطوفا) .

الثالثة : فى أمثلة مسموعة لا ضابط لها كقوله تعالى : ((انزل اليكم الكتاب مفصلا)) وكقوله : ((قائما بالقسط)) .

وذكروا ان الحال تأتى جامدة وهى فى تأويل المشتق ولها ثمانية مواضع :

الأول : ان تدل على سعر نحو : بعه مدا بدرهم اى بعه مسعرا كل مد بدرهم .

والثانى : ان تدل على تفاعل نحو ، بعته يدا بيد ، اى مناجزة .

والثالث : ان تدل على تشبيه نحو : كرّ زيد اسدا اى مشبها بالأسد .

والرابع : ان تدل على ترتيب كقولك : ادخلوا الدار رجلا رجلا .

والخامس : ان تكون الحال موصوفة قوله تعالى : ((قرآنا عربيا)) وقوله ((فتمثل لها بشرا سويا)) .

والسادس : ان تكون دالة على عدد نحو قوله تعالى : ((فتم ميقات ربه اربعين ليلة)) .

والسابع : ان تدل على طور فى تفضيل نحو قولهم : هذا بسرا اطيب منه رطبا .

والثامن : ان تكون الحال نوعا من صاحبها كقوله تعالى : ((وتنحتون الجبال بيوتا)) أو تكون اصلا لصاحبها كقوله تعالى : ((أأسجد لمن خلقت طينا)) .

ولم يختلف النحاة فى تأويل المواضع الأربعة الأولى بمشتق ، وتكلفوا فى الأربعة الباقية .

* * *

الفهرس

* * *

انتهى الجزء الأول من كتاب « لجام الأقلام » ويليه الجزء الثانى .

إصدارات إدارة النشر بتهامة

سلسلة : الكتاب العربي السعودي

صدر منها :

الكتاب		المؤلف
• الجبل الذي صار سهلا	(نقد)	الأستاذ أحمد قنديل
• من ذكريات مسافر		الأستاذ محمد عمر توفيق
• عهد الصبا في البادية		الأستاذ عزيز ضياء
• التنمية قضية	(نقد)	الدكتور محمود محمد سفر
• قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا	(نقد)	الدكتور سليمان بن محمد الغنام
• الظمأ	(مجموعة قصصية)	الأستاذ عبد الله جفري
• الدوامة	(قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
• غداً أنسى	(قصة طويلة) (نقد)	الدكتورة أمل محمد شطا
• موضوعات اقتصادية معاصرة		الدكتور علي بن طلال الجهني
• أزمة الطاقة إلى أين ؟		الدكتور عبد العزيز حسين الصويغ
• نحو تربية إسلامية		الأستاذ أحمد محمد جمال
• إلى ابنتي شيرين		الأستاذ حمزة شحاتة
• رفات عقل		الأستاذ حمزة شحاتة
• شرح قصيدة البردة		الدكتور محمود حسن زيني
• عواطف إنسانية	(ديوان شعر) (نقد)	الدكتورة مريم البغدادي
• تاريخ عمارة المسجد الحرام	(نقد)	الشيخ حسين باسلامة
• وقفة		الدكتور عبد الله حسين باسلامة
• خالتي كدرجان	(مجموعة قصصية) (نقد)	الأستاذ أحمد السباعي
• أفكار بلا زمن		الأستاذ عبد الله الحصين
• كتاب في علم إدارة الأفراد		الأستاذ عبدالوهاب عبد الواسع
• الابحار في ليل الشجن	(ديوان شعر)	الأستاذ محمد الفهد العيسى
• طه حسين والشيخان		الأستاذ محمد عمر توفيق
• التنمية وجها لوجه		الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
• الحضارة تحد	(نقد)	الدكتور محمود محمد سفر
• عبير الذكريات	(ديوان شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• لحظة ضعف	(قصة طويلة)	الأستاذ فؤاد صادق مفتي
• الرجولة عماد الخلق الفاضل		الأستاذ حمزة شحاتة
• ثمرات قلم		الأستاذ محمد حسين زيدان
• بائع التبغ	(مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ حمزة بوقري
• أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة		الأستاذ محمد علي مغربي
• النجم الفريد	(مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء

تحت الطبع :

العنوان		الطبعة	المؤلف
• إليها	(ديوان شعر)		الأستاذ حسين عبد الله سراج
• حتى لا نفقد الذاكرة			الأستاذ سعد البواردي
• أحاديث			الدكتور عبد الرحمن بن حسن النفيسة
• نقاد من الغرب			الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
• تاريخ القضاء في المملكة العربية السعودية			الأستاذ حسن بن عبد الله آل الشيخ
• معجم اللهجة المحلية في منطقة جازان			الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
• الإسلام في نظر أعلام الغرب			الشيخ حسين عبد الله باسلامة
• قصص من طاغور	(ترجمة)		الأستاذ عزيز ضياء
• أيامي			الأستاذ أحمد السباعي
• ماما زبيدة	(مجموعة قصصية)		الأستاذ عزيز ضياء
• مدارسنا والتربية			الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع
• دوائر في دفتر الزمن	(مجموعة قصصية)		الأستاذ سباعي عثمان
• من حديث الكتب	(ثلاثة أجزاء)		الأستاذ محمد سعيد العامودي
• عام ١٩٨٤ لجورج أورويل	(قصة مترجمة)		الأستاذ عزيز ضياء
• مشواري مع الكلمة			الأستاذ حسن عبد الحي قزاز
• وجيز النقد عند العرب			الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
• هكذا علمني ورد زورث			الأستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري
• وحي الصحراء			الأستاذ عبد الله بلخير / الأستاذ محمد سعيد عبدالمقصود خوجه
• سباعيات			الأستاذ احمد السباعي
• خلافة أبي بكر الصديق			الشيخ حسين عبد الله باسلامة
• الطاقة نظرة شاملة			الدكتور عبدالهادي طاهر
• طيور الأبابيل			الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي
• عمر بن أبي ربيعة			الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي
• رجالات الحجاز			الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي
• من مقالات عبد الله عبد الجبار			الأستاذ عبدالله عبدالجبار
• الجبل الذي صار سهلا		الطبعة الثانية	الأستاذ أحمد قنديل
• التنمية قضية		الطبعة الثانية	الدكتور محمود محمد سفر
• قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا		الطبعة الثانية	الدكتور سليمان بن محمد الغنام
• غداً أنسى	(قصة طويلة)	الطبعة الثانية	الدكتورة أمل محمد شطا
• عواطف إنسانية	(ديوان شعر)	الطبعة الثانية	الدكتورة مريم البغدادي
• تاريخ عمارة المسجد الحرام		الطبعة الثانية	الشيخ حسين باسلامة
• خالتي كدرجان	(مجموعة قصصية)	الطبعة الثانية	الأستاذ أحمد السباعي
• الحضارة تحد		الطبعة الثانية	الدكتور محمود محمد سفر
• حوار.. في الحزن البارد			الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
• البترول والمستقبل العربي			الأستاذ عبدالعزيز مؤمنة
• سير وتراجم			الأستاذ عمر عبدالجبار
• البعث			الأستاذ محمد علي مغربي

● قام بتصحيح التجارب المطبعية لهذا الجزء :

عبد الحليم محمد عبد الحليم المراقب اللغوى باذاعة جدة

خريج جامعة الازهر



صدر منها :

العنوان	الوصف	المؤلف
• حارس الفندق القديم	(مجموعة قصصية)	الأستاذ صالح إبراهيم
• دراسة نقدية لفكر زكي مبارك	(باللغة الإنجليزية)	الدكتور محمود الشهابي
• التخلف الاملائي		الأستاذة نوال عبد المنعم قاضي
• ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية		إعداد إدارة النشر
• ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية	(باللغة الإنجليزية)	
• تسالي	(من الشعر الشعبي) (الطبعة الثانية)	الدكتور حسن يوسف نصيف
• كتاب مجلة الأحكام الشرعية على مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني	(دراسة وتحقيق)	الشيخ أحمد بن عبد الله القاري الدكتور عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي
• النفس الإنسانية في القرآن الكريم		الأستاذ إبراهيم سرسيق
• خطوط وكلمات	(رسوم كاريكاتورية) نفد	الأستاذ علي الخرجي
• واقع التعليم في المملكة العربية السعودية	(باللغة الإنجليزية)	الدكتور عبد الله محمد الزيد
• صحة العائلة في بلد عربي متطور	(باللغة الإنجليزية)	الدكتور زهير أحمد السباعي
• مساء يوم في آذار	(مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد منصور الشقحاء
• النبش في جرح قديم	(مجموعة قصصية)	الأستاذ السيد عبد الرؤوف
• الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام		الدكتور محمد أمين ساعاتي
• الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك		الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
• رعب على ضفاف بحيرة جنيف		الأستاذ شكيب الأموي
• العقل لا يكفي	(مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد على الشيخ
• أيام مبعثرة	(مجموعة قصصية)	الأستاذ فؤاد عنقاوي
• مواسم الشمس المقبلة	(مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد علي قدس
• ماذا تعرف عن الأمراض ؟		الدكتور إسماعيل الهلباوي
• جهاز الكلية الصناعية		الدكتور عبد الوهاب عبد الرحمن مظهر
• القرآن .. وبناء الإنسان		الأستاذ صلاح البكري
• اعترافات أدبائنا في سيرهم الذاتية		الأستاذ علي عبده بركات
• الطب النفسي معناه وأبعاده		الدكتور محمد محمد خليل
• الإمكانات النووية للعرب وإسرائيل		الدكتور صدقة يحيى مستعجل

تحت الطبع :

العنوان	الوصف	المؤلف
• قراءات في التربية وعلم النفس		الأستاذ فخري حسين عزّي الدكتور لطفي بركات أحمد
• المجموعة الخضراء	(دواوين شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري

• مكانك تحمدي		الأستاذ أحمد محمد جمال
• قال وقلت		الأستاذ أحمد السباعي
• نبض ...		الأستاذ عبد الله جفري
• نبت الأرض		الدكتورة فاتنة أمين شاكر
• السعد وعد	(مسرحية)	الدكتور عصام خوقير
• قصص من سومرست موم	(مجموعة قصص مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• عن هذا وذاك		الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
• الأصداف	(ديوان شعر)	الأستاذ أحمد قنديل
• الأمثال الشعبية في مدن الحجاز		الأستاذ أحمد السباعى
• أفكار تربوية		الدكتور ابراهيم عباس نتو
• فلسفة المجانين		الأستاذ سعد البواردي
• خدعتني بحبها	(مجموعة قصصية)	الأستاذ عبد الله بوقس
• نقر العصافير	(ديوان شعر)	الأستاذ أحمد قنديل
• التاريخ العربي وبدايته	(الطبعة الثانية)	الأستاذ أمين مدني
• المجاز بين اليمامة والحجاز	(الطبعة الثانية)	الأستاذ عبد الله بن خميس
• تاريخ الكعبة المعظمة وعمارتها	(الطبعة الثانية)	الشيخ حسن عبد الله باسلامة
• خواطر جريئة		الأستاذ حسن بن عبد الله آل الشيخ
• السنيورة	(قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
• رسائل إلى ابن بطوطة	(ديوان شعر)	الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
• جسور إلى القمة		الأستاذ عزيز ضياء
• تأملات في دروب الحق والباطل		الشيخ عبد الله عبد الغني خياط
• الحمى	(ديوان شعر)	الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
• قضايا ومشكلات لغوية		الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار
• ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة		الأستاذ محمد علي مغربي
• زيد الخير		الأستاذ عبد العزيز الرفاعي
• الشوق إليك	(مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين عبد الله سراج
• كلمة ونصف		الأستاذ محمد حسين زيدان
• شيء من حصاد		الأستاذ حامد حسن مطاوع
• أصداء قلم		الأستاذ محمود عارف
• قضايا سياسية معاصرة		الدكتور فؤاد عبدالسلام الفارسي
• نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي		الأستاذ بدر أحمد كريم
• الإعلام موقف		الدكتور محمود محمد سفر
• الجنس الناعم في ظل الإسلام		الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
• ألحان مغترب	(ديوان شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• غرام ولادة	(مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين عبد الله سراج
• ديوان السلطانيين		الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
• الموزون والمخزون		الشيخ أبو تراب الظاهري
• لجام الأقلام		الشيخ أبو تراب الظاهري

- اساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام — الأستاذة فتحية عمر رفاعي الحلواني
- التعليم في المملكة العربية السعودية — عبد الوهاب أحمد عبد الواسع
- الطلب على الإسكان من حيث الاستهلاك والاستثمار — الدكتور فاروق صالح الخطيب
- المقصد العلي في زوائد أبي يعلي الموصلي (تحقيق ودراسة) — دكتور نايف بن هاشم الدعيس

كتاب الناشئين

صدر منها :

سلسلة : وطني الحبيب

- جدة القديمة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق
- جدة الحديثة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

- الديك المغرور ،والفلاح وحماره — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي

تحت الطبع :

- حكايات للأطفال — الأستاذ عزيز ضياء
- سنبلة القمح وشجرة الزيتون — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- نظيمة وغنيمة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الطاقية العجيبة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الزهرة والفراشة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- سلمان وسليمان — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- زهور البابونج — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- اليد السفلى — الدكتور محمد عبده يماني / إعداد الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

سلسلة :
الكتاب الجامعي

صدر منها :

• الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية	الدكتور مدني عبد القادر علاقي
• الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق (باللغة الإنجليزية)	الدكتور فؤاد زهران الدكتور عدنان جمجوم الدكتور محمد عيد
• النمو من الطفولة إلى المراهقة	الدكتور محمد جميل منصور الدكتور فاروق سيد عبد السلام
• الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا	الدكتور عبد المنعم رسلان
• النفط العربي وصناعة تكريره	الدكتور أحمد رمضان شقليه
• الملامح الجغرافية لدروب الحجيج	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
• علاقة الآباء بالأبناء (دراسة فقهية)	الدكتورة سعاد إبراهيم صالح
• مباديء القانون لرجال الأعمال	الدكتور محمد إبراهيم أبو العينين
• الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية	الأستاذ هاشم عبده هاشم
• قراءات في مشكلات الطفولة	الدكتور محمد جميل منصور
• شعراء التروبادور (ترجمة)	الدكتورة مريم البغدادي
• الفكر التربوي في رعاية الموهوبين	الدكتور لطفي بركات أحمد الدكتور عبد الرحمن فكري
• النظرية النسبية	الدكتور محمد عبد الهادي كامل
• أمراض الأذن والأنف والحنجرة (باللغة الإنجليزية)	الدكتور أمين عبد الله سراج الدكتور سراج مصطفى زقزوق
• المدخل في دراسة الأدب	الدكتورة مريم البغدادي
• الرعاية التربوية للمكفوفين	الدكتور لطفي بركات أحمد

تحت الطبع :

• الأدب المقارن (دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوروبية)	الدكتور عبد الوهاب على الحكمى
• هندسة النظام الكوني في القرآن	الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر
• تاريخ طب الأطفال عند العرب	الدكتور محمود الحاج قاسم

كتاب للأطفال

صدر منها:

* **لكل حيوان قصة** للأستاذ يعقوب محمد اسحاق

- الحمار الأهلي
- الفراشة
- الخروف
- الفرس
- الدجاج
- البط
- الغزال
- الحمار الوحشي
- الببغاء
- الوعل
- الجاموس
- الحمامة
- القرد ..
- الضب
- الثعلب
- الكلب
- الغراب
- الأرنب
- السلحفاء
- الجمل
- الذئب
- الأسد
- البغل
- الفأر

* الصرصور والنملة — الأستاذ عمار بلغيث
* السمكات الثلاث — الأستاذ عمار بلغيث

تحت الطبع:

- الكتكوت المتشرد — الأستاذ عمار بلغيث
- المظهر الخادع — الاستاذ عمار بلغيث
- بطوط وكتكت — الأستاذ إسماعيل دياب
- النخلة الطيبة — الأستاذ إسماعيل دياب
- سلسلة حكايات كليلة ودمنة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق
- سلسلة حكايات ألف ليلة وليلة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

- خطوط وكلمات (رسوم كاريكاتورية) (الطبعة الثانية) — الأستاذ علي الخرجي

رسائل جامعية

صدر منها:

- صناعة النقل البحري والتنمية في المملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية) — الدكتور بهاء حسين عزي
- الخراسانيون ودورهم السياسي — الأستاذة ثريا حافظ عرفة
- الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت — الأستاذة موضي بنت منصور ابن عبدالعزيز آل سعود
- العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن — الأستاذة أميرة علي المداح
- القصة في أدب الجاحظ — الأستاذ عبد الله باقازي
- تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف — الأستاذة فوزية حسين مطر
- النظرية التربوية الإسلامية — الأستاذة آمال حمزة المرزوقي
- نظام الحسبة في العراق .. حتى عصر المأمون — الأستاذ رشاد عباس معتوق

تحت الطبع:

- افتراءات فيليب حتى .. وبروكلمان على التاريخ الإسلامي — الأستاذ عبد الكريم علي باز
- الدولةالعثمانية وغربي الجزيرة العربية — الأستاذ نبيل عبد الحى رضوان
- دور المياه الجوفية في مشروعات الري والصرف بمنطقة الإحساء بالمملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية) — الدكتور فايز عبد الحميد طيب
- الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية — الأستاذة ليلى عبد الرشيد حسن عطار
- دراسة اثنوغرافية لمنطقة الإحساء (باللغة الإنجليزية) — الدكتور فايز عبد الحميد طيب
- الموت والابتسامة (مجموعة قصصية) — الأستاذ عبد الله أحمد باقازي
- رحلة الربيع — الأستاذ فؤاد شاكر
- الوحدةالموضوعية في سورة يوسف — الدكتور حسن محمد باجودة
- الزمن الذي مضى (مجموعة قصصية) — الأستاذ صالح إبراهيم
- الأسر القرشية .. أعيان مكة المحمية — الأستاذ أبو هشام عبد الله عباس بن صديق
- البحث عن بداية (مجموعة قصصية) — الأستاذ جواد صيداوي
- وللخوف عيون (مجموعة قصصية) — الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- الحجاز واليمن في العصر الأيوبي — الدكتور جميل حرب محمود حسين
- ملامح وأفكار مضيئة — الاستاذ أحمد شريف الرفاعي
- أضواء على نظام الأسرة في الإسلام — الدكتورة سعاد إبراهيم صالح

شُكْرُمْ زُقْـلُمْ !؟

بقلم فضيلة الشيخ الأديب الشاعر الفحل

ضياء الدين رجب رحمه الله

ولفظ "شُكْرُمْ" هذا هدية مني إليك ياأبا تراب في معنى الشكر كفاء خَرْعَبَة نقدك التي شَكَرْتني بها شكرًا، كديماسٍ تُماوص الملاب، في عَيْلمٍ مُسْجر بالكبار ضَنْكٍ في عِقاص الكعاب.

ولفظ "زُقْلُمْ" قصته معروفة في أمهات الكتب الأدبية وهي محاورة إمام وغلام أردت بها الطرافة والملح للكلام.

أما مانقدته مشكورًا فوالله لأتوبَنَّ من العودة إلى الغلط توبة نصوحًا. وأعود فأحيي الأستاذ أبا تراب تحية عطرة على ماأسلف من فضل في التصحيح والتحقيق والتحكيك، وإنه لعِبْءٌ اضطلع به وحده في زمن أوشك أن يضيع الناس لغتهم وتراثهم الأصيل العريق.

فوجود أبي تراب يسد ثغرة، ويسد أمر بهذه المحافظة منه، ولهذا العناد منه فيها وبأسلوبه المطهم كالخيل المطهمة لابد منه، لأنه من ذخائر العرب، ومقوماته في القديم والحديث، وللأدباء مقومات، وللكتاب أساليب، ولها مقامها وطرازها، فللخفافة والرشاقة هواة، وللرصانة والعمق هواة مثلهم، وقديمًا أعجب الناس بترسل الصابي، وخفائف مصعب، وزخامة المبرّد، وطراوة الثعالبي، والأهم الأهم أن لايفكر الكاتب بالعربي، ثم يكتب بالسرياني"[1]"

ضياء الدين رجب

---

(1) جريدة البلاد عدد ٨٢٣ الثلاثاء ٩ ربيع الآخر ١٣٨١هـ.

طبعت بمطابع دار البلاد ـ جدة